

بسم الله الرحمن الرحيم

سراج الظلام

دراسة الملف الشرعي لتيار الخزلان

بين

قاعدة الجهاد و خرافة بغداد

تأليف

محمد بن سعيد الأندلسي

عفا الله عنه

همسات

إلى من هجر الديار يريد نصرة دين الواحد القهار، فحاد عن السبيل وانحرف به المسار، فعاد إلى الحق طوعاً بعد أن عرف التوحيد، تحت المطارق والحديد.

إلى من بذل الغالي والنفيس من نفسه وأهله وماله وأعذر إلى الله بسيفه ... من لا يزال جرحه ينزف ودمعه يذرف ... من تقطعت أوصاله وتفتتت أكباده على فراق الولدان ... من تمزقت أحشاؤه على بُعْدِ الزوجِ والخِلان ... من أثقله القيد وطالت به السنين وناءت به الديار واشتدت عليه وَطْئَتُ الكفار ... من أطِيط البلاء على صدره يكاد يحطم جدران قلبه المكلوم، وينسفُ قهر العِدا حُلمه المرسوم.

إلى الثكالى والأيامى والأخوات الأسيرات تحت الخيام ووراء الجدران، يجررن أذيال الأسى والنكال شاهدين على من خذلهم وفر عنهم دون نزال ... ألا صبراً فقد ذهب الرجال النافرين لعرضهم وبقي العلوج خلف النوافذ ترقب، وليس من باع عرضه يستطيع أن يشري عرضاً مسلماً بعد ذلك، ألا صبراً فإن بعد العسر يسرا.

إلى قاعدة الجهاد: فقد سقطت منكم الراية بعد الراية، وذهبت منكم إرادة القتال والمناجزة إلى منتهى الغاية، فمن القاعدة إلى القُعود ومن الكرَّة إلى الشتات والجمود، فلم يبقى لكم في الديار أثر وبقي من مسيركم في قلوب المسلمين عبر، راجعوا مساركم وطريقتكم فقد خذلتكم الشعوب التي تعذرونها وانفضَّت عنكم القلوب التي تتألفونها، وكنتم ولازلتم على دينٍ باطل، فلن يُغني عنكم الأذى والنكال المتراكم مع الضلالة والغواية، ولن يشفع لكم طول السنين وشدتها وأنتم على غير السبيل السوي وقويم الهداية.

هاجر ونفر... ترك الديار ومراتع الصبا ... ترك الأهل والولد بعد صراع مع النفس والهوى التي تبغي السكون والدَّعة ... لم يلتفت يوم الخروج وراءه بل باع المتاع ومضى مستعجلاً يبغي القتل مظانَّه ... قد هاجر لله تعالى ولم يهاجر للعبيد ولا يصلح مثله أن يُعبَّد للعبيد، أحرى الناس بالحق ومثلُه يُوفقُ إليه وهو أحرص الناس عليه ﴿ وَٱلَّذِينَ جَٰهَدُواْ فِينَا لَنَهۡدِيَنَّهُمۡ سُبُلَنَا ﴾ ... وسرعان ما وقعت الصدمة الشديدة على نفسه في حقيقة الراية التي نفر إليها، لم يكن قبول الحق فيها سهلاً، كيف وقد بُذلت فيها الدماء وقامت على الجماجم والأشلاء، لقد كان ابتلاءً له في حقيقة التوحيد والتجريد أكبر من بلائه بطائرات التحالف وجموع الصليب، وكان الحال بينه وبين خصومه كما قال تعالى﴿ هَٰذَانِ خَصۡمَانِ ٱخۡتَصَمُواْ فِي رَبِّهِمۡ ﴾، لم يبق مجالٌ للعواطف والترقيع ولا يقبل الواقع التصحيح والتمييع حين ظهر الكفر البواح وبان الشرك الصريح ... فما كان الله ليذر المهاجرين حتى يُبين لهم حقيقة الإمارة وتلاعبهم بدين الله، وأنهم ساسةُ علمٍ يحرفونه حتى يتوافق مع الغالبية والجمهور، ويبدلونه لمَّا يعلو صوت الأقدام الثقيلة في جماعةِ تقدس الأسماء كالمجدد والشيخ والدكتور ... إنها التجارة بالدين والتلاعب بعقيدة الأنبياء والمرسلين.

إلى خرافة بغداد: من شابت لحيته في الثغور والنزال، يحسب أنه على جادة الطريق قد أصاب المورد الزلال، وهيهات هيهات ... إلى من استكبر على الحق وكابر حتى فَنِيَ وأَفْنىَ ... إلى من يُصِرّ على عبادة الرجال واقتفاء أثر الآباء والأبدال ولو كانوا ضُلاَّلاً جُهَّال ...إلى من كَبُر عليهم ما دعوناهم إليه ...عودوا إلى الحق فإنه الفضيلة... أوبوا إلى الإسلام وارفعوا بحقٍ راية خيرِ الأنام، تُفتح لكم الأرضُ وتبوؤا بالفوز في ساحات القتال، ولا يصدنكم الكبر ولا الأصنام ولا الشيوخ ولا الرجال.

إلى المناصرين لتيار الجهاد: اعلموا أن النصرة هي لجماعة المسلمين لا لجموع المشركين تحت رايات المبدلين ... الجماعة المسلمة التي يتحرك جموع الصادقين لبنائها وتشييد صرحها والبذل لها ... فلا تغتروا بالأسماء والألقاب والإعلام، وتعلموا الإسلام بحده الصحيح فهو الميزان الذي توزن به الحركات والجماعات والدول والولايات، فلا تُحَكِّمُوا العواطف في الدين وتبذلوا الأعمار والأموال في خواء، حتى تتحققوا من صحة البناء وسلامة العقيدة وسداد المنهج ... فهنالك تكون النصرة والولاء.

إلى من خالفنا من أهل الإنصاف والإرجاف: لقد انجلى الغبار وسيُكتب في دفاتر التاريخ تفاصيل ما حصل ... دع عنك التعصب المقيت والنظر بعين الرضا لمن تهوى فتدفع عنه بالباطل وتستميت ... تحرَّر وتجرَّد واسمع منا ولا تسمع عنا وإنَّ لصاحب الحق مقالاً ... وبين يديك صفحة من صفحات التاريخ فكُن منها بمعتبر، ولا تكن يا عبد الله ممن أصم آذانه واتبع شيوخه وخلانه، وتولى بعد ظهور الحق وبيانه، وعاند بعد قيام الحجة عليه فاستوجب عذابه، ولا تكن ممن قال تعالى فيهم: ﴿أَمۡ تَحۡسَبُ أَنَّ أَكۡثَرَهُمۡ يَسۡمَعُونَ أَوۡ يَعۡقِلُونَۚ إِنۡ هُمۡ إِلَّا كَٱلۡأَنۡعَٰمِۖ بَلۡ هُمۡ أَضَلُّ سَبِيلاً ﴾[الفرقان٤٤] ... قال تعالى:﴿ إِنَّ وَلِـِّۧيَ ٱللَّهُ ٱلَّذِى نَزَّلَ ٱلۡكِتَٰبَۖ وَهُوَ يَتَوَلَّى ٱلصَّٰلِحِينَ﴾[الأعراف١٩٦]،قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ:« يُرِيدُ الَّذِينَ لَا يَعْدِلُونَ بِاللَّهِ شَيْئًا، فَاللَّهُ يَتَوَلَّاهُمْ بِنَصْرِهِ فَلَا يَضُرُّهُمْ عداوة من عاداهم» تفسير البغوي ٢٥٩/٢.

لقد علم المهاجر أنه يقاتل تحت رايةٍ الحكم فيها لغير الله ... يقاتل دفعاً عن المشركين الذين تسميهم الجماعة المسلمين، ويقتلون من يكفرهم ويفتنونهم بالسجن والصلب والتهجير ... لقد كبر على حُجَّاج العراق كُفر أجدادهم وبني جلدتهم، فلما جاءهم الحق مفصلاً انسلخوا منه ورجعوا إلى دين الآباء وصدهم الكبر والإباء كما قال تعالى: ﴿ وَٱتۡلُ عَلَيۡهِمۡ نَبَأَ ٱلَّذِىٓ ءَاتَيۡنَٰهُ ءَايَٰتِنَا فَٱنسَلَخَ مِنۡهَا فَأَتۡبَعَهُ ٱلشَّيۡطَٰنُ فَكَانَ مِنَ ٱلۡغَاوِينَ ﴿١٧٥﴾ وَلَوۡ شِئۡنَا لَرَفَعۡنَٰهُ بِهَا وَلَٰكِنَّهُۥٓ أَخۡلَدَ إِلَى ٱلۡأَرۡضِ وَٱتَّبَعَ هَوَىٰهُ ﴾ لم يكن للمهاجرين حينئذ إلا المفاصلة في الدين، فأصبحوا وقد تَخطَّفتهم سيوف الغدر اللعين في خلافة الكفر المبين، فتردُهم من الصحراء لتقبُرهم في تلك الصحراء، ومن نجا من طائرات الصليب وسيوف الأمن والترهيب يجد أمامه الحواجز والمكالب قد باعهم تجار البشر والتهريب، تقودهم إلى الأسر ومقبرة الأحياء والتعذيب ... ككل مرة يدفعون الثمن غالياً من دمائهم وأعمارهم وهذه المرة شاركتهم في ذلك نساؤهم وأولادهم .... لقد تسلطت عليهم جميع السيوف وتكالبت عليهم جميع الأمم وباعهم شعب النذالة رقيقا لحلف الصليب ... الشعب الذي نفروا لنصرته واستجابوا لصرخات نسائه وأولاده يقاتلهم تحت راية الصليب جزاءً وفاقاً.

تمهيد

الحمدُ للهِ الذي فصَّل لنا الآيات فاستبان به سَبيل المجرمين، وهدانا إلى صريح الملة وصحيح الإسلام بعد الضياع والتيه بين الجماعات وفلول المشركين، ونجَّانا من الموت تحت راياتٍ جاهلية على غير دين المسلمين، وسلَّمَنَا من سيوف غدرٍ تناهت من رقاب الموحدين، والصلاة والسلام على سيدنا محمد ﷺ وعلى آله وصحبه وخلفائه الميامين ومن سار على نهجهم واقتفى أثرهم من كرام التابعين ومن تبعهم بإحسانٍ إلى يوم الدين.

أما بعد فقد مضت عقودٌ من الزمن منذ أن رُفِعَت راياتُ القتال فقامت هنا وهناك جماعات وإمارات ودول فاندثرت وأُفنيت وأُبيد فيها جيل من أصحاب هذه الدعوات في المشرق والمغرب، ولا تزال سجون الطواغيت ملئ وساحاتهم خاوية لا يتقدم إليها إلا الوحدان فيصطدمون بواقع غير الذي نظروا إليه عبر إصدارات ذات جودة عالية... ورغم النكبات بل وسنة الله التي جرت في استئصال أكبر مشروع لهم في المشرق، تجد سكوت القوم ومضيهم على نفس الطريق، وإن تم النقد فإنه يتوجه إلى أعلام أو جماعة بغية اسقاطها لخلافات حزبية أو لحظوظ الرياسة والزعامة، وليس النظر في ذات الطريق الذي سلوكه ضلال مبين والمضي فيه مزيد من توالي الضربات على نفس الجراح ... الجراح التي لا تلتئم فهي تنزف حتى الموت ... وإن الله تعالى يصرف قلوباً منهم فيهديها إلى سواء السبيل، ويقيم عليهم حجته بسماع صوت الناصحين ولكنهم لا يحبون الناصحين بل حالهم مع الناصحين كما قال تعالى: ﴿ وَيَقْتُلُونَ ٱلَّذِينَ يَأْمُرُونَ بِٱلْقِسْطِ مِنَ ٱلنَّاسِ ﴾[آل عمران ٢١]، وحال الناصحين معهم كما قال تعالى:﴿ فَتَوَلَّىٰ عَنْهُمْ وَقَالَ يَٰقَوْمِ لَقَدْ أَبْلَغْتُكُمْ رِسَالَةَ رَبِّي وَنَصَحْتُ لَكُمْ وَلَٰكِن لَّا تُحِبُّونَ ٱلنَّٰصِحِينَ ﴾[هود٧٩].

لما يخرج المتحدث الرسمي في كلمته الموسمية يتحدث عن عملية نوعية هنا وهناك، ويشحن دَفعتهُ المعنوية لجنوده بالمضي والثبات، ويؤكد أنه لا يزال هو وحاشيته على نفس النهج سائرين وعلى درب الشيوخ والسادات ماضين، ودولته استسلمت إلى الكفار بعد موت من مات جوعاً وقصفاً من الرجال والنساء والولدان،

بعد ضياع دولة وفناء أمة في أكبر نكبة "للتيار الجهادي"[١] في التاريخ المعاصر... بعد الاستئصال والاستذلال والاستئسار بعد الدوس بالأقدام والنعال يتكلم عن المضي على نفس الطريق.

إنَّ الوقوف على حافة الطريق وقفة جادة لإعادة النظر في كل شيء، وقفة صادقة يتجرد فيها السالك من الأهواء والأدواء، ويعرض فيها نفسه وطريقه وقومه وجماعته على الميزان الحق الذي لا يُخطئ التوصيف، فينقاد إلى السبيل القويم ويعلن البراءة من سبيل المجرمين، لهو صنيع العاقل الذي مرت عليه الأحداث الجسام والنوائب العظام ودائرة الزمان، ولا يتملكه البطر والكبرياء ويكبُر عليه الحق الذي حاد عنه سلفه الأشقياء.

إن الرجوع إلى الحق وإن كان في آخر الطريق رفعةٌ عند الله تعالى، ويُعفي المتبوع من تبعات ضلال المتبوعين وقتلهم تحت رايات جاهلية، إن الوقوف بين مفترق الطرق للبحث عن سبيل المؤمنين في آخر الزمان وكثرة الفتن وشدة الاختلاف على حقيقة الإسلام مع تنوع المشارب والمدارس والمقالات ... ربما يكون بعد البأساء والضراء والزلزال الشديد والفقد الوجيع، والله عز وجل يوفق للحق من جاهد وتجرد وألقى السمع وأنصف، قال تعالى:﴿ وَٱلَّذِينَ جَٰهَدُواْ فِينَا لَنَهۡدِيَنَّهُمۡ سُبُلَنَاۚ وَإِنَّ ٱللَّهَ لَمَعَ ٱلۡمُحۡسِنِينَ ﴾[العنكبوت٦٩] ... قال أبو جعفر:﴿ وَٱلَّذِينَ جَٰهَدُواْ ﴾ يقول تعالى ذكره: والذين قاتلوا هؤلاء المفترين على الله كذبا من كفار قريش، المكذّبين بالحقّ لما جاءهم فينا، مُبتغين بقتالهم علوّ كلمتنا ونُصرة ديننا ﴿ لَنَهۡدِيَنَّهُمۡ سُبُلَنَا﴾يقول: لنوفقنهم لإصابة الطريق المستقيمة، **وذلك إصابة دين الله الذي هو الإسلام** الذي بعث الله به محمدا ﷺ يقول:﴿ وَإِنَّ ٱللَّهَ لَمَعَ ٱلۡمُحۡسِنِينَ ﴾ وإن الله لمع من أحسن من خلقه، فجاهد فيه أهل الشرك، مُصَدّقا رسوله فيما جاء به من عند الله بالعون له، والنصرة على من جاهد من أعدائه"[٢].

[١] قد أذكر في هذا الكتاب بعض الأسماء الشرعية كالجهاد والمهاجرين والأنصار ونحوها **ولا أقصد بها الحقائق الشرعية** على من نُسبت إليهم، بل نسبتها على أنها علَمٌ على طائفة اشتهر عنها هذا المسمى وإن كان الاسم لا يدل على المسمى، كالتيار الجهادي نسبة إلى جماعة القاعدة وفروعها وأفراخها، والمهاجرين نسبة لمن سافر إلى الدولة حال قيامها ونحو ذلك.

[٢] تفسير الطبري ٦٣/٢٠

قـد يكـون الـثمن غـالي والبـذل كبير ولكـن العـوض لا يقـدر بـثمن ولا يسـاوم ببـذل، إنـه النجاة في الدنيا من طُرُقِ الضلالة وفي الآخرة من نار حرها شديد وقعرها بعيد.

لقـد كنـت في زمـن مضـى وأنـا أتنقـل مـن مـنهج إلى مـنهج في جمـود عـن الحركـة بـين يـدي الكتـب الصـفراء أسـيرا لـبعض الأقـوال والآراء، أرى الخـروج مـن هـذه المدرسـة أو تلـك ضـلالة، أراه خروجـاً مـن دائـرة السـنة والجماعـة، ولقـد كـان الخـروج ذو مشـقة عظيمـة يحتـاج إلى قناعـة كبيرة وعـزم شـديد وطبـع عنيـد، وقـد انتفعـت بعلـوم حصـلتها في تلـك المـدارس عبر سـنين الأمـن والتفـرغ لدراسـة المطـولات، ولكنني كنـت متمـرداً على تلـك المـدارس لا أرضـى بـالحجر علـى العقـول وقوقعـة المـدارك، فـدائما أقـرأ للمخـالفين مـدافعاً للهـوى، قـد أقـع في هُـوَّة الانتصـار للباطـل أحيانـاً ولكـن يردني صـوت الحـق القـاهر مـن بعيـد فيـتمكن مـن قلبي بسـلطانه القـديم، فـأخرج مـن قوقعـة إلى أخـرى، وأتـردى بـين الحفـر وأعـرج إلى الحـق في أرض مليئـة بالأشـواك والعثرات والمعوقـات، إنهـا الطريـق إلى الحـق الـذي قـد وضـع فيـه أصـحاب المـدارس سـدوداً وخنادقـاً وسـواتراً، فتَجاوُزُهَـا لمـن تشربها يحتـاج إلى قـوة جـذب وإخـلاصٍ ويقـين، وإن اللـه يُهيئ عبـاده لتحمـل الحمـل الثقيـل، فالسـير في خلـع هـذه الأشـواك يمـر بسـالكه عبر الـبلاء وهـو بحـد ذاتـه تمحـيص لـيعلم اللـه الصـادق مـن الكـاذب، ولا يـزال السـالك يهـدم الأصـنام تلـو الأصـنام إلى أن يصـل إلى إفـراد العبوديـة للـه وحـده بعـد أن يخلـع الرمـوز والأوثـان ويتبرأ مـن عابـديها ومنظريهـا والأصـنام، كمـا قَـالَ عَبْـدُ اللَّـهِ بْـنُ الْمُعْتَـزِّ:« لَـوْلَا الْخَطَـأُ مَـا أَشْـرَقَ نُـورُ الصَّـوَابِ وَبِالتَّعِـبِ وُطِـئَ فِـرَاشُ الرَّاحَـةِ وَبِالْبَحْـثِ وَالنَّظَـرِ تُسْـتَخْرَجُ دَقَـائِقُ الْعُلُـومِ وَلَا فَـرْقَ بَـيْنَ جَاهِـلٍ يُقَلِّـدُ ، وَبَهِيمَـةٍ تَنْقَـادُ»[1] ... يصـل بعـد تـوالي المطـارق وقطـع جميـع العلائـق والتجـرد للحـق بقصـدٍ وعـزمٍ صـادق، فـإن حقيقـة هـذا الـدين العظـيم في زمـن الفـتن لا تنكشـف في جـلاء ووضـوح إلا لمـن تحـرك بـه، فالـذين يخرجـون إلى المنـاجزة هـم أولى النـاس بفقهـه ودرايتـه، والـذين يعملـون على تقريـره في واقـع النـاس وتغليبـه على الجاهليـة هـم الـذين تتبـين لهـم حقيقتـه أثنـاء المدافعـة، أمـا الـذين يتفرغـون لدراسـة الكتـب دراسـة بـاردة، المسـتغرقين في المطـولات والعـاكفين على الشاشـات والمنتـديات في هـذا الزمـان، فهـؤلاء عـزَّ فـيهم الحـق لغربتـه بيـنهم، وأكثـرهم يصـححون واقـع النـاس بمـا يحرفونـه مـن ديـن اللـه اسـتحبابا للحيـاة الـدنيا واستشـرافا لهـا... إنهـم يبغونهـا عوجـا قصـدهم إلى تثبيـت أوضـاع هـذه الجاهليـة النكـراء ليعيشـوا فيهـا بـأمن وسـلام، قـال اللـه تعـالى:" :﴿ فَلَوْلَا نَفَرَ مِن كُلِّ فِرْقَةٍ

[1] الفقيه والمتفقه ٢/٨

مِّنۡهُمۡ طَآئِفَةٞ لِّيَتَفَقَّهُواْ فِي ٱلدِّينِ وَلِيُنذِرُواْ قَوۡمَهُمۡ إِذَا رَجَعُوٓاْ إِلَيۡهِمۡ لَعَلَّهُمۡ يَحۡذَرُونَ ﴾[التوبة ١٢٢]

قال الحسن: «ليتفقه الذين خرجوا، بما يُريهم الله من الظهور على المشركين والنصرة، وينذروا قومهم إذا رجعوا إليهم»[١].

أظنُ أنَّ كلاً من السلفية العلمية والسلفية الجهادية والسلفية الصوفية وسلفية الصحوة وسلفية اسكندرية والسرورية والأحزاب الإخوانية وجماعة الدعوة والتبليغ وغيرهم ممن يرفعون رايات الإصلاح في هذا الزمان، يُقِرُّون بفساد هذه المجتمعات ويستنكرون واقع الناس وما صاروا إليه من الانحلال والبعد عن تعاليم الإسلام، وكلهم سلك طريقا في الإصلاح المزعوم واتخذ سبيلا ومنهجا إلى التغيير المنشود، وإن اختلفوا في المنهج فقد اتفقوا في أسماء الدين لهذه الأقوام والشعوب، وللأسف ليس أحد منهم بدأ من نقطة البدء الصحيحة ووضع قدمه على أصول سليمة وبنى دعوته وحركته على منهاج نبوي قويم، إن لم يصل في الدنيا إلى ثمرة أو تمكين فله الأجر الجزيل لسيره على صحيح السبيل ... بل كلهم اتبعوا السُبُل و شذُّوا عن السبيل.

فمنهم من سلك مسلك التصفية والتربية ــ كالسلفية العلمية أو بالأحرى السلفية الصوفية ــ أي: دعوة الناس بتصفية الفروع من البدع الإضافية وتربيتهم على طاعة

---

[١] رواه الطبري في تفسيره برقم ١٧٤٧٩وقال أبو جعفر:" وأولى الأقوال في تأويل ذلك بالصواب أن يقال: تأويلُه: وما كان المؤمنون لينفروا جميعًا ويتركوا رسول الله ﷺ وحده، وأن الله نهى بهذه الآية المؤمنين به أن يخرجوا في غزو وجهادٍ وغير ذلك من أمورهم، ويدعوا رسول الله ﷺ وحيدًا. ولكن عليهم إذا سَرَّى رسول الله سرية أن ينفر معها من كل قبيلة من قبائل العرب وهي الفرقة (طائفة)، وذلك من الواحد إلى ما بلغ من العدد، كما قال الله جل ثناؤه: ﴿ فَلَوۡلَا نَفَرَ مِن كُلِّ فِرۡقَةٖ مِّنۡهُمۡ طَآئِفَةٞ ﴾، يقول: فهلا نفر من كل فرقةٍ منهم طائفة؟ وهذا إلى هاهنا، على أحد الأقوال التي رويت عن ابن عباس، وهو قول الضحاك وقتادة.

وإنما قلنا: هذا القول أولى الأقوال في ذلك بالصواب، لأن الله تعالى ذكره حظر التخلف خلاف رسول الله ﷺ على المؤمنين به من أهل المدينة مدينة الرسول ﷺ، ومن الأعراب، لغير عذر يُعذرون به، إذا خرج رسول الله لغزوٍ وجهادِ عدوٍّ قبل هذه الآية بقوله: ﴿ مَا كَانَ لِأَهۡلِ ٱلۡمَدِينَةِ وَمَنۡ حَوۡلَهُم مِّنَ ٱلۡأَعۡرَابِ أَن يَتَخَلَّفُواْ عَن رَّسُولِ ٱللَّهِ ﴾، ثم عقب ذلك جل ثناؤه بقوله: ﴿ وَمَا كَانَ ٱلۡمُؤۡمِنُونَ لِيَنفِرُواْ كَآفَّةٗ ﴾، فكان معلومًا بذلك إذْ كان قد عرّفهم في الآية التي قبلها اللازمَ لهم من فرض النَّفْر، والمباحَ لهم من تركه في حال غزو رسول الله ﷺ ، وشخوصه عن مدينته لجهاد عدوّ، وأعلمهم أنه لا يسعهم التخلف خِلافه إلا لعذر، بعد استنهاضه بعضهم وتخليفه بعضهم أن يكون عَقِيب تعريفهم ذلك، تعريفُهم الواجبَ عليهم عند مقام رسول الله ﷺ بمدينته، وإشخاص غيره عنها، كما كان الابتداءُ بتعريفهم الواجب عند شخوصه وتخليفه بعضهم.

وأما قوله: ﴿ لِّيَتَفَقَّهُواْ فِي ٱلدِّينِ وَلِيُنذِرُواْ قَوۡمَهُمۡ إِذَا رَجَعُوٓاْ إِلَيۡهِمۡ لَعَلَّهُمۡ يَحۡذَرُونَ ﴾، فإن أولى الأقوال في ذلك بالصواب، قولُ من قال: ليتفقه الطائفة النافرة بما تعاين من نصر الله أهلَ دينه وأصحابَ رسوله، على أهل عداوته والكفر به، فيفقه بذلك من مُعاينته حقيقةَ علم أمر الإسلام وظهوره على الأديان، من لم يكن فقهه، ولينذروا قومهم فيحذروهم أن ينزل بهم من بأس الله مثل الذي نزل بمن شاهدوا وعاينوا ممن ظفر بهم المسلمون من أهل الشرك إذا هم رجعوا إليهم من غزوهم (لعلهم يحذرون) ، يقول: لعل قومهم، إذا هم حذروهم ما عاينوا من ذلك، يحذرون فيؤمنون بالله ورسوله، حذرًا أن ينزل بهم ما نزل بالذين أخبِروا خبرَهم

الطواغيت وحملهم على الركون والسكون وعدم الثورة أو الخروج أو التشنيع، وهؤلاء هم علماء السلطان وأصحاب الولايات الدينية في الأنظمة الجاهلية، كالمداخلة والحدادية وجماعة التبليغ وغيرهم.

ومنهم من سلك مسلك تغيير نظام الحكم فبعضهم اختار صناديق الاقتراع والدخول في دين الديمقراطية كالإخوان وحزب التحرير، ومن ثَم التدرج في تنزيل الأحكام زعموا، فلما وصل منهم من وصل إلى المقعد المنشود كان أشد تقديساً للديمقراطية من اللبراليين والعلمانيين أنفسهم، حتى قُتلوا صبرا في ساحات "الحرية" وهم يهتفون: "في سبيل الشرعية الدستورية".

ومنهم من اختار قتال الأنظمة على الملك كالقاعدة وفروعها، فمنهم من مرت عليه السنين العجاف فلم يلق إلا البأس والشدة والنكال، ومنهم من باع القضية بعد أن طال عليهم الأمد كالنصرة وطالبان ودخل تحت مظلة النظام العالمي وسار وفق الأجندات الغربية، ومنهم من مكَّنهم الله في الأرض وأمدهم بالمال والرجال لينظر كيف يعملون وصدق فيهم قوله تعالى: ﴿ثُمَّ جَعَلْنَٰكُمْ خَلَٰٓئِفَ فِى ٱلْأَرْضِ مِنۢ بَعْدِهِمْ لِنَنظُرَ كَيْفَ تَعْمَلُونَ ﴾[يونس١٤]، وقال تعالى: ﴿هُوَ ٱلَّذِى جَعَلَكُمْ خَلَٰٓئِفَ فِى ٱلْأَرْضِ ۚ فَمَن كَفَرَ فَعَلَيْهِ كُفْرُهُۥ ۖ وَلَا يَزِيدُ ٱلْكَٰفِرِينَ كُفْرُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ إِلَّا مَقْتًا ۖ وَلَا يَزِيدُ ٱلْكَٰفِرِينَ كُفْرُهُمْ إِلَّا خَسَارًا ﴾[فاطر٢٩]، وسيأتي الحديث عليهم مفصلاً في هذا الكتاب.

وكلهم قامت قائمته على الحاضنة الشعبية: فالإخوان يدعونهم إلى الاقتراع والتصويت، والقتاليين يدعونهم للدفع والنصرة، وقد انطلقوا من مقدمات غير صحيحة ونظرة خاطئة في واقع الناس وتأصيل فاسد لأسماء هؤلاء الجاهليين ... إن هذا النظر في الواقع الجاهلي وما ترتب عليه من أسماء وأحكام عند هؤلاء الجماعات هو سبب ضياع هؤلاء في سُبُلٍ لا يمكن أن يصلوا منها إلى إقامة المجتمع المسلم الذي تقوم عليه الدولة المسلمة، إنه انطلاق خاطئ في طريق مخالف، وليس انحراف يسير بل سلوك غير السبيل إنه الدخول في المتاهة الكبيرة.

إن الطبيب الحاذق هو الذي يعرف تشخيص المرض الذي يصف على إثره الدواء والعلاج النافع ويكون به الشفاء بإذن الله تعالى، أما الذي لا يستطيع تشخيص المرض

سيشتغل بغيره ويؤدي إلى تفاقمه فإن كان يحتاج إلى كي لربما صار يحتاج إلى بتر أو يؤدي به الإهمال إلى الوفاة.

إن دعوة الناس إلى ذروة سنام الإسلام وهم لم يحققوا الإسلام ابتداءً، لهو كحمل المسافر في جرابه الرمال يُتعبه ولا ينفعه، ومن ظن أنه ستقوم الدولة الإسلامية في هذه الجاهلية على هؤلاء الجاهليين بمجرد خلع الأنظمة وتطبيق الحدود الشرعية ـ كما هو تصور القتاليين اليوم ـ فهذا أحمق يقود مجموعة من الحمقى يعيشون في وهم كبير وواقع الدولة خيرُ شاهد ... إن إقامة الحدود على المشركين وأخذ الزكاة منهم ودعوتهم لقتال إخوانهم لا يُصيِّرُهم مسلمين، فهم غير مخاطبين بفروع الشريعة ابتداءً بل مخاطبين بأصلها ... وإن قضية وجود الإسلام والمسلمين اليوم هي التي تحتاج إلى علاج وهي نقطة البدء التي ينبغي الانطلاق منها في المنهج الحركي لتغيير الواقع الجاهلي وإقامة المجتمع المسلم الذي يوازي المجتمع الجاهلي ويدافعه حتى يظهر عليه.

إن تجميع الناس على حقيقة ومدلول الكلمة الطيبة ـ لا إله إلا الله ـ فتمتد بجذورها في قلوبهم فهماً وعلماً وعملاً هو الذي يؤتي أكله بعد التمحيص بإذن الله تعالى، أما السعي في إقامة الدولة بإقامة الأحكام العملية على المجتمعات الجاهلية فهو كمن يريد بناء الصرح فوق رمال متحركة بلا أساس له ولا أصول راسخة، ولا يدر هذا الجاهل أنَّ هذا المحل غير قابل لهذا البناء فسيلفظه ولو بعد حين ... إن هؤلاء يبغونها عوجا لأن المجتمع المسلم سابق في الوجود على الأحكام والشرائع، يتهيأ عقائدياً لتلقي الأحكام والخضوع والانقياد لمن دان له بالطاعة والاتباع، وليس إجراء الأحكام هي التي تُصيِّرُ المجتمع مسلما!!، والناظر في أول الأمر يجد أن نزول الكثير من الأحكام الفقهية والفروع العملية ولَّدَها المجتمع المسلم أثناء حركته وصدامه مع واقع الناس وما ترتب على ذلك من افرازات واشكالات جاءت حلولها عبر شرائع منزلة، فتنزيل الأحكام والحدود على المجتمع الجاهلي تنزيلٌ في فراغ لأن طبيعة التركيب في المجتمع الجاهلي تُناقض تماما طبيعة التركيب في المجتمع الإسلامي، فإن الاستسلام لله تعالى والخضوع والانقياد له والتلقي في العقائد والأخبار والشعائر والشرائع والنظام ومنهج الحياة لا تنبثق إلا من قلوب مستسلمة لله بالتوحيد فتنقاد له طوعاً بالسمع والطاعة، إذ كيف تتحمَّلُ قلوبٌ خاوية من الاستسلام والتسليم والتوحيد التكاليف العظيمة لهذا الدين، فتلك القلوب الخاوية لا تُطيق حمل هذه الأمانة العظيمة التي تنوء بحملها الجبال الرواسي، ولا يكفي

في ذلـك إثـارة العواطـف والحماسـات وإشـاعة الـرؤى والمنامـات لتكمـل المسـير الطويـل الذي تخور فيه عزائم أمثال هؤلاء عندما تنتهي مفعولات تلك المخدرات.

إنَّ المجتمـع المسـلم يقـوم على التوحيـد ابتـداءً، وعلى هـذا الأصـل العظـيم تكـون حركـة المجتمـع الـذي تهيـأ لـه الأرض بالمدافعـة أو الهجـرة والمفاصلـة بالأبـدان ثـم تقـام الدولـة على هـؤلاء النُزَّاع، هـذا هـو المـنهج الحركي الصـحيح في إقامـة الدولـة في هـذا الزمـان كـذاك الزمـان، ولا أسـتطيع أن أسـتطرد في هـذه المقدمـة أكثر مـن هـذا وسـيأتي معنـا حـين عـرض تجربـة الدولـة والوقـوف مـع وقـائع وشـواهد تثبـت عـدم إمكانيـة تقليـد الخنـازير الجـواهر والدرر.

أمـا إذا نظرنـا في الواقـع والبيئـة والأرضـية التي قامـت عليهـا "الدولـة "الإسـلامية" في أصـل الوضـع، فقـد قامـت على بقايـا ضـباط البعـث والحـرس الجمهـوري وفـدائيِّ صـدام الـذين لـم يكـن لهـم خيـار إلا قتـال المحتـل الأمريكـي في خنـدق واحـد مـع الثـوار الـذين كوَّنـوا جماعـات وحركـات قامـت عليهـا الدولـة في حلـف المطيبـين[1] الـذي هـو خلـيط بـين فصـائل متباينـة وبعـض زعمـاء العشـائر، وأحـد مفاصـله قاعـدة الجهـاد التي كـان عليهـا أبـو حمـزة المهـاجر بعـد البيعـة المشـهورة، فقامـت على إثـر ذلـك دولـة قطريـة أميرهـا ضـابط أمـن قديم "أبو عمر البغدادي"[2].

لا شـك أنهـم تـابوا[3] مـن الانتمـاء القـديم ـ للنظـام العراقي ـ وسـلكوا مسـارا جديـدا نحـو إقامـة دولـة "إسـلامية" على تصـور معـين، ولكـن هـذا التحـول لا ينفـك عـن طبيعـة البنـاء لهـذه الدولـة الوليـدة، والخلفيـة التي نشـأت عليهـا الكـوادر التي تخرجـت مـن ثكنـات النظـام

[1] "حلـف المطيبـين"، الـذي كـان يضـم "مجلـس شـورى المجاهـدين" مـع بعـض زعمـاء العشـائر "السـنية"، انعقـد في ١٢ تشـرين الأول/ أكتـوبر ٢٠٠٦، تمهيـدا لتأسـيس الإمـارة، وبعـد أيـام مـن ذلـك، في ١٥ تشـرين الأول/ أكتـوبر ٢٠٠٦، أعلـن عـن تأسـيس "دولـة العـراق الإسـلامية" في المحافظـات العراقيـة السـنية، التي تسـيطر الدولـة على مسـاحات واسـعة منهـا، تحـت بيعـة "أبـو عمـر البغـدادي"، ووزيـر حربـه أبـي حمـزة المهـاجر، وهيمنـة المكـون العراقي على بقيـة مفاصـل "دولـة العراق الإسلامية".

[2] أبـو عمـر البغـدادي: أمير دولـة العـراق الإسـلامية مـن ٢١ رمضـان ٢٠٠٦ إلى ٢٠١٠ وهـو الـذي كـان أميرا لجـيش الطائفـة المنصـورة ثـم بـايع تنظـيم القاعـدة في بـلاد الرافـدين الـذي شـكل فيمـا بعـد مـع جماعـات أخـرى مجلـس شـورى المجاهدين الذي صار هو أميرا عليه.

[3] ونحـن لا نتـاقش هـذه التوبـة هـل تصـح لهـم إسـلاماً؟، فهـم خرجـوا مـن كفـر وانتمـاء ولكـنهم لـم يـدخلوا في الإسـلام الصحيح، حيث لم يحققوا البراءة التامة والتوبة الكاملة الصحيحة.

البعثي، قد يكونوا عسكريين ذوو كفاءة وكذلك الحال، ولكن مثل هذه السفينة تحتاج إلى قيادة شرعية ذات أهلية الاجتهاد بعقيدة صحيحة ونظرة سليمة لواقع الناس ومنهج حركي نبويٍّ وسياسة حكيمة راشدة، وهذا المعدن للأسف لم يكن موجوداً في هذا الممزوج، بل الموجود هو قيادة متكونة من بقايا حزب البعث العراقي بتلك الرواسب الوضعية والعقلية الاستخباراتية المستَحكِمة في اللبنة الأولى لهذه الجماعة، تقود جموع المهاجرين بسوء الظن و عشوائية التسيير، فهم عندها أرقام ووجبات ووقود حرب إبادة في أسخن الجبهات حتى فنوا وهم يتتبعون مواقع النفط والغاز في بيجي وكركوك، ثم سُبيت نساؤهم في الموصل القديمة، إنها قلوب كزبر الحديد من تعرض لسياستها تقذف به إلى حمم الصليب أو تعرضه على سيف الغدر اللعين، فليس هناك إلا رؤية واحدة فلا تمضي إلا سياستهم وديانتهم، إنها نار تأكل كل من خالفها فلا تترك حولها إلا من يُنفذ تلك السياسات الهوجاء، إنها النظرة الأُحادية باسم لا أريكم إلا ما أرى وما القول إلا ما نقول، فمضت الدولة على رواسب هذه المدرسة ولم يؤثر فيها الكادر القادم من المشرق والمغرب ... وأضرب لذلك أمثلة:

❁ ضابط استخبارات قديم في نظام البعث يُولَّى ولاية كركوك ثم هيئة المعسكرات في الشام ثم إدارة هيئة الحرب، كيف تتوقع أداءه في عمله؟ هل حِلمُه على جنوده سيكون كشعرة معاوية رضي الله عنه ... هيهات هيهات، بل كان نقمةً على جنود الدولة وجهاتها.

❁ محقق في النظام النصيري انشق منه وانضم إلى الدولة وبايعها تائبا من انتمائه القديم، ثم بعد فترة استلم مكتب التحقيق في أحد أقبية سجون الأمن، وتُرِكَ له العمل بدون ضوابط التحقيق الشرعية، فكيف تتوقع أن يكون أداءه في عمله الجديد؟ لا شك أنك ستجد أحد أفرع الأمن النصيري حذوا القذة بالقذة تحت لافتة إسلامية، فهل نفعته توبته من عمله القديم في عمله الجديد؟ ... لم تنفعه لأنها توبةٌ غير كاملة فهي توبة من الانتماء لا من الاتباع إذ هو يجهل أن هناك نوع من أنواع الشرك اسمه شرك الطاعة والاتباع.

❁ قاض للنظام النصيري في الأحوال الشخصية يُولى القضاء للدولة في الشؤون الأسرية، فعلى أي مذهب تتوقع أنه سيقضي؟ أنا أظن أنه سيلفق مذهبا بين دراسته الوضعية وانتمائه الجديد، وسيحكم حتماً بالقوانين فهو لا يعرف الفرق بين الطلاق

البدعي والطلاق السني !!، ثم لا تلبث أن تقتله الدولة بتهمة الجوسسَة ... التهمة المطاطية في الدولة.

❁ طالب علم درس في سجون بوكا أو الحاير استلم ولاية شرعية: هل تظن أنه سيقرر عقيدة مخالفة لم تلقاه عن الجبوري أو العلوان، أو سيمضي على ما أُشربه ويؤدي ما تحمَّله؟ ... أكيد أنه سيقرر عقيدة المشايخ ولا يحيد عنها أنملة - إلا من رحم الله -

هذه نماذج من أثر تلك الرواسب الجاهلية فصاحب الخلفية الوضعية إذا استلم ولاية شرعية على خواء علمي أو على دين محرف فلا شك أنه سيحاكي ويخطو على أثره القديم، وعلى هذه الخلفيات والمشارب والرواسب قامت الدولة وهذه البضاعة التي كانت تُنفق فيها مع رفعها للافتة المضلِّلَة على الجهال بحقيقة الحال أو بحقيقة الدين.

وفي الحقيقة أن الواقع الشرعي في الدولة كان كارثياً فالتوسع الأفقي المتسارع بين الشام والعراق أدى إلى تولية الجهال للولايات الدينية، وبالتالي وقع فساد عظيم في الأرض تحت ظلال راية الخلافة، لقد كان الكادر الموجود في الدولة لا يستطيع تغطية ولاية الرقة فقط!! ولك أن تتصور حجم الفراغ الشرعي الموجود فيها مع امتدادها.

إن الدولة لم ينفر إليها أصحاب المدارس بقدر ما نفر إليها وقود الحرب، لأن المادة الإعلامية لم تكن تُخاطب هذا الصنف بما يزيل العوائق والعلائق بل كان الترويج لمادة "الأكشن" لاستقطاب أصحاب القلوب المقبلة على إقامة الدين وصرح الخلافة ونصرة "المسلمين"، وهذا الصنف تدفعه الحمية والحماسة ليُدفع به إلى معارك الفناء قبل انطفاء شعلة العواطف الموقدة ... لذلك لا تجد في الدولة من يملأ هذا الفراغ الشرعي الرهيب الذي يحتاج إلى جيش من الدعاة لا من المقاتلين ... طبعاً مع كتم الدولة على أنفاس الموجود، وقتل من خالف الدولة سياسياً أو منهجيا أو شرعياً فلا يبقى إلا من يؤصل لسياساتها الجوفاء، والإلقاء بمن نفر من طلبة العلم إلى جبهات ساخنة فيذهبون ولا يعودون في غالب الأمر - إلا من أطال الله بقائه -

لا يستطيع أن ينكر أحد أن مناطق تجمع المهاجرين في الشام بالخصوص في ريف حلب والرقة كانت فيها شعائر الإسلام ظاهرة كحمل الناس على المعروف الظاهر أطراً، وإنكار المنكر الظاهر احتساباً، ولقد استخفى الناس بمنكراتهم عن أعين المحتسبين، وغالب الأمر أن الدافع لهم هو خوف دِرة الحسبة ومراقبة سياراتها لا مراقبة المولى تعالى، لذلك حصلت صدامات متكررة بين جهاز الحسبة ورعية أمير المشركين ... وكذا

هُـدمت صـروح شـرك العبـادة السـورية والعراقيـة ـ عـدا التركيـة! ـ فلـم يبـق للمشـركين مجـال لإقامـة شـعائرهم مـع بقائهـا في قلـوبهم ـ إلا مـن رحـم اللـه ـ فأزالتهـا مـن الوجـود مـع بقائهـا حاضـرة في الصـدور متعلقـة بهـا القلـوب ... وكـذلك رفعهـا رايـة القتـال واثخانهـا في صـنوف الكفـار وبلائهـا الـبلاء الحسـن في هـذا المقـام، وكـل هـذه الأعمـال محمـودة في الظـاهر إن كانـت قائمـة على أصـل صحيح، أمـا في واقـع الحـال فقـد تُـرك أعظـم منكـر وهـو إقـرار المشـركين على شـركهم واسـمهم، وتُـرك أعظـم معـروف وهـو دعـوة النـاس إلى توحيـد ربهـم وبيـان حقيقـة اسـمهم وحكمهـم، فالاشـتغال عنـه بـدعوتهم إلى إقامـة الصـلاة وإيتـاء الزكـاة والحجـاب والعفـاف ونهـيهم عـن المنكـرات الظـاهرة لهـو اشـتغال عـن الأصـل بـالفرع، قـــال تعـــالى: ﴿ كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ ۗ وَلَوْ ءَامَنَ أَهْلُ ٱلْكِتَٰبِ لَكَانَ خَيْرًا لَّهُم ۚ مِّنْهُمُ ٱلْمُؤْمِنُونَ وَأَكْثَرُهُمُ ٱلْفَٰسِقُونَ ﴾[آل عمـران ١١٠]، عَـنْ أَبِـي الْعَالِيَـةِ، فِي قَوْلِـهِ: ﴿ تَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ ﴾ قَـالَ: «بِالتَّوْحِيـدِ ﴿ وَتَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ ﴾ قَـالَ: عَـنِ الشِّـرْكِ»[١]، وعـن مجاهـد في قولـه: ﴿ كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ ﴾: «كنـتم خير النـاس للنـاس على هـذا الشـرط: أن تـأمروا بـالمعروف، وتنهـوا عـن المنكـر. وتؤمنـــوا باللـــه يقـــول: لمـــن بـــين ظَهريـــه، كقولـــه: ﴿ وَلَقَدِ ٱخْتَرْنَٰهُمْ عَلَىٰ عِلْمٍ عَلَى ٱلْعَٰلَمِينَ ﴾ [سورة الدخان: ٣٢] »[٢].

وأمـا القتـال فهـو في حقيقـة أمـره دفـعٌ عـن المشـركين و تثبيـتٌ لعـروش الكـافرين، أو فـتحٌ لـديارهم وإقـرارهم على اسـمهم وحكمهـم، فَتَحصَّـلَ بـذلك فسـادُ الفـروع عنـد فسـاد الأصـول ... لـذلك قررنـا أن كـل انطـلاق مـن غير نقطـة البـدء الصـحيحة ضـياع ودخـول في متاهـة فضـلاً عـن العواقـب والتبعـات الكارثيـة والجنايـة على ديـن اللـه تعـالى، فعـن أَبـي عُبَيْـدَةَ بْـنُ حُذَيْفَـةَ قَـالَ :« جَـاءَ رَجُـلٌ إِلَى حُذَيْفَـةَ بْـنِ الْيَمَـانِ وَأَبُـو مُوسَى الأَشْـعَرِيُّ قَاعِـدٌ فَقَـالَ : أَرَأَيْـتَ رَجُـلا ضَـرَبَ بِسَـيْفِهِ غَضَـبًا لِلَّـهِ حَتَّى قُتِـلَ أَفِي الْجَنَّـةِ أَمْ فِي النَّـارِ ؟ فَقَـالَ أَبُـو مُوسَى : فِي الْجَنَّـةِ، قَـالَ حُذَيْفَـةُ : اسْـتَفْهِمِ الرَّجُـلَ وَأَفْهِمْـهُ مَـا تَقُـولُ، قَـالَ أَبُـو مُوسَى : سُـبْحَانَ اللَّـهِ ! كَيْـفَ قُلْـتَ؟ قَـالَ: قُلْـتُ: رَجُـلا ضَـرَبَ بِسَـيْفِهِ غَضَـبًا لِلَّـهِ حَتَّى قُتِـلَ أَفِي الْجَنَّـةِ أَمْ فِي النَّـارِ؟ فَقَـالَ أَبُـو مُوسَى : فِي الْجَنَّـةِ، قَـالَ حُذَيْفَـةُ : اسْـتَفْهِمِ الرَّجُـلَ وَأَفْهِمْـهُ مَـا تَقُـولُ حَتَّى فَعَـلَ ذَلِـكَ ثَـلاثَ مَـرَّاتٍ، فَلَمَّـا كَـانَ فِي الثَّالِثَـةِ قَـالَ : وَاللَّـهِ لا تَسْـتَفْهِمُهُ، فَـدَعَا بِـهِ

[١] تفسير مجاهد ٢٥٧/١

[٢] رواه الطبري في تفسيره برقم ٧٦١٥

حُذَيْفَةُ فَقَالَ :« رُوَيْدَكَ إِنَّ صَاحِبَكَ لَوْ ضَرَبَ بِسَيْفِهِ حَتَّى يَنْقَطِعَ فَأَصَابَ الْحَقَّ حَتَّى يُقْتَلَ عَلَيْهِ فَهُوَ فِي الْجَنَّةِ، وَإِنْ لَمْ يُصِبِ الْحَقَّ وَلَمْ يُوَفِّقْهُ اللَّهُ لِلْحَقِّ فَهُوَ فِي النَّارِ" ثُمَّ قَالَ : وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ " لَيَدْخُلَنَّ النَّارَ فِي مِثْلِ الَّذِي سَأَلْتَ عَنْهُ أَكْثَرُ مِنْ كَذَا وَكَذَا»[1].

لما تقوم دولة في هذه البيئة الجاهلية ويتبنى أميرها هؤلاء الجاهلين رعية له ويسميهم "رعية أمير المؤمنين" ويقتل من ينازعُه في اسمهم وحكمهم، ثم تُلَقِّب هذه الدولة نفسها بألقاب السُؤدد والكمال وتُضفي عليها صفة البقاء وعدم الفناء، وتُنزل على نفسها أحاديث آخر الزمان ـ الضعيفة منها والموضوعة ـ وأنها هي الوعد الموعود والامتداد لخلافة العمرين ... هي التي ستُسلِّم الراية للرجل الصالح، ويُدعى الناس لها من أقاصي البلاد تحت شعار "هلموا إلى دولتكم"، ويُصور الإعلام الأمر في أبهى صورته ويَلبسُه لباس زور على غير حقيقته، فيتم تجميع أصحاب هذه الأحلام وإخراجهم من دورهم وديارهم وتفتح لهم الأبواب وتُرفع العوائق من السبل، فيتوافدون إلى هذا الحلم الجميل بنسائهم وأولادهم تحت أعين الطواغيت على طول الطريق، فيجتمع فيها عشرات الآلاف من أصحاب هذه الأحلام ليتم بعد ذلك الاكتفاء بهذه الأعداد، وليس الخروج بعدها كالدخول ليُجعل بعدها هذا المشروع الذي بُنِيَّ على شفا جرف هار عبرة للأقران والجاهليين، ويتم القضاء عليه بكل وحشية حتى لا تفكر الأجيال من بعدهم في إعادة مجد لها ضائع أو أن تسرح في حلمها مسترسلة في عودته بعد هذه الإبادة والنكبة، ولسان الحال: هذا هو المشروع وهذا المصير، إنه مراد الغرب وكذبوا ليس كذاك هو المشروع والمصير إلى الله والأرض لله يورثها من يشاء من عباده والعاقبة للمتقين.

قد يكون قومنا أغمار أجابوا الصدى البعيد وأورثوا أنفسهم بالدعاوى وليس لهم من اسمهم نصيب، وصدَّقهم السُذَّج من الطيبين، ولكن ليس لمن رفع هذا الشعار أن يكون أحمقاً يُجمِّعُ نساءه وولدانه ليقدمهم رقيقاً لأعدائه وهو يعلم علم اليقين أنه لا طاقة له بأعدائه مجتمعين، وإن كنتُ أرفض مطلقاً فرضية التواطؤ فهي خيال لا واقع له في حقيقة الأمر، ولكن قومنا اشتغلوا بثياب الخليفة وعمامته وترصيع تاج وقاره وخلافته على حقيقة الأمر التي كانت أكبر من العقول المتقوقعة في زوايا متحجرة والقلوب التي تتعلق بالرؤى والمنامات العابرة، والسياسات الهوجاء التي تستنفر عليها

[1] البدع لابن وضاح برقم ٨٣

جميع قوى العالم لقتالها وتستفزها بأعمالها، حتى لم تترك خط رجعة خلفها ولا أمامها، ولا مأوى غيرها للمهاجرين بل فيها الحياة أو الموت لهؤلاء، فعلاً لقد كانت سياسيات تسير على وفق ما يرسمه الغرب، فالغرب ينفخ في هذا الورم الطارئ والدولة تزيده من الفطريات والأدواء التي تضاعف المرض مما يؤدي إلى بتره والإجهاز عليه، لقد كانت القيادة بِغُشمها آلة في أيدي الغرب تسير على ما رسمته مراكز دراساتها وبحوثها ... إن القضية أكبر من القتل والضياع والأسر والجراح لقد كانت في تدنيس مشروع طاهر بأقوال وعقائد وأفعال لا تمت إليه بصلة ونسبتها إليه لترتبط هذه الأفعال به في أذهان الجاهليين لينظروا بعد ذلك إلى النهاية الأليمة والرمق الأخير فيصير الحلم الجميل إلى كابوس مرعب لا يجرؤ أحد بعد ذلك على تبنيه فضلا على تلبية الدعوات من هنا أو هناك لإقامته وبناء صرحه من جديد، وهو المشروع الذي يقضُّ مضاجع الغرب حقيقة فتركوا سُفهائنا يقيموا نسخة غير أصلية منه حتى إذا اكتملت الصورة المشوهة تم اجتثاثها في نهاية مرعبة.

ولما تنظر إلى الدولة من خلال إعلامها الذي كان يهدف إلى التجميع والتلميع، وذلك برسم صورة مشرقة وجوانب مضيئة في جميع المجالات لقصد دعوة الجاهليين إلى هذا المشروع، وفي المقابل حينما تنظر إلى الواقع عن قرب ولما يصل النافر إلى تلك الديار يصطدم بحقيقة الأمر ... للأسف إنه مخالف تماماً لما تم الترويج له والدعوة إليه، حتى قال بعض المهاجرين: أريد أن أعيش في الدولة التي في الإعلام!!، وقد كنا كثيراً ما تستيقن قلوبنا أن العدو أقرب إلينا من شراك نعالنا ولما نسمع إلى نشرة الأخبار نقول لعل الأمور لا تزال بخير، وإن كان كبار العسكريين ـ أبو عبد الله الطاجيكي ـ في تقدم البي كي كي على الرقة في أول نكبة كوباني يقول لا نستطيع أن نوقف تقدم العدو ليس لنا إلا العرقلة أو التأخير فالتحالف إذا أراد أن يأخذ قرية أخذها ـ بإذن الله ـ وهذا لا يحتاج أن يقوله كبار العسكريين بل كل من كان في الجبهة يعلم هذا علم اليقين لما يرى من آلة التدمير التي لا تقف أمامها الصدور العارية والقلوب الخاوية، نعم لقد كان الواقع مخالفا تماما لشاشات الإعلام كان الواقع أشد صعوبة وتعقيدا من أحلام المهاجر إلى تلك الديار .

إن الدولة لا تنتصر بكلمة نارية من خطيب مفوه يجرجر فيها أمريكا والغرب لحرب ليس لنا بها طاقة ولا قبيل، لا تنتصر الدولة بإصدار هوليودي من مؤسسة الفرقان، يصور جانبا أحاديا من جوانب المعركة، وصدق ذاك الأعجمي الذي فر من جبال

مكحـول فلمـا سُـئل في سـجون الأمـن عـن سـبب فـراره وتركـه القتـال، قـال أنـا رأيـت في الإصـدارات نحـن نرمي والعـدو هـروب وفي الواقـع نحـن بـين هـارب أو مقتـول والعـدو يتقـدم ... قال أخي أنتم كذاب.

إن الدولــة تنتصــر بالاســتقامة علــى أمــر اللــه وهــذه الاســتقامة تقتضــي الصــدق والصـدق نجـاة والكـذب مهلكـة، وكـذلك كانـت الدولـة مهلكـة بحـق حيـث أنهـا تريـد إقامـة مُلكهـا على الرهبـة التي تجـاوزت بهـا حـدود مـا أنـزل اللـه، وكنـت قـديما قـرأت كـلام سـعيد بـن جبير للحجـاج ـ أخـزاه اللـه ـ ولـم أسـتوعب مقالـه حتى رأيتـه متجسـدا في شخصـية القيـادة في الدولـة.. قـال سـعيد: «إِنِّي لَأَعْلَمُ أَنَّكَ مُخَالِفٌ لِكِتَابِ اللهِ تَعَالَى، تَرَى مِنْ نَفْسِكَ أُمُورًا تُرِيدُ بِهَا الْهَيْبَةَ وَهِيَ تُقْحِمُكَ الْهَلَكَةَ، وَسَتَرِدُ غَدًا فَتَعْلَمُ» [1]... وإن كـان الحجـاج أسـرف في قتـل مـن خـرج عليـه مـن القـراء وغيرهم ممـن شـهد ديـر الجمـاجم مـن أصحـاب الأشـعث، فحُجاجنـا قـد قتلـوا مـن لـم يخـرج علـيهم أو ينـازعهم في الملـك بـل نـازعهم في الـدين، فلـم تقـع في ولايـتهم ديـر جمـاجم بـل هـو القتـل بـالظن والـوهم الفاسـد الـذي يخرجونـه سياسـة وتعزيرا.

إن أعظـم شـعار رفعتـه الدولـة: حاكميـة الشـريعة وإقامـة الـدين، كـان شـعارا كاذبـا ودعـوى فـارغـة حيـث أن أكبر جهـاز في الدولـة "ديـوان الأمـن" ـ الـذي هـو اليـد التي تـبطش بهـا والقـوة التي تـردع بهاـ كـان قائمـاً في أصـل وضـعه على غير مـا أنـزل اللـه، قائمـاً كيانُـه كقيـام النظـام الاسـتخباراتي في الـدول الطاغوتيـة نحـو القـذة بالقـذة، وهـذا لـيس حكـم بغير مـا أنـزل اللـه في قضـية مـن القضـايا بـل هـو تبـديل لوضـع النظـام القضـائي كلـه كمـا سـيأتي بيانـه بشـواهد في بابـه، حيـث أن الدولـة لـم تُحكّـم شـرع اللـه مـع خصـومها ممـن لهـا دعـوى علـيهم في زعزعـة أمنهـا أو خلخلـة ملكهـا، بـل كانـت تقتـل مصـلحة وسياسـة وشـبهة ووهمـا واحترازا وتقيَّـة، فضـلاً على القـوانين التي شـرعتها في الـدماء والأمـوال ... لقـد خالفـت مـا قامـت عليـه ومـا رفعـت عليـه اللـواء لمـا نوزعـت في عرشـها وملكهـا ... نعـم إنهـم قـوم يريـدون: **ملكـا ضـائعا لا دينـا قائمـا** وإن زعمـوا خـلاف ذلـك، وهـذا هـو اليقـين الـذي وصلتُ إليـه بعـد مـر السـنين معهـم... أنـا أقصـد بهـذا القيـادة مـن الحُجَّـاج ـ إلا مـن شـذ ـ لا جمـوع النـافرين فهـم محكومـون لا حـاكمين فقـد كـان يُقـذف بهـم في جبهـات سـاخنة في مسـتهل الأمـر قبـل أن تُفـتَّحَ أعينهم على الواقـع المريـر، ففـي تصـور الجماعـة أن التزكيـة تؤخـذ مـن

[1] حلية الأولياء ٤/٢٩٤

الجهات فكم ضاعت من كوادر في شتى المجالات، حيث أنهم قُتلوا ولم يُستفد منهم في بناء دولة ناشئة استُنفروا لبنائها، ولكنهم لم يحصلوا التزكية في مفهوم وتصور الجماعة ... لقد كانت الدولة تُسلِّمُ الولايات لأصحاب السبق والولاء للجماعة لا لأصحاب الكفاءات والكوادر إلا ما ندر، فلا تُسلَّم ناصية الأمر إلا لجماعة بوكا وأبو غريب ممن جاوز القنطرة عندهم فهم أهل الوصاية والولاية وغيرهم يُنظر إليهم بعين الحذر ويؤصل فيهم الشك والريبة حتى يثبت خلاف ذلك وهو الولاء للجماعة والتنظيم الذي هو فوق كل ولاء ولو كان لله ورسوله إذا خالف توجُّه الدولة وأهواء السلطان.

انتهت الدولة وأفلت القاعدة ولا يزال الطريقُ طويلا، ولا بد من تصحيح المسار وتقويم الاعوجاج بل ترك ذاك السبيل والعمل من جديد بعد وضع أساس صلب وتحديد الطريق الصحيح والمنهاج القويم ثم السير عليه، فقد نصل أو نموت دونه والله يحكم ما يريد.

وفي هذا الكتاب تقييم لتجربة حيَّة ودراسة ميدانية قائمة زمانياً من بعد الثورات التي اصطُلح عليه الربيع العربي ومكانياً في الشام والعراق، يقوم على دراسة الملف الشرعي للتيار الجهادي بين القاعدة وفرعها دولة الخلافة ... لقد آن الوقت لإعادة النظر في تيار الخذلان من قاعدة الجهاد إلى خرافة بغداد بنظرِ المتجرد المنصف في أصل الداء: "الملف الشرعي" فإن النظر فيه كاف في الوقوف على سبب الخذلان عبر هذه العقود ولا ثمرة تُرتجى حيث لا أصل سليم يثمر.

وإنني في هذه المذكرة في هذه العزلة لا يسعني قول كل ما في الجعبة إذ لا تتحمله هذه الورقات

وإنِّي بِحَمْدِ اللهِ لا ثَوبَ فَاجِرٍ	لَبِستُ ولا مِنْ غَدرَةٍ أَتقنَعُ
ولَستُ أَخَافُ في اللهِ لَومَةَ لائِمٍ	ولا مِنْ صِيَّاحِ النَّذِيرِ أَتمنَّعُ

وإني بحول الله وقوته كتبت هذه الشهادة لله ولم أقل فيما رأيت أو سمعت إلا حقاً، قال تعالى:﴿ وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَـَٔانُ قَوْمٍ عَلَىٰٓ أَلَّا تَعْدِلُوا۟ ۚ ٱعْدِلُوا۟ هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَىٰ ۖ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ خَبِيرٌۢ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴾[المائدة٨]، وقد أقف في هذا الكتاب وقفات كرؤية منهجية أو شرعية أبنيها على قناعةٍ وصلتُ إليها بعد هذه التجربة المريرة، ويعلمُ الله أني وددت لو كُفيت، وأني قد ترددت طويلاً في كتابة هذه الكلمات وقد أكون كارهاً لنشر

بعض المواقف أو الوقائع وما تركته أضعافَ ما أبثهُ وإني لأعلم أن إثم السكوت على الذي بين جنبيَّ عظيم عند الله، وتالله إنَّ الذي يحرك هذا القلم هو القيام بواجب النُصح والتبيان قال تعالى ﴿وَإِذْ أَخَذَ ٱللَّهُ مِيثَٰقَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْكِتَٰبَ لَتُبَيِّنُنَّهُۥ لِلنَّاسِ وَلَا تَكْتُمُونَهُۥ فَنَبَذُوهُ وَرَآءَ ظُهُورِهِمْ وَٱشْتَرَوْاْ بِهِۦ ثَمَنًا قَلِيلًا ۖ فَبِئْسَ مَا يَشْتَرُونَ ﴾ [آل عمران١٨٧]، والله من وراء القصد وهو يهدي السبيل.



البَابُ الأَوَّلُ

إدارة التوحش في ساحة الشام

الفَصْلُ الأَوَّلُ:

إرهاصات البناء

قامت الثورات في القطر العربي وهاجت الشعوب وماجت وخرجت تريد الحرية وتطالب بالحقوق المدنية وترفع شعارات الجاهلية، تريد إقامة النموذجية الغربية للديانة الديمقراطية، ثارت الشعوب في مسيرات سلمية لتخلع حُكامها التي صارت إلى الديكتاتورية واسترجاع الحاكمية التي تفرد بها المماليك، خرجت تطالب بالحق الضائع ليختاروا من الطواغيت من يرفع عنهم الضيم ويرتقي بهم في سلم الحريات ويحقق لهم الحياة المدنية الرغيدة التي يرونها واقعا في الغرب وهم غارقون في وحل الظلم والفقر والاستبداد والبيروقراطية، وترى خيرات البلاد بأيدي أهل الفساد، وترى وصاية الغرب على العباد، حيث أن حكامهم لا يصدرون إلا عن قولهم ولا يخرجون عن سياستهم إذ هم الحاكم الفعلي لتلك الديار المستفيد من عوائدها المتمتع بخيراتها ... هذه هي نظرة تلك الشعوب إلى الواقع الذي انطلقت غاضبة لتغييره ساخطة على ملوكها ناقمة على ساستها تريد اسقاط النظام الحاكم الذي قد جثم على صدورها لعقود من السنين ... وهي تلك الشعوب التي رضعت الثدي الخبيث حتى الثمالة وتشربت من عقائد الكفر منذ نعومة أظفارها إلى شيبة رأسها قامت ثائرة لخلع الحواجز إلى الحياة ... الحياة التي لم يوفرها النظام السائد.

وانطلاقاً من هذه البواعث وغيرها اشتعلت شعلة ثورات الربيع العربي كما اصطُلِح عليها في تونس ومصر واليمن وليبيا والشام ... فسقط طواغيت العلمانية واستُبدلوا بطواغيت الاخوانية، وبقي نظام الحكم هو النظام السائد بعد سقوط الحزب البائد، والجاهلية هي الجاهلية خلعت ثوبا ولبست آخر لتُطفئ نار الغضب التي اجتاحت تلك

الشـعوب، ويـتم تخـديرها بتوليـة أحـزاب تـتقمص دعـاوى إسـلامية لتلعـب دورا مؤقتـا إلـى حين رميها في زبالة التاريخ.

ولكـن مسـار الشـام والـيمن وليبيـا كـان مغـايراً لمصـر وتـونس مهـد الثـورات، إذ لـم تكتفـي بشـعار السـلمية بـل سـارت نحـو البندقيـة، وكانـت الشـام قـد أريـد بهـا أن تكـون أرضـية لمشـروع اسـتقطاب التوجهـات الجهاديـة ليقضـي اللـه أمـراً كـان مفعـولا وصـدق مـن سـماها الشـام الفاضـحة، فالريـاح التـي هبـت في مصـر فضـحت الإخـوان الـذين مكثـوا تسـعين سـنة وهـم يُمنُّـون الجـاهليين الغـافلين بتحكـيم الشـريعة عـن طريـق صـناديق الاقتـراع والـدخول فـي ديـن الديمقراطيـة فلمـا وصـلوا كـانوا أكثـر ديمقراطيـة مـن العلمـانيين أنفسـهم، فأكـذبهم اللـه في دعـواهم ومـنهجهم ودينهم، وأمـا الشـام كانـت بحـق حصـاداً مُـراً لطائفـة أخـرى وهـي التـي أسسـت قاعـدة الجهـاد العـالمي ودعـت النـاس إلـى صـناديق الذخيرة بدعوى إقامة الدين.

سـارت الثـورة في الشـام إلـى السـلاح منـذ سـنة ٢٠١١ التـي كانـت بـداياتها فـي درعـا، وانشـقت قطاعـات مـن النظـام تُسـمى بالمعارضـة وتشـكلت على إثـر ذلـك جهـات وحركـات وجيـوش وألويـة وجماعـات لقتـال النظـام النصـيري، واختلفـت المشـارب وتقاطعـت مصـالح دول عظمى في هـذا الصـراع، فتوسـعت الحـرب وصـارت إلى تحالفـات دوليـة وحَلبـة لتصـفية حسـابات إقليميـة، فكـل حركـة لهـا داعـم يريـد أن يكـون لـه مـوطئ قـدم فـي المنطقـة يسـعى فـي الحفـاظ علـى مصـالحة التـي قـد تضـيع بتغييـر مـوازين القـوى فـي المنطقة أو اختلالها، فصارت هذه الجماعات إلى جيوش مرتزقة تحركها مصالح دول.

ومـن ضـمن تلـك الجماعـات التي تشـكلت لقتـال النظـام مـا يسـمى بجبهـة النصـرة[١] ـ نصـرة الشـعب السـوري ــ التـي كانـت مُوفـدة مـن العـراق تابعـة تنظيميـا إلـى "دولـة العـراق الإسـلامية" فهي التي أنشـأتها بإرسـال عصـبة مـن القـادة على رأسـها الجـولاني وحجي بكـر والأنبـاري وأبـو أيمـن وغيرهم وكانـت تمـدها بالمـال والسـلاح والرجـال ... وكانـت النصـرة هي أشـهر الجماعـات القتاليـة فـي الشـام لقيامهـا بعمليـات نوعيـة فـي عقـر دار النظـام[٢]،

---

[١] في ٢٤ يناير/كانون الثاني/جانفي ٢٠١٢ أصـدر أبو محمد الجولاني بيانا أعلن فيه عن تشـكيل جبهة لنصـرة أهل الشـام من مجاهدي الشام، وحدد البيان الهدف من إنشاء الجبهة بالقول: إنها جاءت سعيا من مؤسسيها "لإعادة سلطانِ اللهِ إلى أرضِه وأن نثأر للعرضِ المُنتَهَك والدمِ النازِف ونردَّ البسمَةَ للأطفالِ الرُضَّع والنِساءِ الرُمل ...".

[٢] وقد تزامن صـدور أول بيان باسـم جبهة النصـرة في سـورية مع تفجير مقر أمن الدولة في كفر سـوسـة، وفرع المنطقة للأمن العسـكري في الجمارك يوم ديسـمبر/ كانون الأول٢٠١١م، ثم أعلنت عن تفجير في حي الميدان في ٦يناير/كانون الثاني ٢٠١٢م،

وبالتـالي كانـت قبلـة المقـاتلين الأجانـب باعتبارهـا امتـدادا لقاعـدة الجهـاد، فلمـا اشـتد عُودهـا وذاع صـيتها تمـرد أميرهـا وخـرج عـن طاعـة الحُجَّـاج[1]، فحينـذاك اسـتُنفِرَ البغـدادي للقـدوم إلى حلـب والنظـر في أمـر الجبهـة وإعـادة الهيكلـة ووضـعها في أيـادٍ أمينـة، ولكـن الجـولاني ومـن معـه قـد دبـروا أمـراً وأخـذوا أهبـتهم، حيـث رفـض الجـولاني الجلـوس مـع البغـدادي ابتـداءً لرفضـه إعـادة الجبهـة إلى دولـة العـراق فأخـذ الجمـل بمـا حمـل، فقـد كانـت زمـام الأمـور بيـده ويـرى أنـه أحـق النـاس بالإمـارة ولا وصـاية للعـراقيين في سـوريا وفطمهـا عـن أمهـا أصـلح لهـا، فكانـت الضـربة لحُجَّـاج العـراق موجعـة والصـدمة شـديدة أدت بهـم إلى إخـراج هـذا النـزاع الـداخلي إلى العلـن في كلمـة صـوتية[2] للبغـدادي وحـرق المراحـل وإعـلان التمـدد إلى الشـام وقيـام "الدولـة الإسـلامية في العـراق والشـام" في خطـوة اسـتباقية نحـو لَيِّ عُنـق الجـولاني لـرده إلى بيـت الطاعـة، ولكنـه كـان أذكـى مـن الجميـع في اللـف والمنـاورة، حيـث أنـه اسـتجاب لـدعوة البغـدادي بالارتقـاء مـن الأدنـى إلى الأعلـى وبـايع الظـواهري وحكمَّـهُ لعلمـه أن الأمـر سـيؤول إليـه لزرعـه بـذور الـولاء والطاعـة، والكـل ينتظـر قـرار "حكـيم الأمـة" الـذي كـان حُكمـه قـاضٍ بـإلزام الدولـة بـالرجوع إلى العـراق وبقـاء النصـرة كفـرع للقاعـدة في الشـام، فعـزم البغـدادي وعبـد الناصـر وغيـرهم مـن الحُجَّـاج علـى الرجـوع وامتثـال أمـر الظـواهري علـى مضـض، ورفـض الطاعـة والعـودة إلى العـراق

وآخر ضـد المخابرات الجوية في سـاحة التحرير يوم ١٧فبراير/ شـباط ٢٠١٢م، وفي حي السـليمانية في حلب في ١٨مارس/ أذار٢٠١٢م ، وغير ذلك من العمليات النوعية التي استهدفت مواقع حساسة للنظام النصيري.

[1] **الحُجَّـاج**: وهـو جمـع لـ حجي ويطلـق على القـادة العـراقيين في الدولـة " الخـط الأول" مـن أصحاب السـبق، وغالبـاً يُطلق على الولاة وأعضاء اللجنة المفوضة مثل حجي عبد الناصر وحجي حامد وغيرهم.

[2] قـام أبـو بكـر البغـدادي بتسجيل مقطـع صـوتي في ٩ نيسـان ٢٠١٣ يعلـن فيـه اتحـاد "دولـة العـراق الإسـلامية" وجبهـة النصـرة لأهـل الشـام تحـت مسـمى "الدولـة الإسـلامية في العـراق والشـام "، ... وفي ١٠ نيسـان ٢٠١٣ تنشـر المنـارة البيضـاء خطابـاً للجـولاني يـرفض الانـدماج ويقـول أننـا نسـتجيب لخطـاب البغـدادي بالارتقـاء مـن الأدنـى إلى الأعلـى، ونجـدّد البيعـة للشـيخ الظـواهري، و بعـد حـوالي الشـهرين، في ٩ حزيـران ٢٠١٣ تحديـداً، أصـدر الظـواهري قـراره المعلـن بحـلّ "الدولـة الإسـلامية في العـراق والشـام "، مع بقـاء "الجبهـة" و "دولـة العـراق الإسـلامية" على حالهمـا، ثـم تكليـف أبـي خالـد السـوري لحـلّ الخـلاف، والتوقـف عـن أي اعتـداء بينهمـا بـالقول أو الفعـل ، كمـا ذكـر خطـأ "الدولـة" بـإعلان الوحـدة دون استشـارة، وخطـأ "الجبهـة" بـالرفض دونهـا ... ورد البغـدادي بعـد أقـل مـن أسـبوع على إعـلان الظـواهري، ففي تـاريخ ١٥ حزيـران ٢٠١٣ أصـدر البغـدادي كلمـة يقـول فيهـا: "الدولـة الإسـلامية في العـراق والشـام" باقيـة مـا دام فينـا عـرق ينـبض أو عـين تطـرف، ولـن نسـاوم عنهـا حتى يظهرهـا اللـه تعـالى أو نهلـك دونهـا، وأضـاف: مـا تلبـث الأيـام أن تنجلي عـن بصـر ثاقـب في الرؤيـة على المـدى البعيـد عجـزت أبصـار القاعـدين وأصـحاب الأهـواء والمتخـاذلين عـن إدراكهـا، فيعود المنكِر إن لم يكن متعالياً مقراً ويعود المعترض موافقاً والذامّ مباركاً ولله الحمد".

البعض الآخر كالأنباري والعدناني والقحطاني والحطاب وغيرهم وأصَّلوا لعدم جواز ترك ساحة الشام ولا طاعة "للحكيم" في المعصية، وبعد مخاض استقر أمر الجماعة على البقاء في الشام، ولا وصاية للقاعدة عليهم، وفي إثر هذه الأحداث انشق قسم من جنود النصرة وأمرائها إلى الدولة وقام الأنباري والقحطاني بجهود مضنية في اقناع كتائب النصرة بالرجوع إلى الأصل التي هي الدولة.

وأعادت الدولة البناء والتجميع والبحث عن موطئ قدم جديد في الشام، وقامت لها قائمة بعد أن بايعها كتائب لها ثقل في المنطقة كالأغلبية من جيش المهاجرين والأنصار الذي كان عليه عمر الشيشاني وأبو حفص الجزراوي أبو جعفر الحطاب، ومجلس شورى المجاهدين الذي كان عليه أبو الاثير الحلبي، وأكثر المهاجرين المتواجدين في الشام أو الوافدين إليها، واستقطبت تيار ما يسمى **"بالغلاة"**[1] وأظهرت لهم الوفاق لمذهبهم وفتحت لهم أحضانها واحتوتهم في صفها.

وفي هذه المرحلة ـ النصف الثاني من سنة ٢٠١٣ ـ وقعت تجاوزات من الدولة على الفصائل والجماعات من الجيش الحر وغيره، بناءً على تكفيرهم واستحلال دمائهم وأموالهم، كما وقع في الدانة من طرف أبو أسامة الدانة التونسي، وكقتل الدولة لبعض الرموز والإعلاميين كالدكتور أبو ريان وأبي خالد السوري والتملص من ذلك، مما أدى إلى احتقان شديد من الفصائل على الدولة[2] ورميها بالإفساد في الأرض ونشر الفتن وزعزعة الأمن والاستقرار في المنطقة وهدر دماء "المجاهدين" وتكفيرهم، مع رغبة الداعم في خلو الساحة من الدولة قبل مؤتمر جنيف ٢، الأمر الذي أدى بعد ذلك إلى اتفاق الفصائل على الاجهاز عليها في بداية ٢٠١٤ وطردها إلى العراق، وكان أمر الفصائل مبيتاً فأصبحت الدولة وهي في طوق عسكري في حلب وريفها وريف إدلب وريف حماة ـ كالأتارب وأطمة وإعزاز والدانا والباب وسلقين وتلمنس وغيرها ـ أفضل

---

[1] **الغلاة:** وهذا المسمى يطلق على أصحاب مدرسة أبي عمر الكويتي ويطلق كذلك على المتأثرين بطروحات أحمد بن عمر الحازمي، **ونحن في هذا الكتاب نجاري الاصطلاحات التي أفرزتها الساحات القتالية** على أنه اصطلاح مفرغ من الحقائق الشرعية.

[2] مما دفع الروابط والهيئات "الإسلامية" السورية إلى إصدار بيان في ٢٢ كانون الأوّل / ديسمبر ٢٠١٣ اتّهمت فيه الدولة بتعمّد افتعال الخلافات مع فصائل المعارضة، ودعته إلى عدم التدخّل في شؤون السوريين، والكفّ عمّا وصفته بالتصرّفات التي تدعو إلى الفتنة والشرّ " والهيئات التي وقّعت البيان: هيئة الشام الإسلامية، ورابطة العلماء السوريين، وعلماء ودعاة الثورة، والهيئة الشرعية في حلب، ورابطة خطباء الشام، وجمعية علماء الكرد في سوريا، والملتقى الإسلامي السوري، وهيئة العلماء الأحرار.

أحوالها الخروج منه، فأُسر وفر وقتل على إثر هذه الحملة من الدولة الكثير، وهدد العدناني بالانسحاب من نقاط الرباط على النظام إذا لم تتوقف الحملات على الدولة، واضطر عمر الشيشاني بالرجوع بالجيش الذي استنفره من جميع نقاط الدولة لفتح مطار الدير لفك الحصار على الدولة من الخارج فتم له السيطرة على مسلمة والباب ومنبج ومارع وما جاورها من ريف حلب، وفي نفس الحملة سيطرت الدولة على الرقة بعد مواجهات مع الفصائل وفرارهم منها وكذا مدينة الطبقة وما جاورها[١]، وتأخر فتح المنطقة الشرقية وكان ذلك بعد قتال دامٍ مع تحالف مشمش[٢] وكانت السيطرة على الشرقية متزامنا مع السيطرة على ولاية نينوى كالموصل وتلعفر وولاية الأنبار كالقائم وراوة وعانة ومدن من صلاح الدين كبيجي وتكريت وغيرها من المدن العراقية، وكُسرت حدود سايكس وبيكو بين سوريا والعراق وصارت حدود الدولة من أطراف شمال بغداد إلى ضفاف نيل جرابلس، واستقر نفوذ النصرة في حلب وريفها.

هذه خطوط عريضة وعرض سريع لأهم الأحداث والمحطات التي مرت بها القاعدة في الشام قبل الانقسام والصراع بين الدولة والنصرة، وليس المقصد منه التأريخ وتفصيل الأحداث بل الغاية من هذا العرض هو دراسة المنهج الحركي وإدارة التوحش الذي تميزت به هذه المرحلة والوقوف مع بعض الأحداث التي بُنيت عليها هذه الدراسة.



---

[١] تم سيطرت الدولة على الرقة والباب ومنبج وجرابلس بحلول شباط/ فبراير ٢٠١٤، وفي العاشر من حزيران/ يونيو ٢٠١٤ سيطرة الدولة على مدينة الموصل في محافظة نينوى، وبعد السيطرة على الموصل وعلى الجهة السورية أتمت الدولة في ٣ تموز/ يوليو ٢٠١٤ سيطرتها على كل محافظة دير الزور باستثناء أحياء في المدينة ومطارها العسكري.

[٢] وهو تحالف من ١٢ فصيل من أكبر الفصائل المسلحة في المنطقة الشرقية على تشكيل ما أسموه «مجلس شورى مجاهدي الشرقية» «مشمش» لقتال الدولة، والفصائل الموقعة على البيان هي: «الهيئة الشرعية المركزية»، و«جبهة النصرة في المنطقة الشرقية»، و«جيش الإسلام»، و«أحرار الشام»، و«جيش أهل السنة والجماعة»، و«جبهة الأصالة والتنمية»، و«القعقاع»، و«جبهة الجهاد والبناء»، و«بيارق الشعيطات»، و«لواء القادسية»، و«جيش مؤتة الإسلامي»، و«جيش الإخلاص»، و«كتيبة المهاجرين والأنصار».

الفَصْلُ الثَّانِي

وقفات مع الإرهاصات

المطلب الأول: الوقفة الأولى

إن من أهم هذه الوقفات في هذ المرحلة هو تحرير النزاع بين القاعدة والدولة وحقيقة المفاصلة التي وقعت بينهما على إثر النزاع السياسي بعد رفض الدولة السمع والطاعة لأمير القاعدة والخروج على أمره وفك الوصايا عليها والتملص من البيعة التي في عنقها، وهذا النزاع بعد أن كان سياسياً بحتا نحى منحى آخر وصار الطرح فيه بصبغة شرعية، وبعد أن كان الظواهري حكيم الأمة صار سفيه الأمة[١] بعد حكمه على الدولة بالرجوع إلى العراق، واتسعت دائرة الخصومة مع أعلام التيار الجهادي كأبي محمد المقدسي وأبي قتادة الفلسطيني وسليمان العلوان وغيرهم من الذيول الذين كانوا صفاً واحداً مع القاعدة بحكم الانتماء التنظيمي لها، ولم يؤيد الدولة أحد من هؤلاء الرؤوس والذيول لولائهم الشديد للقاعدة، وبعد هذا الصدام القوي لم تجد الدولة بُداً من مواجهة الكل ومحاولة اسقاطهم بعد عدم القدرة على احتوائهم، كما أنها لم تجد بُداً للخروج من هذا الشذوذ والمضيق إلا بإقناع من حولها أن الظواهري لم يكن أميراً عليها!، ولم يفلح لسان العدناني في إثبات هذا في كلمته "عذراً أمير القاعدة" بعد إبراز الظواهري لخطابات سرية فيها حقيقة العلاقة بين القاعدة والدولة وأنها بيعة على السمع والطاعة بداية من ابن لادن إلى الظواهري[٢]... وصار النزاع بعد فترة من الزمن إلى تكفير أمراء الجبهة بمناط مشاركة الفصائل في قتال الدولة والمظاهرة عليها، وعملت الدولة جاهدة في إثبات ذلك عبر إعلامها، ثم استقر الأمر على تكفير النصرة بالأعيان وبعد زمن من الجفاء والصراع صارت إلى تكفير الظواهري وأعلام التيار ونصب العبوات اللاصقة لإسقاطهم في حرب إعلامية قذرة.

---

[١] قال العدناني في أحد كلماته بعد أن تولى الظواهري إمارة القاعدة بعد وفاة أسامة بن لادن :" أرسل أحر التهاني إلى مقام سماحة الشيخ الخبير وصاحب السمعة القيادية المعروفة قائد الأمة الدكتور أيمن الظواهري ونتضرع إلى الله أن يحفظه ويباركه ويسدد خطاه"

[٢] ومما جاء فيها من كلام البغدادي:"وندين الله بأنكم ولاة أمورنا، ولكم علينا حق السمع والطاعة ما حيينا!"

والـذي لا شـك فيـه أن منشـأ النزاع وسـبب الفصـال لـيس عقـدياً لـذلك الدولـة لـم تسـقط كـل رمـوز القاعـدة بـل تتمسـح بأسـامة بـن لادن[١] ولـم تسـقط حينـذاك مشـايخ القاعـدة الـذين أفضـوا كعطيـة الليبي[٢] وأبـي يحي الليبي وغيـرهم، بـل كانـت الخصـومة مـع مـن صـادمها ورفـض خلافتها، فـالتكفير لـم يكـن ديانـة بـل كـان سياسـة وقـد تكـرر كثيراً في تـاريخ الدولـة... ولسـت في هـذا الكتـاب أنـاقش مـن المخطـئ فكليهمـا علـى ضـلالة وهـذا لـيس مـن مقاصـد هـذا التـأليف وإلا كـلٌ قـد خـرج علـى طاعـة أميره فمـا ترمـي بـه الدولـة الجـولاني وقعت فيه مع الظواهري وكلهم أهل أهواء تحركهم المصالح ويحدد ولاءهم التنظيم.

المطلب الثاني: الوقفة الثانية

وهـي موقـف التيـار الجهـادي مـن الشـعوب الثـائرة التـي باركهـا أسـامة بـن لادن[٣] والظـواهري وأغلـب أفـرع القاعـدة، ومـن ثـم بُنِيَّ علي إثـر هـذا التحـول سياسـات جديـدة مـع

[١] **قـال العـدناني** :" أيهـا المجاهـدون، أيهـا النـاس أعيروا سـمعَكُم، فـإنّ حـديثي لـهُ مـا بعـدَه أعيروا سـمعَكُم، أنقـلُ لكُـم بعضـاً مـن كـلام مشـايخنا وقادتنـا وأمرائنـا قـادة القاعـدة، قاعـدة الجهـاد **قـال الشـيخ الإمـام المجـدد أسـامة بـن لادن رحمـه اللـه**، في الخطـاب الثـاني والعشـرين، وهـو رسـالةٌ إلى أهـل العـراق خاصـة والمسـلمين عامّـة، قـال فيهـا : فلـو التزمَ النـاسُ بجميـع أحكـام الإسـلام إلاّ الالتزام بتحـريم الربـا مـثلاً، وأبـاحوا البنـوكَ الربويـة، فـإن دسـتور هـذه الدولـة يُعتبر دسـتوراً كفريـاً، لأن هـذا **التصـرّف يتضـمن اعتقـادَهُم** عـدمَ كمـال الشـريعة وكمـال مُنَزّلهـا سـبحانه وتعـالى، ولا يخفـى أنّ هـذا كُفـرٌ أكبر مُخـرج مـن الملّـة، فضـلاً عـن أنّ هـذه الانتخابـات تجـري بـأمر أمريكـا تحـت ظـلّ طائراتهـا وقـذائف دبّاباتهـا وبنـاءً عليـه: **إن كـل مَـن يشـارك في هـذه الانتخابـات -والتي سـبقَ وصـفُ حالِهـا- عـن عِلـمٍ ورِضـا**، يكـونُ قـد كفـرَ باللـهِ تعـالى، ولا حـولَ ولا قـوّة إلاّ باللـه » { انظـر كلمتـه عُـذراً أميرَ القاعـدة لمؤسسـة الفرقـان }، **وفيهـا عـذر المنتخبـين بالجهـل وأنهـم لا يكفـرون إلا بعـد العلـم والرضـا، وهـذا يـدل علـى الامتـداد العقـدي بـين القاعـدة الأمـ والدولـة الفـرع في مسـألة العذر الجهل في الشرك الأكبر.**

[٢] رثـاه البغـدادي نفسـه في بيـان صـوتي بعـد مقتلـه في ٢٢ أغسـطس (آب) سـنة ٢٠١١ بمنطقـة وزيرسـتان الباكسـتانية، ووصـفه بـ«**العـالم العامـل المجاهـد، صـاحب العلـم والوقـار**»، و نشـرت «النبـأ» في عـددها رقـم «٨٥» الصـادر في ١٤ يونيـو (حزيـران) ٢٠١٧ الموافـق ٢٠ رمضـان سـنة ١٤٣٨ هجريـة (الصـفحة ١٢) عنـوان «رمـوز لا أوثـان» أشـارت إليـه في غلافهـا بصـورتين لحسـن البنـا وعطيـة اللـه الليبي، ووصـفهما الفرقـان بقولـه: «ولا يمكـن حـرص الأمثلـة علـى (الرمـوز) التي امتـدحها الـبعض، علـى مـا علمـوا عـنهم مـن خيـر وجهلـوا عـنهم مـن باطـل وضـلال، كحـال رمـوز (الإخـوان) المرتـدين، مثـل حسـن البنـا ورمـوز (القاعـدة) **كعطيـة اللـه الليبي** وأبـي مصـعب السـوري وغيـرهم كثيـر مـن أئمة الضلال ورؤوس الفتنة».

[٣] سـجلت مؤسسـة "السـحاب" الإعلاميـة كلمـة صـوتية لأمير تنظـيم القاعـدة السـابق "أسـامة بـن لادن" نُشـرت في ٢١ مـايو ٢٠١١، وقـال فيهـا عـن الثـورات: "**أمتي المسـلمة** نراقـبُ معـكِ هـذا الحـدث التـاريخيّ العظـيم، ونشـاركُكِ الفرحـةَ والسـرورَ والبهجـةَ والحبـور، نفـرحُ لِفرحـكِ وَنتـرحُ لِتَرَحـكِ، فهَنِيئًـا لـكِ انتصَـارَاتُك، (..) أضَـاءت الثّـورةُ مِـن تُـونُس (...)"وبسـرعة البرق أخـذ فرسـان الكنانـة مـن أحـرار تـونس قبسـا إلى ميـدان التحريـر فانطلقـت ثـورة عظيمـة، وأي ثـورة، ثـورة مصـيرية لمصـر كلهـا، وللأمـة بأسـرها، إن اعتصـمت بحبـل ربهـا، ولـم تكـن هـذه الثـورة ثـورة طعـام وكسـاء، وإنمـا ثـورة عـز وإبـاء، أضـاءت حـواضر النيـل وقـراه، مـن أدنـاه إلى أعـلاه، فتراءت لفتيـان الإسـلام أمجـادهم، وحنـت نفوسـهم لعهـد

أجدادهم فاقتبسوا من ميدان التحرير بالقاهرة شعلا ليقهروا بها الأنظمة الجائرة، ووقفوا في وجه الباطل ورفعوا قبضاتهم ضده.. فإلى أولئك الثوار الأحرار في جميع الأقطار، تمسكوا بزمام المبادرة، واحذروا المحاورة، فلا التقاء في منتصف السبيل بين أهل الحق وأهل التضليل"

وبعد موت بن لادن تولى د. أيمن الظواهري قيادة "تنظيم القاعدة" ثم حاول ترجمة حماسة بن لادن عبر تقديم ما يلزم من تأييد وتوجيه لـ "الثورات"، فأصدر وثيقتين في الغرض هما" : توجيهات عامة للعمل الجهادي – ١٦ سبتمبر٢٠١٣"، وكذا "نصرة الإسلام – رمضان ١٤٣٣ هـ/ ٢٠١٢"

وقال "عطية الله الليبي" في تأييد الثورات العربية واعتبارها حدثا تاريخيّا كبيرا، رغم أن خطابه عنها المسمى بـ" ثَوْرَة الشّعُوبِ وَسُقُوط النِّظَامِ العَرَبِيّ الْفَاسِدِ" ٢٤ فبراير ٢٠١١ ، سبق نشر خطاب بن لادن بنحو ثلاثة أشهر، وتزامن مع سقوط الرئيس المصري المخلوع حسني مبارك،، وفي أول تقييم له، رأى أن: هذه الثورات وخاصة ثورة مصر لم تكن ثورة على النظام المصريّ والنظام العربي الفاسد الخبيث فحسبُ، بل إن أبعادها أشمل وأعمق، (..)، بل سقطت معه أيضا فكرة الاستقرار الذي جعلوه صنماً عبده الطواغيت الأنذال وعبّدوا الناس له، استقرار المنطقة، الذي ليس معناه إلا توافر كل عوامل الطمأنينة لهم والأمن من أي منغّصٍ ينغص عليهم أحوالهم الباذخة الناعمة الفارهة".

وافتتح إصدار "مؤسسة الملاحم" التابعة لتنظيم قاعدة الجهاد في الجزيرة – أُمَّةٌ وَاحِدَةٌ – ١٢أكتوبر ٢٠١١ أسئلته التي وجهها للقائد العسكري، **قاسم الريمي**، بـ"موقف المجاهدين في اليمن من هذه الثورات"، فلم تخرج إجابته عن مواقف قيادة القاعدة ورموزها، فلم يخرج موقف "تنظيم القاعدة في اليمن" عن التأييد للثورات والتحريض عليها ومباركتها.

وقال أبو مصعب عبد الودود أمير تنظيم القاعدة ببلاد المغرب الإسلامي عن ثورة تونس: "إن ما يحدث في تونس هو صرخة احتجاج مدوية من ضحية في مواجهة جلادها كسرت جدار الصمت الذي خيم على تونس منذ عقود طويلة. إنها غضبة طال انتظارها وانتفاضة مباركة ضد الطغيان"..

أمّا أبو محمد المقدسي، فقد أكّد في سياق حديثه عن الثّورة في سوريا ضرورة دعم هذه الهبَّة الشعبيّة، والانخراط في صفوف المتظاهرين، بل إنّه رأى أنّ المُشاركة في هذه التّظاهرات السلميّة، هو أمر "متعيّن على كلّ قادر من المسلمين"، ولو أدّت المواجهات مع الأمن إلى "سقوط بعض القتلى".

ووجه الظواهري في شباط/فبراير ٢٠١٤، رسالة إلى مرسي قال فيها "بداية أسأل الله أن يفرج كربك". وقال الدكتور أيمن الظواهري في كلمتهِ [التحرر من دائرة العبث والفشل] في رسالته للدكتور محمد مرسي ما نصّه : "وأنت اليوم في امتحان عظيم، إما أن تتمسك بالحق غير متزلزل ولا متذبذب ولا متزحزح، فتطالب بحاكمية الشريعة في وضوح وجلاء، وترفض القضاء الفاسد، والقوانين العلمانية، والدستور العلماني، وتصر على تحرير كل شبر من ديار الإسلام المحتلة، وتأبى الاعتراف بأية معاهدة أو اتفاق يتنازل عنها، وتعاهد ربك أنك ستجهر بالحق الذي يفرضه عليك شرعه، ولا تتنازل قيد أُنملة عن ذلك؛ فحينئذ أبشرك بأنك ستكون من أبطال هذه الأمة، ورموزها البارزة، وقادتها العظام، وستحشد الأمة في مصر والعالم الإسلامي خلفك في معركتها مع أعدائه".

حكومات ما بعد الثورات وتم توجيه فروع القاعدة إلى التعاون مع تلك الحكومات الإخوانية وتعليق القتال في المغرب العربي في استراتيجية جديدة لمرحلة ما بعد الثورات، وهذا التوجه هو رد فعل من القاعدة على إثر الواقع الجديد في بلدان الربيع العربي، يدفع به خلفيات عقائدية وأبجديات التيار في تصوره أن هذه الشعوب خرجت تريد الإسلام وإقامة الدين، وأن الذي فشلت القاعدة في تحقيقه عبر هذه السنين من القتال والنزال ستحققه هذه الشعوب بهذه المسيرات والاعتصامات، وهي في حقيقة أمرها مراجعات لبعض أدبيات التيار في إمكانية الوصول إلى المقصود "الشرعي" عن طريق مسار السلمية، وهذا التناغم بدا واضحاً بين الظواهري ومرسي، حين دعا الظواهري لمرسي ورجا منه أن لا يخيب أمله وأمل الشعب في مشهد يتضح فيه أنه كان يعول الكثير من حركة الشعوب في الربيع العربي، وهذا يدل على أن أصول القاعدة ما هي إلا أصول اخوانية، وما منع القاعدة من المشاركة في هذه الثورات سلمياً إلا خشية التأثير على مسار الثورات واتخاذ ذلك ذريعة في وأد هذا الحراك الشعبي.

والذي يصور موقف القاعدة بصورة واضحة هو ما ورد على لسان رئيس اللجنة السياسية والعلاقات الخارجية في التنظيم أبو عبد الإله أحمد حيث قال:" نقول لإخواننا الذين اختاروا طريقا للمقاومة والتغيير غير طريق الجهاد في سبيل الله نحترم رأيكم وخياركم وندعو لكم بالتوفيق والسداد ونرجوا منكم المعاملة بالمثل و **أنتم أهل الفضل** ولذلك أهل وأن نترك خلافاتنا جانبا وأن نتعاون على البر والتقوى لأن معركتنا واحدة وهدفنا واحد إنهاء حكم العسكر واستقلال الجزائر" انتهى كلامه.

إن موقف القاعدة في مثل هذا التحول النظري فضح أصولها، وكشف أن لديها استعداد وقبول لخوض غمار الديمقراطية للوصول إلى الهدف المنشود، فلا اعتبار للوسائل والغاية تبرر الوسيلة، كشف ذلك تعاملها مع ملف الثورات عند سقوط الرؤوس العلمانية في الدول العربية، الموقف الذي غازلت فيه الإخوان وانتظرت بشغف ولهف شديدين من هذه الشعوب أن تقيم الدين في الأرض على تصور التيار، التصور الذي قد بُنيَّ على النظرة العقائدية في تصحيح دين الجماهير التي خرجت ساخطة على دنياها، وعلى الوهم من أنها خرجت تريد الإسلام وتطلبه لتقيمه، مما يُنبئ أن خلافهم مع الإخوان محصور في مسائل اجتهادية ـ بزعمهم ـ كطرق التغيير ولابأس في التنازل عنها في صور وأحداث معينة والدخول في دين الديمقراطية بُغية التمكين، على غرار الدولة التي كانت حاسمة في مسألة التغيير وإن كان رد فعلها جاء متأخراً بعد

سكوت وترقب طويل، فلما زال عرش الإخوان في مصر جاءت كلمة العدناني "السلمية دين من! ".

خاب ظن الجميع وعادت الشعوب إلى بيوتها وخفت صوتها بعد أن نكَّل طواغيت مصر بالإخوان قتلا وأسرا فتأدب من ورائهم من الجماهير الغاضبة، وعادت العلمانية إلى تونس بعد فاصل يسير من حكم الإخوان، أما اليمن وليبيا فقد سارت الثورة نحو جعل هذه البلدان بؤر جديدة وساحات لصراع القوى الكبرى في الجزيرة وشمال إفريقيا، وأما الشام فقد كانت نموذجا آخر من الثورات وأريد لها أن تستقطب فئاماً من الحركيين من أنصار التيار الجهادي من شتى البقاع، ففتحت لهم الشام أحضانها حتى اجتمع فيها الكثير من أصحاب المدارس والتوجهات المتباينة من أبناء هذا التيار ليحصل بعدها المخاض العسير والفصام النكد.

المطلب الثالث: الوقفة الثالثة

وهي في إعادة هيكلة الدولة في الشام بعد مفاصلة الجبهة والسعي في استقطاب عدة أسماء لها ولاء للدولة سواء من صفوف الجبهة أو غيرها، وفي هذا السياق استقطبت الدولة أصحاب التيار المتشدد "الغلاة" وعلى رأسهم أبو عمر الكويتي وأبو جعفر الحطاب حيث أنها وجدت فيهم أرضاً خصبة في خلافها مع النصرة، فهم قد مالوا على إثر الأحداث إلى تكفير الفصائل وأظهرت لهم الدولة هذا النَفَس ... فتجمع في الدولة أبناء هذا التيار من المهاجرين وعلى رأسهم التونسيين من أصحاب المدرسة الحازمية، وبذلت الدولة جهودا مضنية في ضم جيش المهاجرين والأنصار وكان لها ذلك بعد أن انضم إليها أكثره بعد عدة جلسات مع عمر الشيشاني وأبو حفص الجزراوي وأبو جعفر الحطاب، وكان لهذه البيعة أثر بالغ في ظهور الدولة كقوة في إدارة التوحش في غابة الشام ... وأشرنا إلى أنه وقعت في هذه المرحلة اعتداءات غير مفهومة من طرف المعتدى عليه، وأرادت الدولة أن تطبق نظرية إدارة التوحش في مثل هذه البيئة فرفضت التحاكم في عدة مواطن للنزاع بينها وبين المعتدى عليه مما أثار سخط أعلام التيار الجهادي، والذي ولَّد إجماعاً لدى جميع المكونات على رفض وجودها في ساحة الشام، وانتهت بالحملة التي قامت بها الفصائل كما سبق الإشارة إليها، وهذا التوجه إلى التكفير والاعتداء من أسبابه المكون الجديد الذي قامت عليه الدولة والذي توافق مع سياسة الدولة في إدارة التوحش في هذه المرحلة ... ولكن هل هذا التزاوج ـ بين الدولة

والغلاة ـ دام طويلا أو كان اندماج مرحلي إلى حين التمكين ثم تطهير الصف من الفكر الدخيل على مسار الدولة وعقيدة أعلامها؟ وهذه الوقفة تفيدنا جداً في فهم المرحلة القادمة والصدام المنهجي الذي وقع في دولة أسست على قاعدة التجميع والضبابية في التصور والعقيدة، وتقديم المصلحة المرحلية في تبني مكونات دخيلة على فكر الجماعة، فكانت كمن ارتقى سلما على سواعد الغلاة فلما قامت أركانه واستقام عوده نبذ الدخيل عنه وكسر قوائمه.

وعلى إثر المفاصلة التي سلكتها الفصائل مع الدولة والقتال المبيَّت الذي جاء في قالب الغدر كما هو توصيف الدولة له ... هذا الغدر الذي تجرعت الدولة مرارته كاد أن ينهيها في الشام، وهو موقف التيار الجهادي عموماً من أصحاب هذا الفكر "الغلو" أو ممن يحمل بوادره تكررت مأساته في مراحل متعددة في التاريخ القتالي، ووقعت الدولة في حبائله بعد أن صُنفت من طرف أعلام التيار أنها من الغلاة!، وهذا التصنيف يقتضي تطهير ساحة الجهاد منه، حيث أنه قد تقرر عندهم أنه يفسد الجهاد ويحرفه بل هو آفته، لذلك يعملون على تطهير ساحات القتال منه بشتى الوسائل وفي الغالب يكون السيف هو الدواء كما وقع في الجزائر للجماعة الإسلامية المسلحة وفي العراق لجماعة ديالى و تكررت في الشام لجماعة الدولة ... ولكن الدولة رفضت بشدة هذا التصنيف ولعبت على الحبلين وقدمت القرابين لإثبات براءتها من هذا الفكر، وهي تعلم جيدا أن من صنفها هو من قرر لها المعتقد والتيار تياره والدعوة دعوته والخروج عن فكره خلل وغلو وإن لم تصرح به، ولكنها عملت على تطهير الصف من الدخيل بطريقتها الخاصة، وفي المقابل لم تتنازل عن القيادة والريادة في الإمارة وشقت الصف وتفردت بالإمامة ولم تُثنها صيحات الأعلام بالرجوع، والكأس التي شربت منها الدولة سقتها بعد ذلك لجنودها وأبنائها .



البَابُ الثَّانِي

المرحلة الأولى: التمكين وإعلان الخلافة

تـم سـيطرت الدولـة على أجـزاء واسـعة مـن سـوريا والعـراق في ظـرف متـزامن وفتـرة وجيزة، حيث لـم يكـن التمكين يخطـر على بـال أحـد، ولكـن الله مكـن لهـذه الجماعـة بمـا لـم يُمَكَّن فيـه لغيرهـا ابـتلاءً لهـا وامتحـان مـن الله عـز وجـل لينظـر كيـف يعملـون، وعلى وقـع نغمـات هـذا التمكين سـارع الحُجَّـاج إلى إعطائـه صـبغة أخـرى وأبعـادا تاريخيـة وتقليـده تـاج الخلافـة، ولـم يكـن بـين التمكـين والإعـلان إلا أيامـا معـدودة، فكانـت طفـرةً مـنهم وفلتـةً كـأنهم في سـباق مـع غيرهم إليهـا ... لقـد وضـعت هـذه السـابقة التيـار الجهـادي عمومـاً على المحـك، فهـل توافـق القاعـدة الأمـ على الخلافـة؟ أم هـو افتيـات عليهـا وقطـفٌ لثمـرة زرعتهـا ورعتهـا وسـقتها بالـدماء لسـنوات متواليـة وهـا هـي تـرى نفسـها خـارج سـاحة التمكـين بـل خـارج دائـرة الخلافـة، وهـا هي تقـام مـن غير مشـورتها فضـلاً على أنهـا تُسـتأمر فيهـا !! ... كـل هـذه المقـدمات وغيرهـا ممـا خفـي أدى إلى إجمـاع التيـار على عـدم قبـول هـذا الاسـتخلاف وعللوا هذا الرفض بأسباب وحاصلها يدور على أمرين:

<u>الأول</u>: أن الحُجَّـاج لـم يشـاوروا أهـل الحـل والعقـد وكانـت البيعـة فلتـه مـن أهـل العـراق، وهـو افتئـات على أهـل الشـأن وأعـلام الأمـة!، وأخـذ هـذا الموضـوع حيزاً واسـعاً مـن النقـاش في شـرطية الشـورى لمجمـوع أهـل العقـد والحـل باعتبـار أن جـزءا مـنهم موجـود في الدولـة لـم يـتم إبـرازهم للعلـن لـدواعي أمنيـة!! ... وهـذا امتـداد للخـلاف الحاصـل قبـل أشـهر مـن خـروج الدولـة على الطاعـة ومـا ترتـب عليـه مـن التفـرد بالإمامـة وإعـلان الخلافـة، ومـن ثَـم امتـداد الخـلاف إلى جميـع الجهـات، وفي ضـمن هـذه المسـتجدات سـعت الدولـة إلى سـحب البسـاط مـن تحـت القاعـدة بـدعوة فروعهـا إلى بيعـة الإمـام وأنـه مـن الواجبـات الشـرعية بعد خلع بيعة القاعدة التي هي بيعة تنظيم قطرية للقتال قد أفل زمانها.

<u>الثـاني</u>: أنهـا خلافـة الغـلاة والخـوارج وأنهـم خرجـوا على الأمـة وطاعـة أعلامهـا، وفـيهم أبـو عمـر الكـويتي المعـروف بمنهجـه الغـالي وأبـو جعفـر الحطـاب الـذي كفـر الحدوشـي والكتـاني في تـونس وهـو مـن طلبـة الحـازمي، وأبـو مصـعب التونسـي الـذي كفـر أسـامة بـن

لادن وطالبان في تسجيل له في دير الزور، وفيهم أبو مسلم المصري القطبي وأبو هاجر الوحيشي الخارجي وغيرهم من الأسماء ... فقد كان أعلام التيار يعرفون جيدا التوجه الشرعي للدولة قبل التمكين، ووسمهم لها بالغلاة والخوارج كان بناء على القول في مسألة العذر بالجهل والمتوقف في المشركين "العاذر" وحد أصل الدين وغيرها من المسائل التي كانت مطروحة على الساحة آنذاك.

وكانت هذه أهم الأسباب التي دعت القاعدة إلى رفض الاستخلاف وما كان لها أن توافق عليه أبداً بحكم التوتر الحاصل بين القاعدة الأم والفصيل المتمرد عليها "الدولة"، وما حصل على إثر هذا الفصال من حظوظ النفس والفصام النكد، بل تجاوزت القاعدة مجرد الرفض ودعت أنصارها إلى عدم الالتحاق بالدولة والخروج من صفوفها كما أفتى بذلك أعلامهم، وأصدر فروعهم بيانات رافضة لها سواء من اليمن والجزائر والصومال وغيرها، مع وجود بعض الأصوات النكرة التي كانت تبارك للدولة خلافتها، فكان خندقا واسعا لا يُرجى معه التسوية ولا عودة منه إلى الوراء.



الفَصْلُ الأَوَّلُ

وقفة مع الاتساع الأفقي المتسارع

إنَّ هـذا التمكـين في هـذه الأرض الشاسـعة والاتسـاع الأفقـي المتسـارع بـين سـوريا والعـراق المتزامن بعـد حادثـة القتـال مـع الفصـائل قـد جـاء قـدراً ، حيـث لـم تكـن الدولـة متهيئـة لـه ولا طاقـة لهـا على اسـتيعاب كـل هـذه القـرى والـديار، وواقـع التمكـين أن جماعـة مسـلحة لهـا كيـان سـيطرت على مُـدن وبلـدات كانـت خاضـعة لنظـام البعـث وفلولـه لعقـود مـن الزمـان، ولا ريـب أن هـذا الظهـور لا يُصيِّر المجتمـع البعثـي[1] مُسـلما بمجـرد وضـع لافتـات عليهـا كلمـة "إسـلامية" علـى مقـرات هـذه الجماعـة كالشـرطة والمحكمـة وغيرهـا، ولكـن مفـرق الطـرق هـو في الرؤيـة الشـرعية لهـذه الملايـين مـن البشـر وتصـنيفهم والتعامـل معهـم بنـاء على هـذه الرؤيـة، ولقـد كـانوا في التصـور العقـدي للدولـة مسـلمين كمـا قـال العـدناني مخاطبـا لهـم:" فإنـا واللـه مـن أجلهـم نفرنـا وللـذود عـن دمـائهم وأمـوالهم وأعراضـهم جئنـا وسـنظل نحـبهم ولـو كرهونـا وسـنظل ننصـرهم مهمـا خـذلونا ونريـد حيـاتهم ولـو أرادوا قتلنـا" ... وهـذا أعلى درجـات الـولاء لهـذه الشـعوب والأقـوام، فكـان قيـام الدولـة على وهـم كبير وكـان البنـاء على هـذه الجاهليـة النكـراء بعـد تغييرهم للافتـات مـن شـعار " مـن الشـعب وإلى الشـعب " إلى شـعار "المحكمـة الإسـلامية"، ونحـن في هـذا الكتـاب لا نملـك أن نناقش التيـار في هـذه الأسـماء الشـرعية ومـن أخصـها الإسـلام والجاهليـة ثـم تنزيلهـا على واقـع النـاس اليـوم، ولقـد أفردنـا هـذه المسـألة العظيمـة بالتـأليف والتصـنيف في كتابنـا الهدايـة، وإن كنـت في هـذا الكتـاب أنـاقش التيـار الجهـادي عمومـاً والدولـة خصوصـا في المـنهج الحركي لهـا ونبـين أن الخلـل في التصـور العقـدي ولَّـدَ انحرافـا عظيمـا في المـنهج الحركي لإقامـة الدولـة في الأرض، فضـاعت جهـود ودمـاء هَـدراً ومضـت عقـود مـن الزمـان

---

[1] وحتى تعلـم أنـه مجتمعـا بعثيـاً انظـر إلى مـا جـاء في قـانون نقابـة المعلمـين السـورية الـذين هـم المسـؤولون على تربيـة الأجيال:

المـادة ٢- تعمـل النقابـة على تحقيـق الأهـداف الـواردة في قـانون النقابـة الصـادر بالمرسـوم التشـريعي /٨٢/ لعـام ١٩٧٠ وتعديلاتـه وهـي:أ- **النضـال مـن أجـل تحقيـق المجتمـع العربـي الاشـتراكي الموحـد بقيـادة حـزب البعـث العربـي الاشتراكي.**

هباء منثوراً، وقد ظهر للعيان في هذه النكبة الأخيرة أن الخلل عظيم فالاستئصال سنة كونية فيها آية ربانية على الانحراف والمباينة لأمر الله قال تعالى: ﴿ وَلَن يَجْعَلَ ٱللَّهُ لِلْكَٰفِرِينَ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ سَبِيلاً ﴾[النساء١٤١] قال ابن كثير:" أَيْ: فِي الدُّنْيَا، بِأَنْ يُسَلَّطُوا عَلَيْهِمُ اسْتِيلَاءَ اسْتِئْصَالٍ بِالْكُلِّيَّةِ، وَإِنْ حَصَلَ لَهُمْ ظَفَرٌ فِي بَعْضِ الْأَحْيَانِ عَلَى بَعْضِ النَّاسِ، فَإِنَّ الْعَاقِبَةَ لِلْمُتَّقِينَ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ، كَمَا قَالَ تَعَالَى: ﴿إِنَّا لَنَنصُرُ رُسُلَنَا وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ فِي ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَيَوْمَ يَقُومُ ٱلْأَشْهَٰدُ ﴾[1]، وإن كنا لا نستدل بالنتائج على فساد الأصول ولكننا مطالبين بالاعتبار من إهلاك الله لتلك القرى والديار قال تعالى: ﴿ فَٱعْتَبِرُواْ يَٰٓأُوْلِي ٱلْأَبْصَٰرِ ﴾[الحشر٢].

إنَّ صنيع الدولة في تلك الديار إنما هو جريٌ على سُنَّةِ القاعدة الأم عند ظهورها على القرى والديار كما حصل في قرى أفغانستان وأبين اليمن ودولة العراق والصومال وغيرها، وهي نظرة التيار الجهادي عموما لهذه الشعوب وأنها محل لتحكيم الشريعة وإقامة الدين، الذي في تصورهم هو إقامة الحدود والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر في فروع الدين، وإن كان هذا من مقاصد الجهاد وواجبات التمكين ولكنه تصور ناقص عن التغيير المطلق في مثل هذه الجاهلية المعاصرة، فالمقصد الأعلى للجهاد هو دعوة الناس إلى الإسلام وإخراجهم من الظلمات إلى النور حتى لا يبقى إلا مُسلم أو مُسالم، وليس القتال لإقرار المشركين على سابق كفرهم وتسميتهم مسلمين بعد الظهور عليهم وإزالة معالم الشرك وأسلمة أهلها!!، فالانتساب إلى الإسلام مع البقاء على ملة الشرك واستدامته، وطاعة الطاغوت وعدم اجتنابه، وولاية المشركين وعدم البراءة منهم وتكفيرهم، لا يصير به المرء مسلماً فتكون بذلك دعوى لا تُصحح إسلامهم ولا يترتب عليها أحكامٌ في دين الله عزو جل، وهو انتسابٌ لا اعتبار له في الشرع، وأهله هم من أهل الشرك وملة الكفر سواءً بسواء، قال تعالى: ﴿ فَإِن تَابُواْ وَأَقَامُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَوُاْ ٱلزَّكَوٰةَ فَإِخْوَٰنُكُمْ فِي ٱلدِّينِ وَنُفَصِّلُ ٱلْأَيَٰتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ﴾[التوبة١١] عَنِ الرَّبِيعِ عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ﴿ فَإِن تَابُواْ وَأَقَامُواْ ٱلصَّلَوٰةَ ﴾ يَقُولُ: «تَوْبَتُهُمْ خَلْعُ الْأَوْثَانِ وَعِبَادَتِه »، وعَنْ مُقَاتِلِ بْنِ

[1] تفسير بن كثير ٤٣٧/٢

حَيَّانَ قَوْلُهُ: «فَإِنْ تَابُوا مِنَ الشِّرْكِ وَأَقَامُوا الصَّلاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ لَمْ تَقْتُلْهُمْ، وَكُفَّ عَنْهُمْ»، وَرُوِيَ عَنِ الضَّحَّاكِ: «فَإِنْ تَابُوا مِنَ الشِّرْكِ»[1].

وقال تعالى: ﴿ مَا كَانَ إِبْرَٰهِيمُ يَهُودِيًّا وَلَا نَصْرَانِيًّا وَلَٰكِن كَانَ حَنِيفًا مُّسْلِمًا وَمَا كَانَ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴾[آل عمران٦٧] عن عامر، قال: «قالت اليهود: إبراهيم على ديننا. وقالت النصارى: هو على ديننا. فأنزل الله عز وجل: ﴿ مَا كَانَ إِبْرَٰهِيمُ يَهُودِيًّا وَلَا نَصْرَانِيًّا ﴾الآية، فأكذبهم الله، وأدحض حجتهم - يعني: اليهودَ الذين ادّعوا أن إبراهيم ماتَ يهوديًّا». وعن الربيع مثله"[2].

فنسبة اليهود والنصارى وعُبَّاد الأوثان أنفسهم إلى ملة إبراهيم لم يصحح دينهم، ولا اعتبار له في الأسماء ولا في الأحكام، ويدل عليه قوله تعالى: ﴿ فَإِنْ حَآجُّوكَ فَقُلْ أَسْلَمْتُ وَجْهِيَ لِلَّهِ وَمَنِ ٱتَّبَعَنِ ۗ وَقُل لِّلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْأُمِّيِّـۧنَ ءَأَسْلَمْتُمْ ۚ فَإِنْ أَسْلَمُوا۟ فَقَدِ ٱهْتَدَوا۟ ۖ وَّإِن تَوَلَّوْا۟ فَإِنَّمَا عَلَيْكَ ٱلْبَلَٰغُ ۗ وَٱللَّهُ بَصِيرٌۢ بِٱلْعِبَادِ ﴾ [آل عمران ٢٠] ، قال البغوي: "قَوْلُهُ تَعَالَى:﴿ فَإِنْ حَآجُّوكَ ﴾، أَيْ: خَاصَمُوكَ يَا مُحَمَّدُ فِي الدِّينِ، وَذَلِكَ أَنَّ الْيَهُودَ وَالنَّصَارَى قَالوا: ألسنا عَلَى مَا سَمَّيْتَنَا بِهِ يَا محمد وإنما الْيَهُودِيَّةُ وَالنَّصْرَانِيَّةُ نَسَبٌ، وَالدِّينُ هُوَ الْإِسْلَامُ وَنَحْنُ عَلَيْهِ؟، فَقَالَ اللَّهُ تَعَالَى:﴿ فَقُلْ أَسْلَمْتُ وَجْهِيَ لِلَّهِ ﴾، أَيِ: انْقَدْتُ لِلَّهِ وَحْدَهُ بِقَلْبِي وَلِسَانِي وَجَمِيعِ جَوَارِحِي، وَإِنَّمَا خُصَّ الوجه لأنه أكرم الجوارح للإنسان، وَفِيهِ بَهَاؤُهُ فَإِذَا خَضَعَ وَجْهُهُ للشيء فقد خَضَعَ لَهُ جَمِيعُ جَوَارِحِهِ. وَقَالَ الْفَرَّاءُ: مَعْنَاهُ أَخْلَصْتُ عَمَلِي لِلَّهِ،﴿ وَمَنِ ٱتَّبَعَنِ ﴾ أَيْ: وَمَنِ اتَّبَعَنِي فأسلم كَمَا أَسْلَمْتُ ... وَقَوْلُهُ: ﴿ وَقُل لِّلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْأُمِّيِّـۧنَ ﴾، يَعْنِي: الْعَرَبَ أَأَسْلَمْتُمْ، لَفْظُهُ اسْتِفْهَامٌ وَمَعْنَاهُ أَمْرٌ، أي: وأسلموا، كَمَا قَالَ:﴿ فَهَلْ أَنْتُمْ مُنْتَهُونَ﴾ [الْمَائِدَةِ: ٩١] ، أَيِ: انْتَهُوا، ﴿ فَإِنْ أَسْلَمُوا۟ فَقَدِ ٱهْتَدَوا۟ ﴾، فَقَرَأَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ هَذِهِ الْآيَةَ **فَقَالَ أَهْلُ الْكِتَابِ: أَسْلَمْنَا**، فقال لليهود: أتشهدون أن عزيزا عبده ورسوله؟ فَقَالُوا: مَعَاذَ اللَّهِ [أَنْ يَكُونَ عزيز عليه السلام عبدا]، وَقَالَ لِلنَّصَارَى: أَتَشْهَدُونَ أَنَّ عِيسَى كَلِمَةُ اللَّهِ وَعَبْدُهُ وَرَسُولُهُ؟ قَالُوا: مَعَاذَ اللَّهِ أَنْ يَكُونَ عِيسَى عَبْدًا،

[٢] رواه ابن أبي حاتم في تفسيره ٩٢٧٢ و٩٢٧٣

[١] رواه الطبري برقم ٧٢١١

فَقَالَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ: ﴿ وَإِن تَوَلَّوْاْ فَإِنَّمَا عَلَيْكَ ٱلْبَلَٰغُ ﴾، أَيْ: تَبْلِيغُ الرِّسَالَةِ، وَلَيْسَ عَلَيْكَ الْهِدَايَةُ، ﴿ وَٱللَّهُ بَصِيرٌۢ بِٱلْعِبَادِ ﴾، عَالِمٌ بِمَنْ يُؤْمِنُ وَبِمَنْ لَا يُؤْمِنُ"[١].

وإن من المفارقات بل ومن المستحيلات أن تقام دولة إسلامية بمنظور صحيح على مجتمع جاهلي قد نشأ على الكفر والشرك منذ نعومة أظفاره، إذ كيف يقام دين الله في أرض أهلها عبيد للطواغيت لعقود وأزمان قبل فطامهم عن الجاهلية ودعوتهم إلى الإسلام الصحيح وإزالة العبودية لغير الله من القلوب و مسح آثارها ورواسبها من الوجود، وكيف يمكن الانتقال من ديانة إلى ديانة دون البراءة الكاملة، ونحن لما نقول أن هذه الشعوب مغيبة عن دين الله هي حقيقة شرعية كما أنه واقع لامسه كل من عرف الإسلام واحتك بهذه الشعوب عن قرب بعد التمكين من خلال الدعوة والاحتساب والقضاء والتعليم، فمن باشر هذه الولايات عرف أن هؤلاء الناس جهال بلا إله إلا الله لا يعرفون من دين الله ما يصحح لهم أصلهم، إنها حقيقة وقف عليها كل من باشر تلك الولايات ولا ينكرها إلا جاحد أو مكابر.

وقد وقعت إشكالات كبيرة جدا على إثر هذا التركيب ـ تنزيل الأحكام الشرعية على فاقدي الأصول الإسلامية ـ اصطدم بها هيئة الإفتاء والقضاة المحتسبين والدعاة في الدولة وسيأتي ذكر بعض الشواهد على هذا، وإن كان مثل هؤلاء الجاهليين غير مخاطبين بفروع الشريعة بل هم مخاطبون بأصولها، ونحن مخاطبون أن نسميهم باسمهم الشرعي وأن لا نغشهم في دينهم فإن منهم الكثير ممن يظن أنه يدين بدين الإسلام وهو في غير دين الإسلام ولا يدري، قد خدعه وغشه من قال له أنك مسلم وخاطبه بخطاب الإسلام ودعاه إلى الجهاد، والكثير منهم عنده استعداد فطري لقبول الحق وإجابة داعي الهدى لو دُعِيَّ إليه، بل للدولة السلطان الذي يأطر الناس على الحق أطرا فإن الله يزع بالسلطان ما لا يزع بالقرآن، والله عزَّ وجلَّ مكَّنَ لهذه الجماعة للغاية العظيمة والحكمة السامية، مكَّنَ لها لتُخرج الناس من عبادة العباد إلى عبادة رب العباد وليس أن تقرهم على عبادتهم للعباد وتسميهم مسلمين وهم يجهلون حقيقة الإسلام وحقيقة ما كانوا عليه من الدين الباطل!، وفي المقابل فقد كانت هذه المجتمعات الجاهلية تنظر إلى الدولة ـ التي قامت على المهاجرين في الشام ـ وهي تأمرهم وتنهاهم بما يخالف ما ألفوه من منكرات وتحول بينهم وبين الشهوات، إلى احتلال ذو

---

[٢] تفسير البغوي ٤٢٢/١)

جنسيات مختلفة، والعبارة التي سمعها الكثير من المهاجرين حين احتسابهم على المتبرجات هو قولها: تركتم النساء في بلادكم متبرجات وجئتم لتأمرونا بالحجاب والنقاب!.

وهل ينفعهم الالتزام بالأمر والنهي ظاهراً وهم مشركون لم يحققوا الاستسلام لله في العبادة والطاعة والاتباع، وكيف يُحمَلُون على فروعه أطراً وهم كارهين تاركين لأصله دهرا !، فالمسلمون إذا خَلَصَت نُفوسهم لله وذلت له واستسلمت له بالتوحيد وأفردته بالاتباع والتلقي والانقياد، أصبحوا لا يجدون في نفوسهم خِيَرَة إلا فيما يختاره الله لهم، وحينئذٍ يرتفعون عن رذائل الجاهلية ويأتمرون بأوامر الله لما يخاطبهم بنداء الإيمان فيُطَاع الله في أمره ونهيه لتَحَقُّقِ كمال الاستسلام والحب لله تعالى في القلوب

إن نقطة البدء لم تكن في إقامة الفروع والحدود وحمل هؤلاء الجاهليين على أداء الحقوق الشرعية، بل كانت في إقامة المجتمع المسلم الذي هو محل لتنزيل هذه الأحكام وأداء الحقوق، ودعوة هؤلاء الجاهليين للإسلام أو الجزية[1]بعد تعريفهم بحقيقة أمرهم وتوصيفهم بحقيقة وصفهم.

وفي مثل واقع الدولة والاتساع الأفقي لها قد تحتاج إلى جيش من الدعاة لا من المقاتلين وهم في الأصل اللبنة الصلبة للجماعة المسلمة، ولكن لا قاعدة كانت للدولة على هذا الأصل، فقد كانت تَجمُّعاً للقتال لا للدعوة ولم تكن هناك تهيئة عقائدية ولا دعوية لإقامة الأمر على أصله، وهذا أعظم هُوَّة سقطت فيها الدولة وهو أكبر صدام وقع بين شرعيها في هذه المسألة العظيمة، واستقر الأمر ـ بعد إجراء السيف ـ على أن

---

[١] عَنْ سُلَيْمَانَ بْنِ بُرَيْدَةَ، عَنْ أَبِيهِ، قَالَ: كَانَ رَسُولُ اللهِ ﷺ إِذَا أَمَّرَ أَمِيرًا عَلَى جَيْشٍ، أَوْ سَرِيَّةٍ، أَوْصَاهُ فِي خَاصَّتِهِ بِتَقْوَى اللهِ، وَمَنْ مَعَهُ مِنَ الْمُسْلِمِينَ خَيْرًا، ثُمَّ قَالَ: «اغْزُوا بِاسْمِ اللهِ فِي سَبِيلِ اللهِ، قَاتِلُوا مَنْ كَفَرَ بِاللهِ، اغْزُوا وَلَا تَغُلُّوا، وَلَا تَغْدِرُوا، وَلَا تَمْثُلُوا، وَلَا تَقْتُلُوا وَلِيدًا، **وَإِذَا لَقِيتَ عَدُوَّكَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ**، فَادْعُهُمْ إِلَى ثَلَاثِ خِصَالٍ - أَوْ خِلَالٍ - فَأَيَّتُهُنَّ مَا أَجَابُوكَ فَاقْبَلْ مِنْهُمْ، وَكُفَّ عَنْهُمْ، ثُمَّ ادْعُهُمْ إِلَى الْإِسْلَامِ، فَإِنْ أَجَابُوكَ، فَاقْبَلْ مِنْهُمْ، وَكُفَّ عَنْهُمْ، ثُمَّ ادْعُهُمْ إِلَى التَّحَوُّلِ مِنْ دَارِهِمْ إِلَى دَارِ الْمُهَاجِرِينَ، وَأَخْبِرْهُمْ أَنَّهُمْ إِنْ فَعَلُوا ذَلِكَ فَلَهُمْ مَا لِلْمُهَاجِرِينَ، وَعَلَيْهِمْ مَا عَلَى الْمُهَاجِرِينَ، فَإِنْ أَبَوْا أَنْ يَتَحَوَّلُوا مِنْهَا، فَأَخْبِرْهُمْ أَنَّهُمْ يَكُونُونَ كَأَعْرَابِ الْمُسْلِمِينَ، يَجْرِي عَلَيْهِمْ حُكْمُ اللهِ الَّذِي يَجْرِي عَلَى الْمُؤْمِنِينَ، وَلَا يَكُونُ لَهُمْ فِي الْغَنِيمَةِ وَالْفَيْءِ شَيْءٌ إِلَّا أَنْ يُجَاهِدُوا مَعَ الْمُسْلِمِينَ، **فَإِنْ هُمْ أَبَوْا فَسَلْهُمُ الْجِزْيَةَ**، فَإِنْ هُمْ أَجَابُوكَ فَاقْبَلْ مِنْهُمْ، وَكُفَّ عَنْهُمْ، فَإِنْ هُمْ أَبَوْا فَاسْتَعِنْ بِاللهِ وَقَاتِلْهُمْ، وَإِذَا حَاصَرْتَ أَهْلَ حِصْنٍ فَأَرَادُوكَ أَنْ تَجْعَلَ لَهُمْ ذِمَّةَ اللهِ، وَذِمَّةَ نَبِيِّهِ، فَلَا تَجْعَلْ لَهُمْ ذِمَّةَ اللهِ، وَلَا ذِمَّةَ نَبِيِّهِ، وَلَكِنِ اجْعَلْ لَهُمْ ذِمَّتَكَ وَذِمَّةَ أَصْحَابِكَ، فَإِنَّكُمْ أَنْ تُخْفِرُوا ذِمَمَكُمْ وَذِمَمَ أَصْحَابِكُمْ أَهْوَنُ مِنْ أَنْ تُخْفِرُوا ذِمَّةَ اللهِ وَذِمَّةَ رَسُولِهِ، وَإِذَا حَاصَرْتَ أَهْلَ حِصْنٍ فَأَرَادُوكَ أَنْ تُنْزِلَهُمْ عَلَى حُكْمِ اللهِ، فَلَا تُنْزِلْهُمْ عَلَى حُكْمِ اللهِ، وَلَكِنْ أَنْزِلْهُمْ عَلَى حُكْمِكَ، فَإِنَّكَ لَا تَدْرِي أَتُصِيبُ حُكْمَ اللهِ فِيهِمْ أَمْ لَا»((١))، "وهَذَا مِمَّا يَسْتَدِلُّ بِهِ مَالِكٌ وَالْأَوْزَاعِيُّ وَمُوَافِقُوهُمَا فِي جَوَازِ أَخْذِ الْجِزْيَةِ مِنْ كُلِّ كَافِرٍ عَرَبِيًّا كَانَ أَوْ عَجَمِيًّا كِتَابِيًّا أَوْ مَجُوسِيًّا **أَوْ غَيْرِهِمَا**" شرح مسلم ١٢/٣٩

هـذه الملايـين مـن البشـر قـد صـارت رعايـا "لأمير المـؤمنين" وتكفيرهـا هـو بالضـرورة تكفير للإمـام نفسـه وهـذه المقالـة ـ تكفير المشـركين المنتسـبين ولازمهـا ـ تُهمـةٌ حُكمهـا القتـل في الدولـة، فالفصـل في هـذه المسـألة هـو الـذي حـدد توجـه الدولـة الشـرعي والحركي على المسـار القـديم لهـا، وقـد اختـارت الدولـة زوالهـا ووضـعت قـدما إلى الفنـاء بعـد الفصـل في هـذا النـزاع، ولـم يكـن للدولـة خيـار في هـذه المسـألة حيـث أنهـا منـذ تأسيسـها كانـت هي النظـرة ذاتهـا فـي هـذه الشـعوب، وقـد فصـلها الزرقـاوي بخطاباتـه فـي الأمـة الغاليـة والشـعوب المسـلمة، والبغـدادي الضـابط مـن بعـده، وأبيـد مـن أجلهـا جماعـة ديـالى فلـيس هنـاك مجـال للمداهنـة فيهـا بعـد النصـر والتمكـين، وإن كـان المـدُّ القـوي الـذي بـايع الدولـة قبـل التمكـين بأصـوله المعروفـة هـو الـذي أثـار هـذه المسـائل وفاصـل فيهـا، وإن كـان لـه مقـال قبـل التمكـين فلـم يكـن لـه إلا السـيف بعـدها، فـالمنهج مرسـوم والطريـق مُعبـد على جنباتـه العبـوات والـداخل دخيـل ولـم يكـن هنـاك مجـال للإصـلاح أو التغيير فـالانحراف كلـي والصـدام قـوي ولا مجـال للتعـايش بعـده إلا بقطـع إحـدى الطـائفتين، والسـيف قـد وقع على المنهج الجديد وكان العلاج ككل مرة بالكي والحديد.



الفَصْلُ الثَّانِي

الصدام الشرعي في الدولة بعد التمكين

كانت أعلى هيئة شرعية إبان التمكين هي: "الهيئة الشرعية" التي على رأسها أبو علي الأنباري وفيها أبو زيد العراقي وأبو بكر القحطاني وأبو جعفر الحطاب، والتي كانت تحال إليها جميع القضايا الشرعية في الدولة، ومن أبرز أعمالها عقد الذمة مع النصارى الذي تولاه الأنباري والبيان الذي خرج في حكم أحرار الشام وحكم إقرار القبر التركي على أراضي الدولة وغيرها، وفي هذه المرحلة نشب صراع قوي في هذه الهيئة في مسألة المتوقف "العاذر" وحد أصل الدين وحكم جاهل التوحيد وحكم من لم يكفر طاغوت قومه، بين القحطاني والحطاب وكلٌ منهما كان يمثل تياراً بارز في الدولة ومدرسة من المدارس التي ستقرر الدولة عقيدتها: بين مدرسة القاعدة الأم ومدرسة أبي عمر الكويتي، ومن جهة أخرى كان صراع إداري في الهيئة بين الأنباري الذي يريد الإبقاء على الهيئة الشرعية كمركزية شرعية للدولة والقحطاني الذي يريد تدوين الدواوين وإلغاء عمل الهيئة، وانتهى هذا النزاع بتدوين الدواوين وإلغاء الهيئة، وقد كان القحطاني له تأثير عجيب على البغدادي وكانت له الجولة في كل الصدمات في هذه المرحلة ... وفي خِضَّم هذا النزاع عُقدت مناظرة بين يدي البغدادي بين القحطاني والحطاب في المسائل المتنازع فيها.

وقد حدثني القحطاني عن المناظرة التي وقعت بينه وبين الحطاب بين يدي البغدادي ـ والعهدة عليه وإن كان خصماً ـ في مسألة العاذر فقال أنه أسكت الحطاب بسؤاله عن الثالث فكفره الحطاب وتوقف عنده، فسأله عن علة التوقف عند الثالث فقال: أقلد في ذلك أئمة الدعوة النجدية، فقال القحطاني كيف وأنت لا ترى التقليد في أصل الدين وتكفر المقلد في ذلك وها أنت تقلد في مسألة من مسائل أصل الدين!!، قال فخُصم الحطاب وأمره البغدادي بالذهاب إلى العراق[1]،ولكنه لم يمكث طويلا حتى عاد

---

[1] وهذه طريقة الحُجَّاج في إسكات بعض الأصوات التي تحمل نَفَس لا يوافق سياستها كما فعلوا مع أبي محمد الأزري وجماعة الحسبة الجزراوية وأبي رامي الجزراوي وأبي البراء القاضي وغيرهم الكثير فالعراق تكون مقبرة هؤلاء وابعادهم عن الشام التي هي ساحة ومسرح النزاع.

إلى الشام ... ولكني أُخبرتُ أن البغدادي لم يُمكِّن الحطاب من التأصيل والكلام وضيق عليه الخناق وفسح المجال للقحطاني ووعدهم بمجلس آخر ولم يوفي به، وكانت المسألة محسومة عنده لصالح تيار القحطاني والمناظرة شكلية، ويزداد الأمر غرابة حينما تعلم أن البغدادي قد وافق الحطاب في تأصيله من قبل وأقره عليه ثم انقلب عليه، فقد أخبرني أبو داوود المغربي أن الحطاب دخل على أبي عمر الكويتي في الباب وبشره أن الإمام يقول بقولنا في مسائل النزاع، قال المغربي فاستنار وجه الكويتي واستبشر بذلك.

وأقول: لعله حين وافقه لم يكن يعرف أصل المسألة ولا أبعادها وما يترتب عليها، وهذا حال العراقيين عموما فهذه المسائل جديدة عليهم كالأنباري وعبد الناصر وأبو زيد والفرقان وغيرهم ... وإن كان الأنباري تأثر بالحطاب في طرحه وكان مائلا معه كتأثر البغدادي بالقحطاني، وقد كان تيار الحطاب معه أسماء ليس لها ثِقلُ غيرها من خصومها في الدولة كأبي مصعب التونسي وأبي عمر الكويتي وأبي الحوراء الجزائري وأبي محمد التونسي وأبي خالد الشرقي وأبي محمد الداغستاني وأبو أسيد المغربي وأبو هاجر الوحيشي وأبو عبد الله المغربي وغيرهم، أما تيار القحطاني فقد كان فيه الملأ كلهم وهم الكثرة الغالبة.

وكلٌ من الطائفتين قد بايع الدولة وهو يحسب أنها على منهجه تقول بقوله، وسياسة الدولة التجميعية كانت تقتضي إظهار الموافقة للجميع ولا مجال لذلك بعد التمكين، إذ بعده مباشرة وقع الصدام بين الطائفتين في مسائل مُؤداها إلى تكفير الأقوام والشعوب وبالتالي تكفير أمير رعية المشركين، وإلا ليست مسألة العاذر بطرحها القديم يتعلق بها النزاع الشديد وعدم الوفاق في دولة لا تعذر بالجهل في شرك العبادة، فالدولة على طرح الحازمي لا تدخل في حد العاذر الذي يحصره في العذر في شرك القبور ويُخرِج منه شرك القصور ... وإن كان الحطاب ومن معه خرجوا على تأصيل الحازمي في تفريقه بين شرك القبور والقصور وتأصيله الإسلام في دور الكفر، وإن كنا نقول أن نظر الحازمي في المسائل ككل غير سليم وطرحه سقيم، فضلا على أنه لم يقوى على حمل تبعات أقواله فرقَّعَ مذهبه خوفاً من ثورة العامة كما حصل له في مصر، وفرقاً من طواغيت العلم في مكة حيث أنه أسلم رؤوس العاذرية طواغيت العلم كابن عثيمين وغيره، وإن كان هو بطرحه القديم طاغوت مصحح لدين المشركين في الطاعة والحاكمية.

لقد كان الفصل سريعاً فامتدت اليد القذرة - ديوان الأمن - إلى اعتقال رؤوس "الغلاة" المذكورة أعلاه وكما يقول حَجَّاج الشام " أبو محمد العدناني": لنا خبرة في التعامل مع الغلاة وديالى شاهدة" ... واعتُقل في هذه المحنة الكثير من أبناء هذا التيار وقتل منهم المئات وكانوا يُمتحنون في مسائل المتوقف والشعوب وهل تكفير المشركين من أصل الدين؟ بل كانت المحنة في هذه الفترة بالظواهري كونه مثال للعاذر - إذ هو عاذر للرافضة- وأطلقت الأيادي الحاقدة في المهاجرين سجناً وقتلاً ولم ينجوا منهم إلا من رحم الله أو كانت له شفاعة، وإن كان البغدادي قد وقف بنفسه على قتل أبو جعفر[1] وقبله أبو عمر الكويتي ومن معهم، يقول القحطاني أنه دخل عليه بيته الساعة ١٢ ليلا يبشره بقتل "الغلاة"، أما حَجاج الشام - أبو محمد العدناني - فقد كان أشد الناس على هذا التيار وما أُسست كتيبة الصديق إلا لقتالهم وهو الذي اقتحم عليهم ناديهم في دوار النعيم في الحادثة المشهورة، وكذلك جزار الشام الطاغية السفاح أبو لقمان الرقاوي الذي كان قائماً على فَتن وقتل الأتباع في سجونه، وعنده الضوء الأخضر بتطهير الصف من "الغلاة" وأسوار معمل السكر والملعب وقلعة جعبر شاهدة بذلك والقصص الدامية كثيرة وهي متواترة، بل قد أبيدت كتيبة الأذر التي كان عليها أبو خطاب الأذري الذي جاء إلى ديوان الإفتاء بعد سجن الرؤوس يريد معتقد الدولة مكتوباً ومعه أبو أحمد الداغستاني يناقش عنه في المسائل، وكان رجلاً صلباً في دينه يريد المفاصلة على مذهبه ويقول أن كتيبته قد وضعت السلاح في كوباني إلى حين النظر في معتقد الدولة، فكان جوابه طلقة في رأسه هو وطائفة كبيرة ممن كان معه، والباقي تم ترحيلهم بأزواجهم إلى العراق فقتلوا في أثناء الطريق على إثر قصف طيران التحالف لموكبهم ... فمن نجى من سيف الحجاج قُتل بطائرات الصليب على طول الطريق ... فحسبنا الله ونعم الوكيل.

ومن بقي من أبناء التيار بعد جريان السيف إما رجل قد فُتن وغيَّر إلى قول موضع القوة، أو وضع قدماً إلى الخروج أو رجل مصدوم يريد أن يصدق كذب الحُجَّاج أنهم قتلوا هؤلاء لخروجهم على الدولة لا لمعتقدهم!! وإن كان السيف قد سُلِّطَ على المهاجرين فقد كان تعزيز الأنباري إلى الأنبار واستُعمل بعد ذلك على خزائن الدولة، أما

[1] أبو عمر الكويتي اعتقل في أغسطس (آب) ٢٠١٤ وتم قتله في سبتمبر من العام نفسه، وأعقبه قتل أبو جعفر الحطاب في ٧ مارس (آذار) سنة ٢٠١٥ وتم اعتقاله مع مجموعة أخرى من الغلاة في أغسطس سنة ٢٠١٤.

المهاجرين فلا بواكي لهم إلا أزواجهم اللاتي لا يعرفن مصيرهم إلا من تصدق عليهم ديوان الشرك والظلم ببعض الدولارات وأمرها بحساب العدة وإعلان الحداد.

وهكذا طويت صفحة أخرى غادرة في تاريخ دولة الغدر وكانت هذه الدماء التي أريقت من أبناء هذا التيار قُربانا للتيار الجهادي لتلميع الصورة المشوهة عندهم، وذلك بإخراج الخوارج من صفوفها بل إخراجهم من الدنيا كلها، ولسان حالهم: ها قد قتلنا الكويتي والحطاب الذين كنتم ترموننا بهم بالتطرف المنهجي والغلو فماذا أنتم ناقمون بعد ذلك؟، وإن كان حجاج الشام قال قديما: "وإن من اعتقادها ـ أي الدولة ـ ومنهجها وما تدين الله به: أن عموم أهل السنة والجماعة في العراق والشام مسلمون لا نكفر أحدا منهم إلا من ثبت لدينا ردته بأدلة شرعية قطعية الدلالة قطعية الثبوت ومن وجدناه من جنود الدولة يقول بهذه البدعة علّمناه وبينا له فإن لم يرجع عزرناه فإن لم يرتدع طردناه من صفوفنا وتبرأنا منه وقد فعلنا هذا مراراً كثيرة مع مهاجرين وأنصار"[١]، وكذب عدو الله فقد ولغ في دماءهم حتى الثمالة، وصدق فيهم أبو عمر الكويتي حين قال لهم: إن كنتم تقولون عنا أننا :غلاة في الأسماء فأنتم غلاة في الأحكام.

أسكت السيف الجميع وخمدت المسائل فلا تجد بها قائل ولا عنها مجادل، وصفا الجو لأتباع القاعدة الأم وخلت لهم الساحة واستقام لهم الأمر وسُلمت لهم الولايات وقلدت لهم الأوسمة والعلاوات.



[١] مقطع من كلمة :" لك الله ايتها الدولة المظلومة"

الفَصْلُ الثَّالِثُ

تدوين الدواوين وهيكلة الدولة

بعد إعلان الخلافة بأيام تم تدوين الدواوين وتقسيم الولايات وتقطيع القواطع وتنصيب الولاة والأمراء، فاستلم ديوان القضاء أبو مسلم المصري وديوان البحوث والافتاء تركي البنعلي وديوان التعليم عثمان آل نازح، وديوان الحسبة أبو بكر القحطاني وديوان الدعوة أبو الحسن الجزراوي وديوان الإعلام أبو محمد الفرقان وديوان الأمن أبو لقمان السفاح وديوان الزكاة أبو محمد العراقي، وعلى رأس الهرم اللجنة العامة المشرفة وسيأتي تفصيل القول في عمل هذه الدواوين تباعاً، ولما استحرَّ القتل في جماعة الحطاب وكان تعامل الأمن مع الملف تعامل استخباراتي جاف وحصلت تجاوزات كثيرة، حيث قُتل تبعاً من لا علاقة له بهذا الفكر وأُخذ بالشبهة والوهم وفاحت رائحة السفاح الذي ولغ في هذه الدماء، سَلَّم البغدادي الملف للقحطاني فلا يُقتل أحد إلا بعد الجلوس معه ومناقشته في المسائل كلجنة مناصحة في السجون لضبط المسائل بعد انفراطها.

كل تلك الدماء التي أريقت والدولة لا قول لها ثابت وتأصيل لها واضح في محل النزاع، فبعد مدة السكون التي ولدتها الدهشة من مصير المخالف والوحشية في التعامل معه، ثارت المسائل مرة أخرى ولكنها بلا رأس، بل هي كالصدى تسمعه ولا تعلم له قائل ... وفي هذه الفترة .أواخر ٢٠١٤ .شاعت شائعة مفادها أن هناك جماعة تريد الخروج على الدولة، ومن ضمن الإجراءات التي اتُخذت على إثر هذه الواقعة، استنفَرت اللجنة من يُستفتى في الدولة وكان آنذاك البنعلي في العراق وأبو محمد الأزدي في كوباني فاجتمع القحطاني وأبو مالك التميمي وأبو مرام الجزائري وأبو مسلم المصري وأبو المنذر الحربي وكان أبو حفص المصري نائبا لوالي الرقة مشرفاً على هذه المجالس التي دامت ثلاثة أيام نُوقشت فيها مسائل المتوقف " العاذر" والشعوب والتحاكم للضرورة، وكان خلاصة القول فيها بعدم تكفير المتوقف في المشركين إلا بعد البيان والتعريف ــ إقامة الحجة ــ، وأسلمة الشعوب وتكفير المتحاكم للضرورة، وإن كان مسألة التحاكم للضرورة أثارها البنعلي في محاضرة له للأذر في مقر الإفتاء، فأفتى بقوله القديم بجواز التحاكم للطواغيت عند الضرورة وهو القول المتقرر عند

القاعدة الأم، فأحدث شرخاً جديداً ومستمسكاً على الدولة باعتباره يمثل هيئة الإفتاء، فما كان من الحُجَّاج إلا تغييبه عن الساحة مؤقتاً بإرساله إلى العراق خوفا عليه من الغلاة كما زعموا، وفي الحقيقة أن البنعلي كان عليه شبهات أمنية عند الحُجاج وكان عندهم محل شك وريبة حيث أنه دخل الشام وبايع البغدادي ثم خرج من الشام ودخل بعد ذلك إبان التمكين، بالإضافة إلى علاقته المريبة مع المقدسي ولم يشفع له كتاب "هذا فراق بيني وبينك" وقبله كتاب "مُدوا الأيادي لبيعة البغدادي".

وبعد كتابة البيان في هذه المسائل على إثر هذا النقاش في تلك المجالس ورفعه للجنة المشرفة ثم تكليف القحطاني و أبو مالك التميمي بعقد مجالس علمية في بيان قول الدولة في هذه المسائل، فعقدها التميمي في مسجد النور والقحطاني في معقل التونسيين في مسجد الفردوس، وبعدها عاد السكوت والسكون مرة أخرى ليس لأن المخالف قد اقتنع بالحجة والدلائل في تلك المجالس بل لأن الدولة كانت عازمة على إعادة الكرة بعد البيان وإقامة الحجة ـ أقصد عقد المجالس ـ ولم يُسمع ذاك الصدى فأصحاب الأصوات حلوقهم قد قُطعت وأنفاسهم قد قضت ... حقاً لقد كان فقه هذه المسائل تحت ظلال السيوف ليس على الأرائك وتحت المكيفات بل في سجون السفاح ودرب الكفاح، ورغم كل ذلك البطش والقمع ومصير المخالف لقول السلطان الذي هو السجن والقتل، كان الحق يتسلل إلى قلوب الكثير رغم اضطهاد أهله والكتم على أنفاسهم وعلو صوت الباطل وسلطان أهله.

والنظر في الملف الشرعي للدولة يجرنا إلى النظر في دواوينها الشرعية وهذه وقفات معها:

المطلب الأول: ديوان القضاء والمظالم

استلمه أبو مسلم المصري وكان قاضي الجماعة قبل التمكين وشغل القحطاني نائبا له في بعض الفترات، وكان أبو مسلم متأثرا بفكر سيد قطب يقول بقوله في تكفير المجتمعات ولم يكن يأكل لحوم العوام في حلب، فقد حدثني أبو حفص المصري أنه كان قبل التمكين إذ أراد قتل شخص لم تكتمل فيه البينة امتحنه في أصل الدين وقتله بالجهل به، وله شطحات كثيرة فيوسع العذر في مسألة التحاكم ويجيز فيها صور كثيرة:

كالتحاكم في مسائل غير منصوص عليها في رد المظالم ونحوها وله بحث مشؤوم في ذلك، وهو غير منضبط في مسألة حد أصل الدين والمتوقف وكأنها كانت جديدة عليه حين أثيرت في الساحة ... وهو رجل متلون طأطأ رأسه للعاصفة الأولى ودخل في دين البغدادي، وأراد في بادرة أمر الديوان أن يُنشئ شرطة قضائية على الولاة واصطدم معهم اصطداماً قويا، فكثرت الشكاوى عليه ... ولما أعلن عدم رؤية هلال العيد ثم تعقبته اللجنة في وقت متأخر برؤية الهلال ثارت ثائرته وكانت نهايته، وربطت اللجنة مسألة عدم اثبات الشهادة في هلال العيد مع مسألة عدم أكله للحوم ـ حيث أنه امتُحن في ذلك في مأدبة بحضور اللجنة فلم يأكل منها ـ فأُرغم أنفه وكسر قرنه وعُزر إلى الفلوجة واستلم بعده الأستاذ زيد العراقي وكان نائبه أوس النجدي أبو الحارث.

<u>والقضاء في الدولة كان على قسمين</u>:

الأول: هو قضاء "الرعية" ـ أو ما يسمى في الدولة بالعوام ـ وقد قُسِّمت هذه المحاكم إلى تخصصات وكانت ولاية القضاء على هذه التخصصات وهي: قضاء الحدود والجنايات، وقضاء المعاملات ويدخل فيها المواريث والعقارات ثم فصلت هذه الأخيرة، وقضاء الإصلاح الأسري، وهذا التقسيم هو استيراد للنموذج السعودي للقضاء، وكان على محكمة الرقة أبو البراء المدني وبعده أبو إسماعيل المصري وأبو مالك المدني وعلى حلب أبو عمر المصري وبعده أبو حذيفة التونسي وعلى قضاء دير الزور أبو مودة المصري وبعده أبو عبد الله الكويتي وبعدهم أبو محمد التميمي وعلى حمص أبو مصعب التونسي وبعده أبو سارة الجزراوي وعلى الشدادي أوس النجدي وأبو عائشة الجزائري وعلى الفرات ميسرة الجزراوي وغيرهم ممن تداول على القضاء في الولايات.

الثاني: وهو قضاء الدولة مع المدعين عليها، أي: أن تكون الدولة بمراكزها كطرف نزاع ويمثلها ادعاء عام، أو القضايا التي تُرفع على الدولة كمظالم[1] فهذه إما أن تحال إلى قاضي الولاية أو ديوان القضاء أو المحاكم الخاصة كمحكمة بيت المال ـ الركاز ـ أو المحكمة الأمنية أو محكمة الجند على حسب الاختصاص.

---

[١] ثم أُنشئ بعد فترة مكتب المظالم وكان عليه أبو إسحاق العراقي وهو مكتب مفصول إداريا عن ديوان القضاء.

وقد كان ديوان القضاء يعاني من إشكالات كبيرة سواء في الفراغ القضائي في المدن والقرى لعدم وجود قضاة مؤهلين للقضاء، فمن مدينة الرقة إلى الميادين لا توجد محكمة إلا التي أُحدثت بعد فترة في الشميطية، ولا يوجد بين ذلك إلا وكلاء ادعاء في مراكز الشرطة في بعض القرى يحكمون بغير ما أنزل الله لجهلهم بما أنزل الله!! بالإضافة إلى أن هذه المحاكم أقيمت على أنقاض المحاكم الطاغوتية فالبينات المبرزة في العقود والأملاك حال الخصومات والنزاع كلها إما قضاء وضعي أو توثيق وضعي، فكيف يُبنى قضاء شرعي على قضاء وضعي! والمتحاكمين هم أنفسهم من كان يتحاكم بالأمس عند محاكم النظام، بل القضايا التي رفعت للنظام ولم يُفصل فيها أعيد رفعها للدولة بنفس الأشخاص والملفات والبينات ويتم التعامل معهم كمسلمين رعية "لأمير المؤمنين"، بل أزيدك من الشعر بيتا أن من الطواغيت من لم يُستتب في الدولة بل استعملوا فيها على نفس عملهم القديم، ومثاله: مكتب العشائر والعلاقات العامة الذي يتجمع فيه مختاري العشائر ووجهاء القبائل ويُنفق عليهم آلاف الدولارات لعقد العزائم والولائم تأليفا لقلوبهم وتسمينا لبطونهم، بل تحال عليهم القضايا الكبيرة كقضايا الأراضي والعقارات والديات التي الخصومة فيها بين أطراف عشائرية أو دون ذلك بمعاملة رسمية من الدولة عنوانها "صك تحكيم" فيحكُمُ هؤلاء الطواغيت في القضايا المحالة إليهم على نفس حكمهم القديم وينفذ فيها قضاؤهم، وقد وقفت على هذه الصكوك والإحالة إلى الطواغيت من طرف أبو إسماعيل المصري وأبو مالك المدني فهالني ما رأيت ولا شك ولا ريب أن هذا كفر بواح وشرك صُراح بوثيقة رسمية من الدولة.

محكمة الركاز

إنَّ الصدام الأقوى الذي كان بين القضاة من طرف والولاة والحُجَّاج وأهل الوصاية على الجهاد في الطرف الآخر، وهو في القسم الثاني من أقسام القضاء السابق ذكره، أو في المحاكم الخاصة كمحكمة الركاز التي أنشئت بعد فترة من تأسيس ديوان القضاء بعد أن فاحت رائحة الظلم في هذا الديوان الذي يمثل عصب الدولة، واستلم القضاء فيها أبو الحارث النجدي بعد أن ترك نيابة ديوان القضاء، وكان الركاز له سجن ومحققين وجاهل يسمونه شرعي تابع لديوان الركاز يقضي بلائحة من اللجنة فيها تعازير مُقننة على صورة: من سرق برميل نفط يعزر ب٥٠٠٠ دولار ومن سرق برميلين يعزر ب١٠٠٠٠ دولار وأنت صاعد ... وطبعا في مسلخ الركاز: "ستعترف حتما وستدفع"،

فقد كانت سمعةُ سجن الركاز أشد رعباً من سجون الأمن واسأل عنه تُجار النفط ... فلم يستطع أوس النجدي تصحيح هذا الواقع الوضعي المقيت وسرعان ما طلب الاعفاء وأصر عليه واستلم بعده أبو مرام الجزائري وكذلك سرعان ما نُصبت له الفخاخ من طرف أبو خطاب العراقي وعصابة الركاز حتى لا يقوم للقضاء بينهم قائمة فهم يريدونها غابة، فكانت دولة الركاز "الإسلامية" ترفض أن تُحكّم بشرع الله.

المحكمة الأمنية

سبق الإشارة أنَّ أصل وضع ديوان الأمن هو كوضع جهاز الاستخبارات في الأنظمة الطاغوتية نحو القذة بالقذة بل أشد، فَمِن الديوان نفسه الأمر بالاعتقال إلى سجونه ومنه التحقيق مع من يَدّعي عليهم ومن طرفه القضاء على خصومه، فهو المحقق والمدعي والحاكم في حقيقة الأمر، وليس هناك مدة محددة للتحقيق كما أنه ليس هناك آلية محددة للعذاب الشديد، فالغاية هي الاستنطاق تبررها أي وسيلة تؤدي إليها في سجون الأمن، وإن كان في النظام الوضعي يتم تحديد مدة التحقيق ثم يحال المدعى عليه إلى سجن تابع لهيئة السجون الذي هو جهاز مستقل عن الاستخبارات ـ كما يزعمون ـ أما في ديوان الأمن ليس هناك ذاك الفاصل فقد تقضي مدة التعزير كلها عندهم في سجون التحقيق التي قد تصل إلى السنة إن بقيت على قيد الحياة ... ولم يكن هناك قضاء خاص بالأمن تُحال إليه جميع القضايا والملفات وله السلطان على السجن يتصرف فيه بمقتضى الولاية، بل الأمن غالبا ما يستقضي في بعض القضايا قاضي الولاية كأمن المراكز أو قاضي الديوان أو أميره على حسب نوع القضية وتصنيفها، فيدخل القاضي إلى سجونهم للقضاء في قضايا محددة وليس له ولاية في غيرها ولا سلطان له على المسجونين، وربما نفذ قضاؤه وربما لم ينفذ! على حسب ما يراه الأمن، فإن أراد نقضه اعترض عليه ورفع به إلى اللجنة ليعاد النظر في القضية ... والقاضي الداخل على ديوان القضاء يجلس في مجلس القضاء وتُقدم له القضية جاهزة ولا علاقة له بالتحقيق وطريقة الاستنطاق، وهذا خلل عظيم في هذا المجال فإن المحقق خصم من طرف الإدعاء يُجهز القضية على ما يريد أن تُحكم به، وكثيرا ما يقول المحقق للمتهم: اعترف بما في الإفادة وسيستتيبك القاضي ـ وهذا عند حضورهم مجلس القضاء ـ فيقتلهم القاضي بناء على الإقرار الذي أُخذ بعد التعذيب والتغرير... وإن كان المحقق تحت نظر القاضي ومتابعته قد يخرج عن أساليب التحقيق الشرعية، فما بالك إذا خلا له الجو في أقبية الأمن ودهاليز المنفردات.

أمـا القضـايا الأخـرى ذات الطـابع السياسـي أو المنهجـي فهـذه تقضـي فيهـا اللجنـة أو البغـدادي حصـراً، وصـورة ذلـك أن الأمـن يُحقـق في قضـية منهجيـة بـنَفَس أمني ثـم يرفعهـا إلى اللجنـة، ومنهـا مـا يُحكـم فيهـا قـتلاً سياسـة وتعزيـراً بـدون أن يجلـس القاضـي مـع المـدعى عليـه، بـل الحكـم على مقتضـى الملـف المرفـوع إلـيهم مـن الأمـن، فـلا يوجـد مجلـس قضـاء غالباً بل الحكم على مقتضى ما تنطق به في زوايا المسلخ.

وإن هـذا القضـاء لا ينـدرج تحـت مسـمى الحكـم بغيـر مـا أنـزل اللـه في القضـية أو القضـيتين، بـل أصـل وضـع القضـاء كلـه على غير مـا أنـزل اللـه، إنـه لـيس تغيير وتبـديل في الأحكـام بـل في أصـل وضـع النظـام القضـائي كلـه، النظـام الـذي لـم يوضـع على الميـزان الشـرعي بـل على الميـزان الوضـعي الظـالم، على غـرار القضـاء الشـرعي الـذي يوضـع على ميـزان الإنصـاف والعـدل، فالقضـاء لـه سـلطان مسـتقل عـن جميـع الولايـات وهـو فـوق جميع الدواوين والهيئات وهو السلطان فوق السلطان وكذلك يجب أن يكون.

لقـد كنـت أسـمع قصصـاً شـديدة الغرابـة تخـرج مـن سـجون الأمـن فأسـتنكرها وأقـول لعلهـا شـهادة مـن خصـم أو ظنـين يبـالغ في التوصـيف، ولكـن لمـا وقفـت على واقعهـم حـين كنـت معـتقلا في سـجنهم رأيـت العجـب العجـاب، ورأيـت عِيانـا الـذي ذكرتـه مـن التغييـر والتبـديل في أصـل الوضـع، فعنـدهم لا تعـرف متى يقـال لـك: "هـل أنـت متوضـئ؟" ويـؤتى لـك بورقـة فارغـة لكتابـة الوصـية التي لا تصـل غالبـا إلى الموصـى إليـه، لا تـرى الوجـوه ولا تعـرف مـن يحقـق معـك ولا متى تسـقط العصـى التي يسـمونها " الأخضـر الإبراهيمي" على أم رأسـك ... تنـزل عليـك الضـربة الغـادرة وأنـت مُطمـش والـذي أمامـك منقـب وتتـوالى الضـربات تلـو الضـربات حتى تقـول مـا يريـد المنقـب أن يقـول[١]... ولقـد كـان التحقيـق في القضـايا المنهجيـة على مراحـل: فابتـداء في دعـوى تكفيـر الدولـة فتُعلـق كالشـاة على رؤوس الأصـابع لأيـام يتخلـل ذلـك فواصـل مـن الضـرب والسـب والنكـال حتى تقـول عنـدي شـبهة، ثـم تُعلـق حتى تطير تلـك الشـبهة ويثبـت التكفير على لسـانك بيقـين، وفي المرحلـة الثانيـة على دعـوى الاحتطـاب ثـم على دعـوى الخـروج على الدولـة!! وأنـت وصـبرك، وفي كـل الأحـوال على الأغلـب الأعـم أنـك بعـد العـذاب الشـديد سـترتاح مـن ذلـك كلـه، وقـد تسـتقر

---

[١] جاء في المصنّف لابن أبي شيبة:" كتاب الحدود : فِي الِامْتِحَانِ فِي الْحُدُودِ ـ بسنده ـ عَنْ أَبِي مِجْلَزٍ قَالَ :« الْمِحْنَةُ فِي الصِّفَةِ أَنْ يُوعَدَ وَيُجْلَبَ عَلَيْهِ ، وَإِنْ ضَرَبْته سَوْطًا وَاحِدًا فَلَيْسَ اعْتِرَافُهُ بِشَيْءٍ»، رواه ابن أبي شيبة برقم ٢٨٢٩٩ وعن عُمَرَ بْنَ عَبْدِ الْعَزِيزِ يَقُولُ : «مَنْ أَقَرَّ بَعْدَمَا ضُرِبَ سَوْطًا وَاحِدًا فَهُوَ كَذَّاب» رواه ابن أبي شيبة برقم ٢٨٣٠٠

تحت الأرض لا فوقها ... وفي هذه الفترة ـ أواخر ٢٠١٧ ـ وبعد الانقلاب المشؤوم على ولاية عبد الناصر سُجن أكثر الأسماء التي يخاف منها الأمن الخروج على الدولة، فاجتمع في السجن أكثر الأمراء الذين يحملون العقيدة الذي يخاف منها الحُجَّاج، فكان فيه أبو حفص المصري، أبو سليمان الفرنسي، أبو فارس الليبي، أبو خالد سنجار، قسورة التونسي، أبو عائشة الدرعاوي، أبو إبراهيم التونسي، أبو محمد الأردني، أبو يحيى المغربي، أبو مالك الأردني، أبو الفداء التونسي، أبو سمير الأردني، أبو نعيم التونسي، أبو خلافة القرشي، المعتصم التونسي، أبو أنس الكوك وغيرهم كثير وأكثرهم قُتل صبراً بعد العذاب الشديد فقد كنا ننام على أصوات أنينهم أثناء تعليقهم لأيام متوالية جزاء لمن ناصروهم سنين:

شبابٌ صغارٌ تُقادُ إلى … سيوفِ انتقامٍ دِما تُستباح

فمن حاد عن طائرات الصليب … فديوانُ أمنٍ لهُم في اجتياح

جزاءً لمن نَاصروهم سِنين … جِساماً ضِعافاً تَئنُ جِراح

فهُم مَن أقَامَ لهم شَوكة … بِسدِ الثُغورِ إليهم يُصاح

فَرحلتُهم هكذا تَنتهي … بِغدرٍ لئيمٍ وطَعنِ الجِراح

فَما ضرهم أي سَيفٍ يَكون … به قتلُهم للعيونِ نُواح

على فِتيةٍ قد أرادُوا الحياة … إلى اللهِ منهُ العطايا الملاح

أن تهاجر إلى دولة تُؤمِلُ أن تكون لك ملاذاً من الخوف وأماناً لك من طواغيت الأرض ... أن تكون موطنا لإظهار الدين بعد الاستخفاء والفرار به من الطواغيت ... أن تنفر إلى الثغور وأرض الوغى تبتغي العزة والتمكين وتبذل في إقامة صرحها الغالي والنفيس وتُلقي بأعز ما تملكه في هذه الدنيا ... أن تُلقي بهذه النفس في مواطن الهلكة فيمتلئ الجسد من شظايا الحديد حتى تتعطل بعض الأعضاء عن العمل السديد ... ثم بعد كل هذا البذل والعطاء تُجرجر إلى سجونها تُعامل كما يعامل العبد الذليل الحقير وتُضرب فيها ضرب البهيم والبعير وتعلق كالشاة الليالي الطوال تذوق النكال الكثير وتسجن في منفردة لا تطؤها الكلاب والحمير ... فقط لأنك تكفر المشركين وتحقق البراءة من الكافرين ... فحسبنا الله فيهم ونعم الوكيل.

ومن الأحكام الوضعية التي شرعها طواغيت الدولة في هذا الباب هو القتل مصلحة وسياسة وهو باب واسع يخرجون عليه كل قتل خارج حدود ما أنزل الله، وقد كتب بعضهم كتاب جامع في هذا الباب بعنوان "اتحاف الساسة بأحكام القتل سياسة"[١]، ولكن لا حياة لمن تنادي ... ومن فروع هذا القتل: قتل الخائن الذي أخذ مال الدولة كالإداريين ونحوهم ممن يُستأمن على المال فيأخذه، وقنَّنه البغدادي ب١٠٠٠٠ دولار يُقتل بها، وهذا القانون فيه تبديل لحكم الله الوارد عَنْ جَابِرٍ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «لَيْسَ عَلَى خَائِنٍ، وَلَا مُنْتَهِبٍ، وَلَا مُخْتَلِسٍ قَطْعٌ»[٢]، ونفي الأخص يستلزم نفي الأعم أي نفي القطع يستلزم نفي القتل ... ومنها قتل من ولى الدبر[٣] كما في رسالة العدناني إلى العسكريين في منبج، وقتل من تكرر منه الهرب من الدولة من الجنود كما قنَّنته اللجنة وعممه ديوان القضاء على القضاة وغيرها من الأحكام ... ونحن لا نتكلم عن قتل الموحدين لتوحيدهم فهو استدلال في محل النزاع بل ذكرنا شواهد خارج محل النزاع.

محكمة الجند

استلمها أبو البراء المدني ولكنه لم يُطل البقاء فيها لصدامه القوي مع أمراء الكتائب والألوية الذين عارضوا دخول القضاء في مسائل الدماء التي تُهدر على الجبهات، وكان أبو البراء كتب كُتباً في تحديد أعمال وصلاحيات محكمة الجند وأرسلها إلى الحَجَّاج فلما قرأها قال: هذا يريد أن يفصل القضاء على الدولة؟ ففصله عن القضاء وأرسله إلى العراق مع الوصاية بعدم الرجوع ولكنه لم يذهب فكان مدة بقائه محل سخط، حتى سُجِنَ في قضية فتوى الانسحاب من منبج، ثم سُلمت المحكمة إلى أبو عبيدة المصري الذي كان على أرشيف في محكمة الباب!! وصارت المحكمة من محكمة الجند إلى

---

[١]تأليف أبو مرام الجزائري

[٢] رواه الترمذي برقم ١٤٤٨ وقال هَذَا حَدِيثٌ حَسَنٌ صَحِيحٌ، وَالعَمَلُ عَلَى هَذَا عِنْدَ أَهْلِ العِلْمِ.

[٣] وهذا حكم بغير ما أنزل الله حيث أن النبي ﷺ لم يقتل الصحابة ممن فر من غزوة أحد فقال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ تَوَلَّوۡاْ مِنكُمۡ يَوۡمَ ٱلۡتَقَى ٱلۡجَمۡعَانِ إِنَّمَا ٱسۡتَزَلَّهُمُ ٱلشَّيۡطَٰنُ بِبَعۡضِ مَا كَسَبُواْۖ وَلَقَدۡ عَفَا ٱللَّهُ عَنۡهُمۡۗ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ حَلِيمٌ﴾[آل عمران١٥٥] وعَنْ سَعِيدِ بْنِ جُبَيْرٍ فِي قَوْلِ اللَّهِ تَعَالَى حِينَ انْهَزَمَ الْمُسْلِمُونَ يَوْمَ أُحُدٍ. ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ تَوَلَّوۡاْ مِنكُمۡ﴾ يَعْنِي:« الَّذِينَ انْصَرَفُوا عَنِ الْقِتَالِ مُنْهَزِمِينَ». وَرُوِيَ عَنِ السُّدِّيِّ بَعْضُ ذَلِكَ"، رواه ابن أبي حاتم برقم ٤٣٨٠ ، وعَنْ سَعِيدِ بْنِ جُبَيْرٍ قَوْلَهُ: ﴿ وَلَقَدۡ عَفَا ٱللَّهُ عَنۡهُمۡ﴾«حِينَ لَمْ يُعَاقِبْهُمْ، فَيَسْتَأْصِلُهُمْ جَمِيعاً». رواه ابن أبي حاتم برقم ٤٣٨٨.

محكمة "المتسيبين" ــ الهاربين من الرباط والقتال ــ وصار هو اختصاصها فأمراء الكتائب يرسلون المتخلفين عن الرباط ليتم تعزيرهم بمقتضى اللائحة التي قنَّنتها اللجنة والتي من بنودها أن من يتأخر عن الرباط لعشرة أيام يُحرم من الكفالة... والصدام في الدولة بين الشرعي والعسكري غالبا ما يُحسم لصالح العسكري فالقول قول العسكر، بل وَقع في الدولة أن أمير فرقة سَجن قاضي الفرقة ثلاثة أيام تعزيرا !!

لقد كان سلطان القضاء في الدولة في غاية الضعف وإذا حصل صدام بين الوالي والقاضي ينتهي هذا النزاع بعزل القاضي إلى أن يتم التوافق على شخصية يصدق عليها قاضي الوالي، لذلك بعد أمد سُلِّم القضاء لشخصيات ضعيفة جدا تتناسب مع ضعف الديوان كأبي العباس الجزراوي وأبو عمر المصري وأبو المنذر الحربي بل حتى أبو مسلم المصري بعد كسر قرنه وترويضه صار مناسبا جداً للولاية، عن إِسْحَاقَ بْنَ رَاهَوَيْهِ، يَقُولُ: سَمِعْتُ مُعَاذَ بْنَ خَالِدِ بْنِ شَقِيقٍ، يَقُولُ لِعَبْدِ اللَّهِ بْنِ الْمُبَارَكِ: «أَيُّهُمْ أَسْرَعُ خُرُوجًا الدَّجَّالُ أَوْ الدَّابَّةُ؟ فَقَالَ عَبْدُ اللَّهِ: «اسْتِقْضَاءُ فُلَانٍ الْجَهْمِيِّ عَلَى بُخَارَى أَشَدُّ عَلَى الْمُسْلِمِينَ مِنْ خُرُوجِ الدَّابَّةِ أَوْ الدَّجَّالِ»[١].

ومن جوانب ضعف القضاء ضعف سلطانه في تنفيذ أحكامه، فالوالي له شرطة خاصة وشرطة عسكرية واللجنة لها ديوان الأمن وهو دولة داخل دولة، أما القاضي له شرطة قضائية وهي أفراد معدودة لا تتعدى أصابع اليد الواحدة وآليات خربانة ومحروقات محدودة لا تستطيع أن تُلزم العازفين على التحاكم بالمثول إليه وليس لها طاقة بتنفيذ الكثير من الأحكام القضائية، ويبقى القضاء في الكثير من القضايا حبراً على ورق، على خلاف ديوان الأمن الذي تمتد يده القذرة إلى من تريد سواء من الجنود أو الأمراء أو الرعية، فديوان القضاء لا سلطان له على ديوان الأمن، بل لا يستطيع أمير ديوان القضاء أن يتدخل في قضية فيها ظلم بيّن ملفها عند ديوان الأمن، كمِثل قضية أم فؤاد البلجيكية التي اتُهمت بالجوسسة فسجنت في المنفردة لمدة خمسة وأربعين يوما قائمةً أم آدم المغربية على تعذيبها، وبعد أن لم يثبت عليها شيء قيل لها: "الله معك"، فلما رُفعت المظلمة إلى أبي مسلم المصري أمير ديوان القضاء قال: "الملف عند العدناني ولا أستطيع فعل أي شيء بل العدناني هو من كان يحقق معها!! ... تقول

[١] السنة لعبد الله برقم ٣٥٢

الأخت في المظلمة: لقد كنت أظن أني مسجونة عند النظام وكنت أحيض في ملابسي وأصلي فيها[1] وغير ذلك البلايا والله المستعان.

ومن جوانب الضعف أن القضاء لا سلطان له شكلي إلا على العوام، أما الأمن فسلطانه على الجميع فهو مخول بسجن الولاة والقضاة والشرعيين والعسكريين، بل سَجَن اللجنة كلها إثر الانقلاب المشؤوم ... وحين تكون القوة بيد الأمني وتُنزع من يد القضاء تجد أن هذا الأخير لا يستطيع أن يقيم أمر الله على الأمنيين وفي المقابل أمرهم نافذ عليه، ولابد أن نعلم أن ديوان الأمن هو تحت تصرف اللجنة المباشر بل هو اليد الطولى لها، وأمراء ديوان الأمن كانوا أعضاء فاعلين في اللجنة كأبي لقمان وعبد الحكيم، إلا في فترة تولي العدناني الذي كان هو الأمير الفعلي لديوان الأمن بل كان يباشر التحقيق في بعض القضايا، لذلك كل الأعمال المنسوبة إلى هذا الديوان إنما هي في حقيقة أمرها منسوبة إلى اللجنة العامة بشكل مباشر لأنها هي صاحبة الأمر والنهي فيه.

وهذه بعض جوانب الضعف والإقصاء لديوان المفترض أن يكون فوق الجميع وله السلطان على السلطان في إقامة العدل والحكم بما أنزل الله، ولكن هذا موجود في السِّير عن القاضي شريح وعبد الله بن شبرمة وغيرهم أما في خرافة بغداد فالسلطان بيد الحُجَّاج الذين لهم الوصاية على الجهاد.

المطلب الثاني: ديوان البحوث والإفتاء

استلمه تركي البنعلي ـ أبو همام الأثري ـ ولم يمكث فيه إلا قليلا حتى نقل إلى العراق ونائبه أبو محمد الأزدي، واستقر الديوان بعد تجميعه لعدة أسماء إلى تقسيمه إلى لجنتين:

❁ **لجنة إفتاء وفيها:** أبو مالك التميمي وأبو مرام الجزائري وأبو عبد البر الكويتي.

❁ **لجنة بحوث وفيها:** أبو المنذر الحربي وأبو إبراهيم الجزراوي وأبو حفص الحلبي وأبو محمد المصري وأبو يعقوب المقدسي، وكان أبو جندل الحائلي على العلاقات العامة وأبو صهيب النجدي على الإعلام والأرشيف.

---

[1] والمنفردة ١,٨٠/٠,٩٠ متر.

وكان العمل في بادئ الأمر على مراسلة الدواوين والهيئات لديوان الإفتاء عن طريق العلاقات العامة بالفتاوى والبحوث ثم يُكتب فيها وترسل إلى الجهة المُرسِلَة، ولكن هذا الواقع النموذجي لم يستمر طويلاً حيث أنه وقعت بعض القضايا وأُلفت بعض المؤلفات وحررت بعض الفتاوى صادمت اللجنة فأدى الصدام إلى تكبيل أيدي الديوان والحجر عليه ومنها:

❁ فتوى عدم تقسيم أملاك المدنيين ـ الغنائم ـ في مدينة كوباني فكتب الديوان ـ تركي البنعلي ـ فتوى مفادها أنها أموال "المسلمين" تُوقف حتى يعود أهلها، فكانت هذه الفتوى محل سخط من اللجنة التي لم تعمل بها.

❁ ومن المؤلفات التي أثارت جدل كبير هو "مقرر في التوحيد" الذي كتبه أبو إبراهيم الجزراوي وأشرف عليه أبو المنذر الحربي ولم يتم النظر فيه من طرف لجنة الإفتاء على الجادة المطروقة، بل استعجل الأزدي في إخراجه مستسلماً لضغوط هيئة الهجرة التي كانت بيدها المعسكرات في الشام ... واستنكرت اللجنة خروجه بدون إذنها خصوصا لما رُفع إليها من إشكالات كبيرة في مسائل لا تريد الدولة الفصل فيها، والسياسة فيها هي الضبابية المقصودة، وإن كانت المسائل المقررة في مقرر التوحيد هي على دين القاعدة الأم..

❁ومنها كتاب "تبصير الأصحاب بضوابط الاحتساب" الذي كتبه أبو مرام حيث أن الكتاب أعطى الحسبة صلاحيات أربكت اللجنة في صدامها مع ديوان الحسبة ومركز الرقة فتم إلغاء الكتاب.

❁ومنها فتوى حكم حامل بطاقة خدمة العلم التي أفتى فيها الأزدي بكفر حاملها وعلل ذلك أنها وعد بالنصرة، الفتوى التي أثارت سخط القحطاني واللجنة.

وبعد هذه القضايا وغيرها مُنع الديوان من النشر إلا عن طريق ديوان الإعلام، فلا ينشر شيء إلا عن طريق مكتبة الهمة، وتم سحب كتاب مقرر في التوحيد بعد تأليف كتاب التقريرات المفيدة في أهم مسائل العقيدة، وكان جهدا جماعيا وطرحا توافقيا بين اللجنة والديوان، بحيث وُضعت فيه عبارات مطاطة حمَّالة أوجه كخط رجعة في مسائل النزاع مع طرح وتأصيل فاسد للمسألة ... وفي سياق تقويض ديوان الإفتاء بعد منع النشر تم منع الدواوين والهيئات والولاة من خطاب ديوان الإفتاء ومراسلته بالمسائل الشرعية إلا عن طريق اللجنة، التي هي بدورها تخاطب الإفتاء في مسائل

معينة فيتم الكتابة فيها وإعادة إرسالها إلى اللجنة، وإما أن توافق عليها اللجنة وترسلها إلى الجهة المعنية بالخطاب إن وافقت الفتوى السياسة العامة أو إلى الفرَّامة، وبالتالي أصبح الإفتاء في الدولة عبارة عن لجنة استشارية في مسائل معينة إن وافقت هوى السلطان أُخذ بها وإن خالفت طُرحت، وهذا بعينه مسمى عالم السلطان، ولكن الدولة حتى مسمى عالم السلطان لم ترض به وكل هذه الإجراءات لم تقف عندها، بل أرادت الإجهاز على الإفتاء بعد أن تم تغيير اسمه إلى هيئة البحوث والإفتاء ثم إلى مكتب البحوث والدراسات وإلغاء مسمى الإفتاء منه قصداً... ومن ثَم العمل على تفريغ الديوان من تجمُّع الشرعيين الذي كان يشكل مصدر قلق على الدولة بدايةً بأبي مالك التميمي إلى اللجنة الشرعية ثم أبو محمد الأزدي وأبو مرام الجزائري إلى ديوان التعليم بعد الصدام مع اللجنة في قضية الحسبة المشهورة، ثم أبو عبد البر الكويتي إلى القضاء ... وفي هذه الفترة رجع البنعلي من العراق ولم يجد في الديوان إلا أبو المنذر وأبو محمد المصري وأبو يعقوب المقدسي وأبو حفص الحلبي، ومع وجود هذه الأسماء ظهر الإرجاء والتجهم الصريح وكتب أبو المنذر "السؤالات البغدادية والسؤالات الخرسانية" التي أجاز فيها التحاكم للضرورة على دين القاعدة الذي نشأ عليه وقدم له في الكتاب تركي البنعلي، وعلى إثر هذه الرسائل ثارت ثائرة الفرقان الذي وجد المستَمسك على المكتب وأراد استتابة أعضائه؟ واعتذر البنعلي خوفاً أنه قدم الرسالة ولم يقرأ مضمونها!! ووقع الفأس على رأس الباكستاني أبو المنذر، بل قال لي أبو يعقوب أن الفرقان قال لهم:" نحن نرسل لكم السؤلات وأنتم تبحثون لنا عن الأدلة فنحن قد نسينا الأدلة !!" قال أبو يعقوب المقدسي: فذكرت له الإجماع أن العالم إذا ترك الحق الذي يعلمه من كتاب الله وسنة رسول الله إلى قول الحاكم فقد كفر بإجماع العلماء"[١].

وهذه هي النظرة التي كانت اللجنة تنظر بها إلى الإفتاء، كانت تريد منه جمع الأدلة على سياسة الدولة، وأدى هذا الصدام إلى نقل أبو يعقوب المقدسي وأبو المنذر الحربي إلى

[١] قال ابن تيمية:" أَنَّ قَبُولَ قَوْلِ الْحَاكِمِ وَغَيْرِهِ بِلَا حُجَّةٍ مَعَ مُخَالَفَتِهِ لِلسُّنَّةِ مُخَالِفٌ لِإِجْمَاعِ الْمُسْلِمِينَ وَإِنَّمَا هُوَ دِينُ النَّصَارَى الَّذِينَ اتَّخَذُوا أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَانَهُمْ أَرْبَابًا مَنْ دُونِ اللَّهِ وَالْمَسِيحَ ابْنَ مَرْيَمَ وَمَا أُمِرُوا إلَّا لِيَعْبُدُوا إلَهًا وَاحِدًا لَا إلَهَ إلَّا هُوَ سُبْحَانَهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ قَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ {أَحَلُّوا لَهُمْ الْحَرَامَ وَحَرَّمُوا عَلَيْهِمْ الْحَلَالَ: فَأَطَاعُوهُمْ فَكَانَتْ تِلْكَ عِبَادَتَهُمْ إيَّاهُمْ} . وَالْمُسْلِمُونَ مُتَّفِقُونَ عَلَى أَنَّ مَا تَنَازَعُوا فِيهِ يَجِبُ رَدُّهُ إلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ وَهَؤُلَاءِ لَمْ يَرُدُّوا مَا تَنَازَعَ فِيهِ الْمُسْلِمُونَ إلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ؛ بَلْ حَكَمُوا بِرَدِّهِ بِقَوْلِهِمْ وَهَذَا بَاطِلٌ بِإِجْمَاعِ الْمُسْلِمِينَ. وَأَيْضًا فَحَكَمُوا بِقَوْلِ ثَالِثٍ خِلَافِ قَوْلَيْ عُلَمَاءِ الْمُسْلِمِينَ فَخَرَجُوا وَحُكْمُهُمْ عَنْ إجْمَاعِ الْمُسْلِمِينَ وَهَذَا بَاطِلٌ بِإِجْمَاعِ الْمُسْلِمِينَ" مجموع الفتاوى ٣٠٦/٢٧

القضاء وأبو محمد المصري إلى ديوان الزكاة وبقي البنعلي وحيداً بين جدران مكتب الدراسات، وهذا الإجراء بمثابة غلق المكتب وتجميد البنعلي وتفريغه من أي سلطان، ولم يفرز إليه أحد للعمل معه في الاختصاص الشرعي لفترة طويلة رغم كثرة مراسلاته بأسماء تُنتدب إليه، وقد كانت اللجنة تراسل الإفتاء بشكل روتيني ثم تحجر على مراسلاته في الأرشيف، والإشكال الكبير أن اللجنة ـ أقصد الحاكم ـ ليس من أهل العلم فضلاً أن يكون من أهل الاجتهاد أو أهلاً للحكم على الأعمال وتقِّيمها ونخلها، فتكون موافقة الجاهل ومخالفته ميزانها الأهواء والمصالح المتوهمة حتماً، وحتى القحطاني لما صار إلى اللجنة بعد وضعه اللبنات الأولى للدواوين باعتباره صاحب المشروع لم يستطع رفع لواء العلم ويجعل له سلطان بل كان واجهة خصومة اللجنة مع الشرعيين، أما أبو زيد العراقي الذي يحفظ من الأشعار أكثر مما يحفظ من الأحاديث والقرآن فقد كان حذاء عبد الناصر ونعل السلطان، وقد كان في الفترة الأولى بعد التمكين الشخصية العراقية العلمية التي هي محل ثقة عند الحُجَّاج، وكان أبو زيد حينذاك يحمل لواء خصومة اللجنة مع الإفتاء.

إن موقف اللجنة من ديوان الإفتاء الذي ترتب عليه الحجر والإقصاء مع عدم وجود البديل ولا السعي من اللجنة في إيجاده، بل تُركت السفينة تسير عمداً بغير وجهة و مرجعية شرعية محل ثقة عند الجنود، حيث أن الدولة قتلت نخبة وكوكبة من طلبة العلم بتهمة "الغلو"، وعزلت وحجرت على الطائفة الأخرى "مدرسة القاعدة" خلال فترة تمكين الدولة في الأربع سنوات ... وفلسفة الجماعة أنها لا تريد أن تُصدِّر أي شخصية علمية بصفة رسمية على أنها تمثل قول الدولة الشرعي سواء أكان علَماً أو ديوانا أو هيئة، وكانت سياسة الدولة هدم الرموز وطمسها وعدم الإبقاء على أي اسم قد يكون له تأثير جانبي حين الخلاف معه خوفا من حدوث انشقاق في صفوفها، ولذلك دائماً تقص أجنحة الشرعيين إذا ظهرت، وذلك بالإقصاء والإبعاد والتهميش أو حتى القتل في بعض الصور كي لا يبقى لهم ذكر أو يعقد لهم لواء.

والحقيقة الصادمة أن الإفتاء لم يكن له أي سلطان في الدولة بل كان مكتبا شكليا وصورة مفرغة من المعنى الذي يوضع له أصالة.

المطلب الثالث: بين ديوان الدعوة وديوان الإعلام

استلم ديوان الدعوة والمساجد أبو الحسن الجزراوي وبقي فيه مدة التمكين وكان نائبه أبو معاذ المصري ثم أبو الوليد السيناوي، وكان في الديوان وأبو بكر المصري وأبو معاذ التونسي وغيرهم من الأسماء التي تداولت عليه، ولقد حمل هذا الديوان عبئاً ثقيلاً ولم يُعَن عليه، فأقرَّ المساجد ابتداءً على ما كانت عليه في الجاهلية البعثية حيث أن الخطباء والأئمة الموظفين عند وزارة الشؤون الدينية السورية هم من أكمل مسيرة الخطابة في دولة الخلافة، إلا في المساجد الكبيرة التي يرتادها الجنود فكان منهم الخطيب والإمام، ولم يكن في وسع الدولة أن تضع في كل مسجد دعوي من جنودها بل كانوا يُمَسَّكون مكاتب الدعوة في القواطع، فلا تجد في القواطع الكبيرة إلا النَّفر الواحد من الدعاة الذين لا يسدون عُشر حاجة المشركين في دعوتهم وتعليمهم، ولكنَّ الديوان لم يُقر المساجد على وضعها بل أقام دورة علمية في مسجد عبد الله بن مسعود في الرقة لتخريج الأئمة والخطباء وألزم جميع خطباء المساجد بالحضور فيها وعلى النجاح فيها يتم التوظيف من عدمه، وكان قيّماً على هذه الدورة أبو عبد الله السيناوي وكان فيها كوكبة من مشايخ الدولة فالبنعلي في شرح البيقونية والقحطاني الطحاوية والتميمي التفسير وأبو مرام الفقه وأصوله وأبو المنذر السيرة وأبو عبد الله السيناوي اللغة ... ولكن هل تظن أن مثل هذه الدورات كافية في تأهيل هؤلاء الخطباء؟

ومع الاحتكاك بالرعية من خلال الدورات الدعوية التي كانت تُقام غالبا لمن تُرسلهم الحسبة إلى ديوان الدعوة تعزيراً، لمس الديوان جهل الناس بالتوحيد ومعنى لا إله إلا الله واتساع دائرة هذا الجهل الفظيع وهي الحقيقة التي أثبتها واقع الناس من خلال القُرب منهم بغرض التعليم لا بغرض الامتحان، الرعية الجاهلة التي كان يؤصل فيها الإسلام، فكتب أبو الحسن الجزراوي كتاب "تعلموا أمر دينكم" وطُبع من طرف الديوان - والكتاب فيه طوام عقدية كثيرة - وفي ضمن هذا السياق تم إعلان مشروع غزو القرى لنشر الهدى، وفكرة هذا المشروع أن يذهب الدعوي إلى القرية فيُقيم فيها أياما ويجتمع إليه أهل القرية على مُدارسة هذا الكتاب وغيره، ومن خلال هذه الدورات التي أقيمت في القرى أيقن الدعاة بحال الناس أنهم جهال بمعنى لا إله إلا الله جهلاً فظيعاً، ومن خلال هذا الواقع المخالف لتصور الدولة، أصدرت اللجنة مرسوم بإلزام جميع الرعية رجالاً ونساءً بالدورة الشرعية، وصارت بطاقة الدورة الشرعية لازمة في جميع

تعـاملات الدولـة الإداريـة للحسـبة والزكـاة وغيرهـا ... وهـذا الأمـر بـالإلزام الجمـاعي ولَّـدهُ اليقـين في أن النـاس تجهـل التوحيـد، ولكـنَّ الجهـل بمعنى لا إلـه إلا اللـه لـيس منـاط مُكفِّـر في الدولـة على ديـن القاعـدة، لـذلك كانـت الـدورات بعنـوان تعلـيم المسـلمين أمـر الـدين وليس استتابة المشركين ودعوتهم إلى دين المسلمين.

واسـتغرق عمـل الـديوان في إقامـة الـدورات وتوسـيعها وغـزو القـرى وتدريسـها وتسـيير القوافـل الدعويـة ونشـاطاتها، وضـاعت المعسـكرات الشـرعية لانتسـاب الجنـود بـين ديـوان الـدعوة وديـوان التعلـيم ولـم يكـن في كليهمـا طاقـة بهـا لعـدم وجـود الكـوادر والمدرسـين، فأُنشـئت بعـد فترة إدارة المعسـكرات التي اسـتلمها أبـو حمـزة الكـردي، ولـم يكـن في الدولـة نشـاط دعـوي غير الـذي ذكرنـا، أمـا المعاهـد العلميـة ومجـالس العلـم فـلا تكـاد تراهـا اللهـم إلا مجـالس الـوعظ التي كـان يقـوم بهـا كمـال زروق وغيره ولـم يعقـد في الدولـة إلا معاهـد معـدودة، كمعهـد إعـداد الـدعاة والخطبـاء السـابق ذكـره والمعهـد المركـزي ومعهـد محمـد بـن عبـد الوهـاب ومعهـد أسـماء بنـت أبي بكـر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا ومعهـد عمـر بـن عبـد العزيـز وسـيأتي الحـديث عنـه، ولـم يكـن للـديوان نشـاط علمي تأصـيلي للعلـوم الشـرعية بـل الجهـود المبذولـة كانـت في رفـع الجهـل على الرعيَّـة، أمـا في جانـب التـأليف الـدعوي فقـد كـان خـالي الوِفـاض إلا المطويـات التي كانـت تكتبهـا مكتبـة الهمَّـة، ولـم تكـن لـديوان الـدعوة مـادة دعويـة مكتوبـة ولا طاقـة لـه على الكتابـة والتـأليف ولا على الطباعـة والنَّشـر، فقـد كـان أفقـر ديـوان في الدولـة على الإطـلاق وبـدون مبالغـة، وقـد وقفـت على هـذا الواقـع فـأذهلني مـا رأيتـه مـن إهمـال الدولـة لهـذا الـديوان سـواء في المُخصَّصـات أو الآليـات أو ضـخ الـدعاة، فتصـور أنَّ ولايـة الفـرات كلهـا لـيس في مركـز الـدعوة إلا ثلاثـة مـن الـدعاة على مسـتوى الولايـة، بـل طباعـة المقـررات في بعـض المعاهـد كانـت تصـرف مـن كفـالات الجنـود في مطـابع خاصـة لعـدم تحمـل ميزانيـة الـديوان لهـا، بينمـا تَطبـع مكتبـة الهمـة الآلاف مـن النسـخ مـن جريـدة النبـأ التي تُحـرر فيهـا أخبـار أكثرهـا كاذبـة ثـم يُرمى بهـا في الحش والزبالة.

أمـا ديـوان الإعـلام فقـد كـان دولـة داخـل دولـة فهـو بـين **مقـروء**: وهـو مـا تطبعـه مكتبـة الهمـة مـن الكتـب والمطويـات وجريـدة النبـأ والمجـلات باللغـات الأجنبيـة، **والمسـموع**: وهـو إذاعـة البيـان، **والمرئـي**: وهـو أوسـع هـذه الأقسـام وفيـه مؤسسـة الفرقـان والاعتصـام والحيـاة وإعـلام الولايـات، وخلـف كـل هـذه الأقسـام كتائـب مـن الإعلاميـين وتنفـق عليـه

ميزانية مفتوحة، وأميره أبو محمد الفرقان صاحب ثِقل في الدولة وهو عضوٌ في مجلس الشورى، أما ديوان الدعوة بمراكزه كلها لا تقوم مقام مكتب إعلامي في ولاية من ولايات الدولة.

هل كان هذا التمايز صدفة أو كان غير مقصوداً؟ لا والله بل هذا واقع الدولة، فالجهود والأموال المبذولة لديوان الإعلام لا يمكن مقارنتها بديوان الدعوة البتة ولا تبلغ عشر معشارها، وحُق لهذا الواقع له أن يُكتب بالخط العريض: **إن غاية الدولة هي الدعوة إلى القتال و تثبيت الملك والدفع عنه وليست الدعوة إلى دين الله وتصحيح عقائد الناس**، فقاعدة التجميع في الدولة كانت على القتال ويصوِّر هذا جيداً الإعلام الهوليودي، وليس التجميع للدعوة الربانية التي هي الحكمة من إرسال الرسل ... لذلك كانت القاعدة الأمـ في هذا الباب أفضل بكثير من حيث العناية والجهود المبذولة في الدعوة إلى دينها ويكفيك نظرة في منبر التوحيد والجهاد وما فيه من تأليف وتهريف، وفي المقابل فما هو منبر الدولة الدعوي وميراثها الذي تركته، هل هو إصدارات لفتوحات ودماء أريقت على تلك الديار وسرعان ما عادت إلى حضن الوطن، وصار الجاهليين أشد سُخطاً على الدولة ونقمة عليها ولسان مقالهم لقد دمرتم لنا البلد وذهبتم إلى الجحيم..

لقد كان الإعلام كاتماً على أنفاس الدعاة وطلبة العلم فلم يكن يُسمح لهم أن ينشروا شيئا باسمهم، سواء كان مكتوباً أو مرئياً أو مسموعاً، بل ممنوع أن يكون لهم تواجد في منابر التواصل الاجتماعي، وشعارهم طمس الرموز ولا تقول إلا ما نريد نحن أن تقول فأنت محجور عليك في مملكة البغدادي، ليس هنا إلا البغدادي والعدناني فلا نجم يعلو على الشمس والقمر ولا صوت فوق صوتهما يترنم ... فدولة تمنع طلبة العلم من نشر علمهم وتحجر على دعاتها إلا وفق إذاعة تنشر ما وافق سياستها، هي دولة مفلسة ذات هوس أمني من انقلاب الرموز عليها، حيث أنها استعملت جميع الإجراءات لإطفاء أي شعلة عَلَم، ولا ترفع إلا الأموات الذين ماتوا تحت رايتها فهؤلاء هم المخلَّد ذكرهم إذ لا خوف على الكيان منهم ... هذه هي ثقافة دولة نشئت وهي تخاف من الزوال وتظن أن بقائها هو في هدم الرموز وتحجيمها، وكم من دولة قامت وزالت وذهب أثرها من الوجود ولم يبقى من ذكرها إلا ما دونه علماؤها ودعاتها وهو تاريخها الذي بقي مسطوراً منشوراً، وهذه الدولة النجدية قد ذهبت وبقيت مدونات علمائها وفتاوى أعيانها بين الرفوف إلى يومنا هذا.

ولا نحتاج أن نقول أنَّ ديوان الدعوة كان فاشلا لأنه كان يُغرد خارج السرب، فهو ديوان لترسيخ دين المشركين وتصحيحه والإقرار عليه فكان معول هدم لا بناء في دولة بدلت الأسماء وحرفت أصل دين الأنبياء والمرسلين.

المطلب الرابع: ديوان التعليم

استلمه عثمان آل نازح ونائبه ذو القرنين ولكن آل نازح رفض الإمارة وجلس للتدريس في معهده بالسِحل ولم يعمَّر بعد التمكين طويلاً، فقد كان له شغف بالجبهات وليس بالمكاتب والدواوين، وقُتل في أحد خرجاته إلى كوباني بقصف التحالف، واستلم بعده نائبه ذو القرنيين المصري وصار بعد فترة أبو عبد الله الأردني نائباً له.

أقر ديوان التعليم المنظومة التربوية النصيرية وتم افتتاح المدارس في أواخر ٢٠١٤ على نفس الوضع السابق بنفس المنهاج الوضعي إلا بعض المواد التي تم إلغاؤها كمادة القومية والفلسفة والتربية الوطنية وغيرها، وبقي النظام يدفع المرتبات بنفس الميزانية للمعلمين بشكل دوري في دولة تسمى "بالإسلامية" ... ولم يلبث هذا الواقع المرير طويلاً حتى استنكره بعض العاملين في ديوان التعليم ورفع أبو عبد الله الأردني الأمر إلى اللجنة وتمَّ النقاش في مشروعية سير المنظومة التعليمية على وضعها، وكتب الإفتاء رسالة في حكم المنظومة التربوية النصيرية[1]، وأفتى بكفر المعلمين واستتابتهم وإيقاف المدارس إلى حين إعادة تأهيل المعلمين وكتابة المناهج ... والعجيب في الدولة أن هذه الأحكام والإجراءات هي في ولاية الشام فقط أما في العراق فلم يجرؤ أحد على تكفير المعلمين أو إيقاف المدارس أو الجامعات!!، فالتكفير وتوقيف التعليم مُسلَّطٌ على المعلمين السوريين الذين لا بواكي لهم، أما المعلمين في العراق من ــ الولد ــ فاستمرُّوا في التدريس وقبض المرتبات من الصفويين بمقدار ٧٠٠ دولار في الشهر بينما أحيل المعلمين السوريين على البطالة !! في دولة الخلافة.

وبدأ الديوان يعمل على إنشاء منظومة تعليمية للدولة بكتابة مناهج جديدة وإقامة معاهد لتهيئة المعلمين المستتابين لاستعمالهم في هذه المنظومة، وبقي الديوان يدور في حلقة مفرغة لعدم وجود كوادر علمية تقوم بهذا المشروع الكبير، وتم تعليق الدراسة لموسم دراسي، وكان ذو القرنين في هذه الفترة يعمل في العراق على كتابة

[1] **بعنوان**: "رسالة توضيحية في بيان حكم المنظومة التعليمية في الحكومة السورية".

منهاج العلوم الدنيوية فجمَّع حوله طائفة كبيرة من أهل الاختصاص في جامعة الموصل على مختلف المشارب والتوجهات، وانتُدب البحوث والإفتاء لكتابة المقررات الشرعية للمناهج الدراسية[1]، وكان من أعمال الديوان افتتاح المعهد المركزي الذي أنشأه القرني في العراق ووضع له اللبنة الأولى وكانت مدته ستة أشهر، ومن مقرراته كتاب فقه النوازل **الذي كتبه حجي عبد الله** ـ أمير الدولة الذي استلم بعد هلاك البغدادي ـ والذي يعذر فيه المنتخبين بالجهل وغيرها من الطوام، وبعد تخرُّج دفعة من المعهد في الموصل افتُتح له فرع في الشام، ولكن المعهد لم يُكمل مُدته في الرقة حيث استُنفر الطلبة إلى المبروكة والعالية في تقدم البككي على الرقة فقُتل أكثر الطلبة وجرح الباقي فأغلق المعهد.

وقبل افتتاح المدارس بأشهر قليلة تم عزل ذو القرنين وتولية أبو المنذر عمر مهدي زيدان على ديوان التعليم ونائبه القرني وكانت التولية من العراق من طرف أبي المعتز القرشي، وكان هذا التعيين رجوعا بالديوان مسافات إلى الوراء فالرجل لا يفقه في العمل الإداري شيئا استلم الديوان في زمن حسَّاس، ولم يكن متصوراً للمشروع بالكلية بالإضافة إلى أنه شخصية انتقادية هدَّامة فكان من أسباب فشل المشروع برمته، وسرعان ما عُزل منه واستلم المكتب الشرعي للجيش في العراق.

وفي آخر المطاف امتنعت اللجنة من صرف ميزانية التعليم سواء في صرف مرتبات المعلمين أو طبع المقررات، وشحت بالمال لصالح الجبهات، وتم انطلاق الموسم الدراسي على عرج بفرض إتاوة على التلاميذ يُعطى منها الرواتب للمعلمين، وكانت هذه الخطوة بمثابة وأد لهذا المشروع ودفنه، حيث عزف أكثر العوام عن تدريس أولادهم فبدأ العام الدراسي بفتح مدارس محدودة جداً وسرعان ما انكمشت المدارس واندثرت بعد قرار اللجنة بعدم التدريس في مدارس النظام خوفا من القصف، فصارت إلى البيوت التي لم يبقى فيها إلا أبناء جنود الدولة.

وهكذا فشل مشروع تربوي في دولة تدفع ملايين الدولارات في التجهيز والسلاح ولا تدفع مرتبات المعلمين وطباعة المقررات.

[1] وكانت المقررات المكتوبة فيها أخطاء كثيرة مع نفس جهمي حتى قال أبو سعد الدغيلمي لا ندرس أولادنا في هذه المدارس

المطلب الخامس: ديوان الحسبة

استلمه أبو بكر القحطاني فوضع له لائحة عمل وقنن التعازير على شكل مواد وضعية، ثم بعد فترة قصيرة استلمه من بعده أبو صالح العربي وكان نائبه أبو رامي الجزراوي ومن بعدهم أبو علي السوداني ... اصطدم الديوان بمجتمع جاهلي غارق في الشرك والكفر فضلاً عن الشهوات والموبقات، فالفساد في كل جوانبه ونواديه، ولن تصلحه دِرة الحسبة على خواء التوحيد، وكانت الرقة في أول التمكين على حالها حيثُ أن النساء لم يؤمرن بالحجاب والنقاب على القول بالتدريج في تنزيل الأحكام على رؤية أبي زيد العراقي، ولكن اجتهاد أحد المحتسبين الجزراويين نقض التدريج وألزم النساء بالنقاب وأرغم أنف البغدادي وأبو زيد.

لقد كانت الخصومة شديدة والصدام قوي بين المجتمع الجاهلي وجهاز الحسبة الذي حال بين شهواتهم وعاداتهم وما ألفوه منذ نعومة أظفارهم، وبعد الشكاوى الكثيرة من الرعية على المحتسبين عزمت اللجنة على نصرة الحاضنة الشعبية وتقليم أظافر الحسبة، وأول تقليم وقع في الرقة التي كان فيها مجموعة من الجزراوية شديدةٌ دِرتهم على الرعية على رأسهم أبو شيماء الجزراوي ناظر الحسبة، وانتهى الصدام بتعزير الكل إلى العراق وتغيير الطقم الجزراوي إلى الطقم السوري " الأنصار" فهم أطوع للإمام وأخضع له، كما انتهى الأمر في الطبقة إلى غلق مكتب الحسبة واستنفارهم إلى كوباني فقصفهم طيران التحالف على تلة مكشوفة، وفي دير الزور تم تجميد الحسبة وتعزير أميرها أبو محمد الجزراوي إلى كوباني، في حملة واسعة من اللجنة المنتصرة لصرخات الرعية المنكوبة.

وثارت ثائرة الديوان الذي لم يُستأمر في خلع جميع أمراء مراكزه فاصطدم أبو رامي مع الجميع واستنصر بالإفتاء فكتب أبو محمد الأزدي كتابا شديد اللهجة للجنة يقول فيه أن ولاتكم يراعون الحاضنة الشعبية على طريقة السرورية !! وأرفقه بتقرير من أبي مرام في نفس السياق بعد الدورة التي أقامها في دير الزور للمحتسبين في شرح كتابه "تبصير الأصحاب بضوابط الاحتساب"، حيث أن الولاية قد وقع فيها صدامات أدت إلى الفزع إلى السلاح، وكان جواب اللجنة بعزل الأزدي والجزائري من الإفتاء، وتعزير أبو رامي إلى العراق وأتبعوه بالأزدي، ولكن القرني أخذه وأبو شيماء واستعملهم في معاهده وقال إن الشام تلفظ فلذات أكبادها إلى العراق.

وبعد هذه الحملة كُسرت شوكة الحسبة وصارت اختصاص عيون المنقبات وشيشة المدخنات وعليهما يجري الاحتساب ولا تكاد ترى سيارات الحسبة إلا في الأسواق، فالطقم المعد لها لا يكفي لتغطية شوارع مدينة الرقة فضلاً عما حولها من الأحياء، أما القرى فعلى حالها منذ أن تركها النظام فلا ترى فيها آمرا بالمعروف أو ناهيا عن المنكر بل لا تكاد ترى فيها مظاهر الدولة عموما.

لقد كانت الحسبة مغلوبة على أمرها فهي كالقشة التي يريد بها آمرها أن توقف سيلاً عارماً وزبداً جارفا من الانحراف والفساد، مع تسلط الولاة عليها فيتم عزل كل أمير لها تكثر عليها شكاوى الرعية والعوام.

إن تقويم الانحراف يكون بتصحيح الأصل الذي يُقوِّم السلوك والأخلاق ويتم به الانقياد لله في الأمر والنهي وتجريد الاتباع، والمجتمع الذي يُبنى على هذا الأصل يُرغِّبهُ الوعد من الله تعالى ويُخوِّفهُ الوعيد من الله لا دِرة الحسبة من الخلق.



الفَصْلُ الرَّابِعُ

وقفات مع المرحلة الأولى

المطلب الأول: وقفات مع أهم الأحداث في هذه المرحلة

بعد إعلان الخلافة في ١ رمضان ١٤٣٦ ودعوة الناس إلى الهجرة إليها واستنفارهم لبناء صرحها والقتال على أسوارها، أقبل عليها الوافدون المتعاطفون مع هذا المشروع من كل حدب وصوب، فكانت نسبة المهاجرين من ٣٠ إلى ٥٠ من الرجال يومياً في أول فترة ثم وصل العدد إلى ١٠٠ نافر من كل الجنسيات، وكان المتخرجون من المعسكر في أول الأمر يُقسَّمون بين العراق والشام ثم صار فرز المهاجرين إلى العراق حصراً ... فكان تدفق رهيب للمهاجرين الذين أجابوا نداء "هلموا إلى دولتكم"، ومن ضمنهم الكثير من الكوادر الذين أكلتهم الجبهات ولم يُستفد منهم في اختصاصهم، مع أن الدولة لا تستطيع أن تقوم في المساحة التي هي عليها في كل المجالات إلا على جيش من أصحاب الاختصاصات، ومع ذلك تسير الدولة بعقلية جماعة قتالية تشترط التزكية على الجهات، فكان الواقع يُحتِّم عليها أن تضع أرجلها على أرضية ثابتة تنطلق منها إلى أهدافها، فقاعدة إقامة الدولة لا تقوم على حاكمية جماعة قتالية لمجتمع جاهلي، بل تقوم على جميع أفراد المجتمع الرابط بينهم آصرة العقيدة التي تدفع بهذا المجتمع إلى الذود عن حياضها، فإذا استُنفر نَفَر يدفع عن كيانها ووجودها، أما واقع الشام فكان ـ الكل على راسي ـ النظام والجيش الحر والأكراد وتركيا وأمريكا كلهم على رأس المجتمع الجاهلي، وحالهم كما يقال في مَثَلِهم من تزوج أمي فهو عمي، فكيف يُدعى المهاجرون ليدفعوا عن حياض المجتمع الجاهلي!.

وقبل أن تمتد العين إلى بغداد أو الشام أو الروم أو الفرس أو جزيرة العرب أو الأرض كلها، كان لا بد من تصحيح الواقع وإقامة الدولة على أصول ثابتة لا رمال متحركة، بدون أن تحتاج إلى كل تلك القرى والديار التي هي عبء ثقيل عليها، وكانت تستطيع تصحيح الواقع لو عملت على تصحيحه وإقامة الدولة على أرضية صحيحة بعد المفاصلة في أسماء الدين لِما منَّ الله عليها من الأسباب المادية ـ المال والرجال والسلاح ـ ولكن الخلل هو الزيغ في المنهج الحركي الذي ولَّده الفساد العقدي، فأدى

هذا الانحراف إلى توظيف تلك الأسباب في غير محلها، والخطأ الجسيم في تسيير تلك الجيوش إلى معارك الفناء، فما هو الداعي لخوض معركة مع الأكراد وبالتالي أمريكا والتحالف الدولي في هذا الوقت المبكر، وإن كان ولا بد من المواجهة لماذا لم تتوجه تلك القوة إلى سوريا المفيدة ـ حمص وحماه وغيرها ـ والنظام في هذه الفترة يتهاوى؟ من وجّه المهاجرين إلى كوباني تتخطَّفُهم طائرات الصليب ومسيرات التحالف؟ من أهلك أكثر من ١٠ آلاف مقاتل أكثرهم من المهاجرين في حرب لا طاقة لهم بها ولا قبيل، يتوجهون إلى دارٍ لا حاجة لهم بها كأنها المسجد الأقصى أو الحرم المغصوب؟ ... لماذا تثبت الدولة لمدة أربعة أشهر في كوباني والطيران لا يقصف خطوط الإمداد بل يقصف خطوط الرباط فيُقتِّل في اليوم عشرات المقاتلين، وليس بين قاعدة أنجرلك وسماء كوباني إلا نصف ساعة كافية لشحن الطيران بصواريخ الموت ووقود الرعب، وأحمق العسكريين يعلم أنها حرب استنزاف للدولة، وهل يُقْدِم عاقل على حرب كلاسيكية بجيوش مكشوفة في أرض مبسوطة على حدود تركيا مع تحالف دولي يصمد فيها أربعة أشهر تُقتَّل فيها خيرة رجاله وجنوده من أجل كلمة يقولها حجاج الشام "لن تسقط كوباني!!" ثم يقول بعد سقوطها هنيئا لكم بأكوام الحجارة في كوباني ... لقد استنزفنا أكثر من ٧٠% من قدرات الطيران!! والذي حصل في كوباني تكرر في بيجي العصية فقد أكلت حقول النفط والغاز آلاف المقاتلين من المهاجرين والأنصار، يضحك على من هذا الأحمق الأخرق؟ وتالله لقد كان المرابط في كوباني يُرابط على الطيران ينتظر الموت بعد الموت، ولما انهارت الجبهة وصل الأكراد إلى أطراف الرقة ولو دخلوها لأخذوها ولكن ليس بعد ... هل هذه القيادة أمينة على الدماء والأعراض والحياض؟ أم هي أولى بالشك والريبة من المهاجر الذي نفر بفلذات كبده هجرة ونصرة يُنظر إليه بنظرة الجاسوس الخائن.

لقد تغيَّر جيش الدولة في الشام بعد هذه النكبة ... فبعد أن قتلت الدولة مئات "الغلاة" وهم المشهود لهم بالبأس والصدق عند اللقاء من الأذر والتوانسة وغيرهم، وقُتل الآلاف هدراً في كوباني وبيجي، قام بعدها الجيش على جنود الكفالة ... وكأن القيادة عرفت أنها أخطأت الوجهة واستُدرجت إلى حرب استنزاف لا خير فيها فوجهت الكتائب إلى دمشق والسخنة وتدمر فوصلت إلى القريتين وعقيربات وبئر قصب وأطراف الشام، ولو كان هذا الزحف بالآلاف التي قطعت في كوباني لكانت الأمور في موازين القوى تختلف كثيراً.

توقف الأكراد على أطراف عين عيسى ومبروكة والعالية وجبل عبد العزيز ونصبوا السواتر بعد أن أخذوا الشريط الحدودي من كوباني إلى الحسكة وخرج من سلطان الدولة نقاط حدودية مهمة كتل أبيض ومعبرها الذي كان يمثل شريان الحياة للدولة، وسقطت في هذه الحملة تل حميس وتل براك والشدادي والقرى التي حولها، وسقطت حقول النفط التي تمثل شريان حياة آخر للدولة، فضربت هذه الحملة الدولة في اقتصادها ورجالها.

لقد كانت جبهة الأكراد نقمة كبيرة على الدولة فقد خسرت فيها جيشاً كاملا تعداده عشرة ألاف مقاتل كأقل نسبة في هذه النكبة التي تسببت في انفراط كتائب وانهيار الجيش الذي أصابه هلع شديد من جبهة كوباني وبيجي فالداخل إليها مفقود والخارج منها مولود ... بل لقد كانت جبهة الأكراد سببا في الاجهاز على الدولة من تل أبيض إلى الباغوز.

بعد سكون الجبهة نسبياً مع الأكراد وعدم السيطرة على الوضع المنفلت إثر الانحياز الكبير الذي أتبعه التسيُّب في جميع قطاعات الجيش، تم عزل أبو حمزة الرقاوي والي الرقة ونائبه أبو إسلام وعُزل كل أمراء المراكز والمكاتب في ولاية الرقة وتَمَّ فرزهم إلى الجيش وتولية أبو لقمان السفاح ـ الذي كان عضواً في اللجنة وأميرا لديوان الأمن ـ ولاية الرقة وذلك لفرض سلطان الأمن على الجيش والسيطرة على الوضع المتفلِّت من جراء هذا الانهيار الذي ولَّده السياسات الهوجاء ... واستَلَم السفاح الولاية وعنده الضوء الأخضر بضبط الأمور بيد من حديد، فأنشأ مسمى الشرطة العسكرية على الجنود وامتدت يده القذرة عليهم، فعزّر المتسيبين بوضعهم في أقفاص من حديد مثل الحيوانات والطواف بهم في الشوارع والأزقة والأسواق تحت أنظار الرعية الشامتة ... الرعية المتخلفة عن القتال، فأحكم القبضة الحديدية على الجند وبسط نفوذ الأمن عليه، ومن هذا التاريخ أصبح التعامل معهم بعد ذلك كتعامل الأنظمة الطاغوتية مع جنودها، حيث أن المتخلفين عن الغزو والرباط يُحرمون من الكفالة وتلاحقهم الشرطة العسكرية وتودعهم السجون ثم يحالون بعد ذلك إلى معسكر التوبة "الذّلة" ـ وسيأتي الحديث عنه ـ وامتد سُلطان الأمن إلى ولاية دير الزور التي وُلِّي عليها أبو سعد الشمالي ... نحو معالجة الواقع المنفلت بطريقتهم الأمنية.

وفي هذه الفترة تم تأسيس ديوان الجند وكان عليه أبو صالح حيفة العراقي ونُزع الجيش من يد الولاة الذين صارت لهم ولاية إدارية أمنية على الولايات، وتمَّ تأسيس

المكتب الشرعي لديوان الجند وكان عليه أبو الوليد السيناوي وكذلك إحداث إدارة المعسكرات الذي عليها أبو حمزة الكردي حيث صار ديوان الجند يقوم بنفسه عن التَّبعية للولاية، وقُسّم الجيش إلى فرق وألوية وكتائب، وهنا تم التفريق بين الجندي والإداري وثارت مسألة أحدثها القحطاني بفتواه أن الإداري ليس مجاهد، ورد عليه العدناني بتعميم يُثبِت اسم المجاهد للإداري والمقاتل جميعاً ويسفه أحلام القحطاني.

المطلب الثاني: دراسة الملف المنهجي لهذه المرحلة

بعد تدوين الدواوين ووضع لبناتها وتسيير أعمالها أُنشئت لجنة شرعية تابعة للَّجنة المشرِفة لمتابعة عمل الدواوين والإشراف عليها، وكان فيها أبو زيد العراقي ثم انضم إليها أبو بكر القحطاني بعد إشرافه العملي على وضع لبنات الدواوين، وبعد فترة انتُدب إليها أبو مالك التميمي ولكنه لم يُعمِّر فيها كثيراً حتى قُتل في معركة السخنة بعد أن أصَّر على الدخول فيها.

وأشرنا إلى أن القحطاني استلم الملف المنهجي ـ بعد أن استحرَّ القتل في جماعة الحطاب .سواءً في تقريره كمعتقد أو القضاء به على المخالفين في سجون الأمن، وامتدت هذه المرحلة من بعد التمكين إلى قرابة السنة والنصف أي: إلى أواخر ٢٠١٥... تكلم فيها القحطاني كثيراً وأخطأ كثيراً واصطدم مع ديوان الأمن في ملفات كثيرة وأراد الخروج من سجونهم، وانتَدب عبد الناصر أبو الفداء التونسي إلى لجنة المناصحة فامتنع من ذلك بشدة ورفض حتى أثار عليه سخط عبد الناصر، ثم انتُدب أبو أنس الأسدي المصري الذي كان قد كتب رسالة بعنوان "إمعان الناظر ببطلان تكفير العاذر" التي جعل فيها التكفير صفة كمال وكانت كالتزكية له على العمل في لجنة المناصحة.

وبعد فترة تم توسيع اللجنة الشرعية فانتُدب إليها أبو مرام الجزائري من ديوان التعليم وأبو مسلم المصري بعد رجوعه من الفلوجة وشفاعة القحطاني له للَّجنة، وكان عمل اللجنة متابعة الدواوين الشرعية وتقرير معتقد الدولة للشرعيين، وفي هذا السياق كان العمل على فتح معهد عال لتكوين قاعدة من طلبة العلم لهم ولاء لهذا المنهج ـ القاعدة الأم ـ تقوم عليهم الدولة في جميع دواوينها الشرعية تحت غطاء معهد

لتخريج القضاة لفقر الدولة في هذا الباب، وسُمِّي بمعهد الإمام عمر بن عبد العزيز، وانتُدب إليه من كل ولاية عشرة طلبة من أصحاب الخلفية العلمية حتى تجمع فيه أكثر من ثمانين طالباً، وشُرع في العمل على فتحه وتقرير قول الدولة في المسائل المثارة مجدداً وفصل النزاع فيها بتقرير قول "الإمام" للشرعيين في جميع الولايات، وعُقدت مجالس مطولة في ولايات الدولة في تقرير قول الإمام وسُجِّل للقحطاني مجلس ولاية الخير، ولقد كان قوله في هذه المرحلة أشد تجهما مما كان عليه من قبل، ولعل مجالسه الكثيرة في ديوان الأمن لمناظرة "الغلاة" عدلت في منهجه وألزمته بلزوم أصول جهمية منضبطة وحاصل قوله في المسائل المثارة ما يلي:

❁ تكفير المشركين من لوازم الدين، وحد أصل الدين هو: ترك الشرك وإفراد الله بالعبادة واعتقاد ضلال المشركين دون التكفير أو البراءة، واسم المشرك لا يثبت قبل الرسالة.

❁المتوقف في المشركين " العاذر" قد حقق أصل الدين وهو مسلم لا يُكفَّر إلا بعد التعريف والبيان وكشف الشبهة وانقطاع التأويل.

❁ من لم يكفر طاغوت قومه يكون مسلما، وجاهل التوحيد مسلم، ومسألة العذر بالجهل داخلة في ضمن العوارض الأهلية وبحثها أصولي والخلاف فيها لا يدخل ضمن الخلاف في الاعتقاد بل هو من الخلاف الفقهي.

وكان في هذه المجالس يُناقش استدلالات الحازمي في طرحه، كون طرحه في هذه الفترة تبناه أكثر الغلاة في الدولة، فكان يَعرض أدلته في أن تكفير المشركين من أصل الدين ثم يُبطل الاستدلال بها على نفس النَفَس الأصولي الكلامي، و يضرب كلام علماء الدعوة النجدية ببعضه واستفرغ جُهدا في تصحيح دين جاهل التوحيد، وقال في آخر المجلس: هذا هو قول الإمام وحقٌّ على كل من سمعه من الشرعيين أن يُبلغه على وجهه ولوح بالسيف للمخالف، وكان في المجلس عبد الحكيم الوالي وأبو عبد الله الكويتي قاضي الولاية وأبو الفداء التونسي وأبو خُبيب اليمني ناظر الحسبة وأبو قدامة المغربي وغيرهم من أمراء المراكز .

بدأ المعهد في التدريس وكان عليه القحطاني كإشراف عام ويُدرس بلوغ المرام وأبو مسلم على الفقه وأبو مرام أصول الفقه والبنعلي التوحيد وأبو محمد المصري مصطلح الحديث وأبو زيد العراقي اللغة وأبو عبد الله الأردني قيِّم المعهد وطالبٌ فيه.

وكان المعهد تابع إداريا للَّجنة المشرفة وكمقر للجنة الشرعية وكانت عناية القحطاني به كبيرة جداً فكثيرا ما يعقد مجالس يستعرض فيها عضلاته على الطلبة حتى تمكَّن دينه من قلوبهم، وانتَدب القحطاني للمعهد بعض الأسماء التي كانت محسوبة على الغلاة والتي نجت من سيف الأمن بُغية التأثير عليها كسفينة التونسي وأبو رباب التونسي وأبو جابر التونسي فتأثر بهم بعض الطلبة كأبي معاذ العاصمي وأبو يحيى المغربي وغيرهم وبعد مضي أربعة أشهر من بداية المعهد أُثيرت مسألة "طلب الحيِّ الدعاء من الميِّت" أثارها البنعلي في مجالس شرح كتاب التوحيد وحكى فيها الخلاف ولم يُرجِّح وأومأ إلى سعة الخلاف فيها، وسئل فيها أبو مسلم من طرف التونسيين المذكورين وسُجِّل له كلامه وتأصيله والمناقشة في ذلك وأقرَّ أنها من الشرك الأصغر، وعقد القحطاني مجالس في المسألة وقرَّر أن سؤال الميت الدعاء شرك أكبر وأنها من مسائل الشرك التي تخفى وعذر المتوقف فيها على أصوله، وانتشرت هذه المسألة في الدولة انتشارا واسعا، وعلى إثر ذلك كفَّر أبو الرباب وأبو جابر وأبو معاذ العاصمي كل من البنعلي وأبو مسلم والقحطاني وتركوا المعهد ... وترتب على ذلك تكفيرهم للبغدادي على إثر توليته القضاء لأبي مسلم المصري وسُجنوا في ديوان الأمن وهربوا على إثر قصف التحالف للملعب.

وفي هذه الفترة أُثيرت على القحطاني مسائل كثيرة في طرحه السابق وعلى رأسها الفتوى الصنمية وهي قوله: "لو أن **زيدا** من الناس سجد لصنم فسئل عنه **عمرو** من الناس فقال **عمرو**: لا أدري ولكنه **أخطأ** بفعله فما حكم **عمرو**؟" قال القحطاني في هذه الصورة: أن **عمرو** يُعرَّف تعريف بسيط ثم يُكفَّر"، وهذا عذرٌ منه لجاهل صفة الشرك، وليس عذرٌ للمتوقف في الاسم ـ المشرك ـ المقرِّ بأن الفعل شرك بالله تعالى الذي هو محل النزاع ــ أي أن القحطاني عذر من لا يعرف صفة الشرك، فصار بهذا التأصيل يعذر بالجهل في الشرك بالله تعالى، وعُقد على إثر هذه الزوبعة مناظرة بين القحطاني من جهة وأبي سعد العتيبي وأبي حذيفة التونسي من جهة، بأمرٍ من الحَجَّاج وكان أبو الوليد السيناوي حَكماً فيها، فغرق القحطاني في الفتوى الصنمية ولم يستطع الخروج منها وتم إسقاطه من طرف خصومه الحَجَّاج والفرقان، فعُزل ونُفي إلى العراق كقاضي أسرية في محكمة الموصل، وقُطع قرنه وخلت ساحة الشام من أكبر خصم لتيار الفرقان وعلى إثر سقوطه بدأت مرحلة جديدة من مراحل النزاع الشرعي في الدولة.

لقد كان تأصيل القحطاني وطرحه لا يخرج عن تأصيل أبو محمد المقدسي، حيث جمع أبو سعد العتيبي جميع أقواله في المسائل وطابقها مع نُقول للمقدسي من كتبه سواء من الثلاثنية أو غيرها في تسجيل فيديو فظهر التطابق والامتداد العقدي لمدرسة القاعدة الأم، وظهر تأصيل القحطاني في كتاب تبصير الحائر في بطلان تكفير العاذر الذي كتبه محمد العربي وهو عضو في الهيئة الشرعية للدولة في ولاية ليبيا، وهذا الكتاب أثار موجة نقاش واسعة في الدولة بين الموافق والمخالف وزاد قول القحطاني شناعة ورهقا باستدلالاته على تأصيلاته التي تَنفرُ منها الفطر السوية.

احترق كارت القحطاني وعلت الأصوات على صوته ووجد عليه خُصومه مستمسكات قوية عند البغدادي لإبعاده عن الساحة فتم كنسه من الشام إلى مقبرة الدعاة في العراق.



الْبَابُ الثَّالِثُ

المرحلة الثانية: ولاية الحَجَّاج[١]

استلم الحَجَّاج أبو محمد العدناني ولاية الشام في ظرف عصيب من عمر الدولة، ويُراد منه استنقاذها من النار التي تأكلها وتذهب بها نحو الفناء، فاستمر في طريق الإصلاحات الأمنية التي شرعت فيها اللجنة بعد سقوط الجبهة الشرقية للرقة ، فصار أعلى الهرم صاحب القبضة الحديدية والمركزية المقيتة فلا يُبرم أمر إلا بإذنه، وختوم الدواوين المؤثرة في الدولة بيده كالأمن والجند بعد الإطاحة بالسفَّاح، إذ لا يجتمع سفاحان في ولاية واحدة، ونُقل أبو صالح حيفة إلى العراق ونَسف الحَجَّاج جماعة عبد الناصر فلم تبق لهم رائحة في اللجنة ولم يبق إلا الفرقان وأبو محمد حدود، وقرَّب منه جماعة اللواء كأبي أحمد العراقي ـ المغربي ـ وأبي خباب المصري وجعل بينه وبين الشرعيين خندقا واسعاً وسيأتي الحديث عنه .

ولا يزال النزول مستمرا وبخطى ثابتة نحو الزوال فلم تُوقفه عصى العدناني السحرية ولا سياسته الأمنية، فسقطت مدينة منبج التي هي عاصمة حلب ثم جرابلس والشريط الحدودي إلى الراعي، وتسرَّب من منبج ورقات بخط الحجاج وختمه إلى العسكريين يحكي فيها قصة حصارهم في الفلوجة من باب التحريض على الثبات ويأمرهم بقتل الفارّين من الجبهة والممسوسين ـ إن تعذر التعامل معهم ـ، وقَتلِ من أراد الخروج أو الهدنة وقال وأنتم إذا خرجتم سأقتلكم!! ... وهذا حكمٌ بغير ما أنزل الله بل حتى بعض المحسوبين على تيار القحطاني كأبي عبد البر الكويتي كفَّر الحَجَّاج بهذا الخطاب.

وفي سياق الإصلاحات الأمنية ذات الخلفية البعثية تم استحداث معسكر التوبة الذي كان القائم عليه أبو حمزة الكردي لمعاقبة المتخلفين عن القتال "المتسيبين" ومن عندهم خلل في السمع والطاعة للأمراء، ومن وسائل التأديب في هذا المعسكر هو

[١] وهو أبو محمد العدناني الناطق الرسمي لدولة العراق الإسلامية إلى خرافة بغداد

نقل الحجارة من مكان إلى مكان كي يتعوَّدوا على السمع والطاعة، ومن قوانينه ولوائحه الداخلية: قتل كل من يحاول الهروب من المعسكر فمن يخرج من حدوده يَرمي عليه الحرس بالأمر بنية القتل، وهذا القانون مُثبَّتٌ بكتاب مختوم من الحجاج ... ولا أدري كيف سيقاتل معك التحالف الدولي من تعذبه وتهدر دمه، ولا يدري هذا الأحمق أن الذي أخرج هؤلاء من بيوتهم هو الديانة وابتغاء ما عند الله والخوف منه، فكيف يريد أن يَرُدَّ إلى صَفِّ الدولة من ذهب عنه الوازع الديني بتعذيبه بالحجارة وتجويعه وفتنته!! وفي الواقع أن هؤلاء المتخرجين من المعسكر لم يقاتل فيهم أحد ولم يرجع منهم أحد بل كلهم يهربون عند فرزهم إلى الجبهات، ولكن هي نظرة القيادة ـ لبنة البعث المقيت ـ إلى الجنود كأنهم عبيد يدفعون بهم عن مُلكهم ... والأعجب من هذا!! كيف يُعاقب الجندي بحرمانه من الكفالة ـ التي صارت في هذه الفترة ٣٥ دولار ـ حال تخلفه عن الرباط لمدة تزيد على عشرة أيام، والغاية من هذا التعزير هو دفعه للقتال تحت F16وB1 ويَعتقد صاحب القرار أن هذا الاجراء والتعزير سَيُثَّبِتُهُ في الجبهات !! وهذا من المضحكات المبكيات في خرافة البغدادي.

لقد كان الحَجَّاج من أشد الناس على تيار "الغلاة" وأصحاب الفكر الدخيل على الدولة، وإذا علمت أن كتيبة الصدِّيق التي أنشأها الحجاج تم انشاؤها على فكرة الحرس الجمهوري لحماية ملكهم من الانقلاب أو الخروج عليهم من طرف الغلاة وكل ذلك لم يقع، لذلك بقيت الكتيبة عند انشائها حوالي الثمانية أشهر لم تخرج من مقراتها في مدينة الرقة والطبقة بقصد استنفارها حال خروج الغلاة وخوفاً من رد فعل جماعة الحطاب، ولما استقر الأمر وزال الخوف أُشركت في المعارك والغزوات، ومن بنود الالتحاق بهذه الكتيبة الولاء المطلق للدولة وأميرها الحّجَّاج الذي يقبض البيعات بيده من جنودها وقوفا على هذا الولاء، ويشترطون من المقاتل عدم الزواج لمدة سنة، والغالب أنك تهلك قبل السنة من الاستعمال والانتقال بين الجبهات ـ إلا من أطال الله بقاءه ـ وفي الكتيبة أحسن اللباس والسلاح وميزانية مفتوحة على غرار باقي الكتائب ... وبعد توجه كتيبة الصديق للجبهات تم إنشاء كتيبة أمنية داخل كتيبة الصديق بمعسكر أمني لمدة ستة أشهر وظيفتها الاغتيالات في الدولة لمن قَتلُه علناً يُشكِّل عليهم بلبلة، فيتم اغتيال بعض الأسماء التي تُشكل خطراً على سياسة الدولة عبر هذه الكتيبة خارج الاجراء الروتيني ـ السجن عند ديوان الأمن ثم الحكم بالقتل ـ ويُعلَن عن قتله ويشاع أنه قتل من طرف الصحوات أو قصف التحالف ونحو ذلك، وتم تصفية

الكثير من الغلاة والعسكريين وغيرهم عن طريق هذه الكتيبة، وهذا كله في دولة المافيا تحت شعار "الدولة الإسلامية" وما خفي كان أعظم.

ومن القضايا التي أدمت قلوب المهاجرين في هذه الفترة هي قضية أبو جهاد الليبي الذي رَمى طلقة على الأرض ارتدت على ساق امرأة أثناء الاحتساب عليها فحكم عليه القاضي العنزي لمدينة الطبقة بالديَّة لتعذر القصاص مخافة الحَيف، وكانت هذه المرأة من أقارب الأمني العام للطبقة فرفع الأمر إلى الحَجَّاج فنقض حكم العنزي وعزله عن قضاء الطبقة، وحكم على أبو جهاد بالقتل سياسة أو قُل حَميَّة للرعية، و تم قتله أمام مسجد الفرقان في الطبقة والأمنيين بالبيكيسيات على سطوح العمارات، ولما قتلوه كبروا عليه وهو ينادي: "والله مظلوم يا إخوة" ويكررها في مشهد تذرف له العيون، والطامة أن أبو جهاد مصاب بطلقة في رأسه مع كتيبة البتار الليبية أثناء قتالهم في فتح دير الزور وعنده اختلاج عصبي شديد وله تقرير طبي بذلك وقفت عليه بنفسي، فهو غير مكلَّف ولكن في دين الحجاج يُقتل للمصلحة العقلاء والمجانين ... وهذا الموقف القصد منه قهر المهاجرين وتخويفهم وإرغام أنوفهم لاسيما وأن المرأة سافرت إلى ألمانيا ولم تقبل بقربان الحجاج لعنة الله عليه... وغيرها من القضايا كقضية الأخوات الاتي اعتقلن بتهمة التجسس ومنهم أم فؤاد البلجيكية، وهذا والله لغيض من فيض الظلم والقتل بغير حق والإسراف في ذلك وما خفي وراء جدران النقطة ١١ عظيم وسيكشف ستاره في يوم عظيم.



الفَصْلُ الأَوَّلُ

دراسة الملف المنهجي لهذه المرحلة

بعد استلام الحَجَّاج ولاية الشام وإعطائه التفويض من البغدادي حيث صار أميراً على اللجنة المفوَّضة بدلاً من اللجنة العامة المشرفة، افتتح الولاية بإجراءات عديدة لفرض سلطانه المطلق على الولاية فصار أميراً مباشراً على ديوان الأمن وهيئة الحرب وذراعه الفرقان نائباً له وبقي أميراً على ديوان الإعلام، وفي ما يخص الملف الشرعي قام بحلِّ اللجنة الشرعية وتم نقل القحطاني وأبو مرام إلى القضاء وتولية أبو مسلم على ديوان القضاء وأبو زيد إلى المكتب الشرعي لإدارة المعسكرات، وأحدث الحَجَّاج مركز متابعة الدواوين الشرعية عليه الأستاذ زيد العراقي وأبو الوليد السيناوي كهيئة منفصلة عن اللجنة تابعة لها.

واستلم أبو محمد الفرقان الملف المنهجي للدولة بدلاً من القحطاني وأنشأ لجنة شرعية منهجية هو على رأسها وفيها شعبة المصري وميسرة الشامي، وهي بداية جديدة لمرحلة جديدة من حلقات الصراع في الشام السلطان فيها بيد جهة لها خصومة سياسية مع تيار القحطاني بل مع الشرعيين عموماً، لذلك صدَّرت أسماء نكرة في الساحة لها ولاء لشخصية السلطان، فشعبة المصري ـ أبو خباب المصري ـ كان مدرساً في معسكرات لواء الصديق رشحه الحجاج للجنة الشرعية، وميسرة الشامي ـ أبو سليمان الشامي ـ كاتب وإعلامي في ديوان الإعلام عند الفرقان، وبهذه التولية يظهر جلياً النَفَس الجديد في تقديم أصحاب الولاء على الأسماء العلمية في الدولة ... وسبق الإشارة أن الفرقان بدأ بالرأس القحطاني و كان ما دونه أهون منه وأغلق مكتب البحوث والدراسات بعد أن فرَّغه من جميع الأسماء ولم يبقى إلا البنعلي الذي تم الحجر عليه في هذا المكتب .

شرع الفرقان في حركة تصحيحية لمنهج الدولة بعد جس نبض الجنود فيها، فالغلاة في ازدياد، ولا دخان يعلو من دون نار ولا نار من دون حطب يؤججها، وحطب الغلو الإرجاء وعلى تصورهم هي الأقوال التي قالها كبار الشرعيين في الدولة والتي هي مستمسك "الغلاة" في تكفير الدولة، والسيف لم يعالج القضية بل زادها عناداً فلا يزال

يقطع في الرؤوس خلال كل هذه الفترة والقائلين بهذه الأقوال في تكاثر وتزايد!! ومع هذه القناعة التي وقف عليها الفرقان كان عليه لزاماً البحث عن أصل الداء وتوصيف له العلاج ... وتم فتح أعقد ملف في الدولة على أعلى مستوى، ودخل الفرقان في ملف أكبر منه بكثير، والدكتور حديث عهد بهذه المسائل وليس له أهلية الاجتهاد في مسائل الحيض والنفاس فكيف يكون حَكماً في مسائل التكفير والدماء، فكان كالذي يسبح في محيط لا يحيط به فهو دائما ينظر من زاوية واحدة ... كيف والطبيب عليل.

وفي هذا الاتجاه عُقدت مجالس منهجية مع جميع الشرعيين المؤثرين في الدولة، وكانت المجالس بنفس أمني حيث تُستفتح بالسؤال عن المسيرة العلمية والتلقي والمشايخ والمدارس وغيرها، ثم مناقشة المسائل المثارة في الساحة، ومن رُفع عليه بعض المقالات تكون هي مادة الجلسة المنهجية، ثم يُكتب فيه تصنيف مع توصية من اللجنة الشرعية، وجُرجر لهذه المجالس أبو همام الأثري ـ البنعلي ـ وأبو يعقوب وأبو المنذر وأبو محمد المصري وأبو حذيفة التونسي وأبو عبد الله السيناوي وأبو سعد العتيبي وأبو أنس الأسدي أبو يحي التونسي وغيرهم من طرفي النزاع... ولما حصل للَّجنة تصوُّر للخلاف المنهجي في الدولة صار العمل على إخراج بيان علمي يُفصَل به النزاع ويكون هو القول الذي تتبناه الدولة، **وهي سابقة في تاريخ الدولة: الكتابة بشكل رسمي في قضايا عقدية شائكة**، أَلجأ إليه شدة الصراع وبُغية إسقاط منهج القحطاني بعد إسقاط شخصه، وعُقدت تسعة عشر مجلسا مع الطرفين في تحرير هذا البيان حتى يكون محل وفاق بينهم وشارك في كتابته أبو مسلم المصري والأستاذ زيد العراقي وأبو زيد العراقي وتركي البنعلى وأبو الوليد السيناوي بالإضافة إلى اللجنة الشرعية، وخرج البيان بختم مركز متابعة الدواوين الشرعية، وفيه تجريح شديد لمنهج القحطاني ووَسْمِ قوله بالبطلان وفي المقابل تسقيط لقول الحازمي، فجاء البيان يهدم القولين ويُلفِّق قولاً بينهما بنفس سياسي فقرر ما يلي:

❁ تكفير المشركين من مسائل الدين الظاهرة ـ لا يثبت بالفطرة ـ ويُكفَّر المتوقف في تكفير المشركين ابتداءً بمناط التكذيب دون إقامة الحجة أو البيان والتعريف.

❁ ودُفِعَ القولُ أنَّ تكفير المشركين من أصل الدين، بِعلَّة لزوم الدور والتسلسل في التكفير وفساد اللازم يدل على فساد الملزوم.

❁ ودُفِعَ قول القحطاني ـ من كونها مسألة خفية يلزم في كشفها إقامة الحجة وانقطاع التأويل ـ بِعلَّة ظهور الدليل وحصول البيان وانتشار العلم في أراضي الدولة.

ورجعوا في آخر البيان إلى إثبات احتمالية وجود الخفاء في بعض الأماكن خارج سلطان الدولة، وعليه فالمتوقف الذي يَكفُر في الدولة ابتداءً لانتشار العلم وقيام الحجة قد لا يَكفُر خارجها إلا بعد البيان وإقامة الحجة، وبهذا التأصيل يكون البيان "محلي"، وعند التحقيق يتبين أن قول البيان والقحطاني يخرج من مشكاة واحدة ويُبنى على أصل واحد: في أن البراءة من المشركين واسم المشرك يثبت بالوحي والسمع ولا يثبت قبل الرسالة، وهو قول الأشاعرة: في أن أسماء الدين لا تثبت إلا بالوحي، وهو فرع عن قولهم في المسألة الأم التي هي التحسين والتقبيح العقليين، أي لا تحسين ولا تقبيح إلا بالوحي، إذا فالمناط هو التكذيب وليس فَقْدُ أصل الدين الثابت بالفطرة أو الجهل به، فالتكذيب هو مناط القولين. القحطاني والفرقان.

ويكون الفرق بين القولين ـ القحطاني والفرقان ـ هو في الظهور والخفاء وهو خلاف نسبي، وعلى هذا الأصل يكون قول القحطاني أوفق وأضبط لأصول الأشاعرة منه للبيان، ولا تقوم للبيان قائمة عند النظر في كلام المتأخرين على رأسهم ابن تيمية ـ الذي لا يخرجون عن قوله جميعاً ـ، حيث يُقرر في غير موضع أن المسائل الظاهرة قد يدخلها التأويل ويُعذر فيها الحديث عهد بكفر والذي يعيش في نائية وحكى عليه الإجماع، وعليه فالمسائل التي قد يعتريها الخفاء أو يرد عليها التأويل باعتبار الدليل أو الزمان والمكان تحتاج إلى كشف وبيان وهذا الذي يَرُدُّ هذا البيان إلى قول القحطاني ... إذا فقول البيان هو فرع عن قول القحطاني يتخرج عليه، وهو قفزة وطفرة غير موفقة من صاحب البيان..! وَوسمُ قول القحطاني بالباطل على هذه الأصول لهو ذرٌ للرمال على أعين الجهال، ومن اختار القول على هذا ـ أصل الأشاعرة ـ حتماً سيؤدي به إلى غلق باب التكفير ولا ينضبط معه إلا بالحواجز والعقبات التي هي كشف الشبهة وانقطاع التأويل.

أما بناء القول في البيان على انتشار العلم وظهوره وزوال الجهل واندثاره في الأماكن التي تسيطر عليها الدولة غير صحيح، فقائل ذلك قد أبعد النجعة وقوله مخالف للواقع بل هو وهم وخيال، بل الجهل بين الجنود كبير جداً فضلا عن الرعية، وأذكر أن بعض العسكريين في غرفة العمليات لمدينة الرقة قام بامتحانٍ للجنود في المسائل العقدية فرسب فيه أكثرهم في مسائل معلومة من الدين بالضرورة.

خرج البيان بختم الأستاذ زيد في مسألة واحدة من مسائل النزاع وهي العاذر أو المتوقف، وكان ردُّ فعله في الساحة من الناحية العلمية والسياسية سلبي جداً فقد زادها رهقا، حيث أن الأقوال صارت ثلاثة بظهور قول السلطان ... ولما وصل البيان إلى العراق استنكره القحطاني وكتب أبو محمد الأزدي رداً عليه ورجع على إثره القحطاني إلى الشام وأنكر بشدة على البنعلي مشاركته في كتابة هذا البيان، فكتب البنعلي شرح على البيان يُخرّجُه فيه على أصولهم ـ ولم يُنشر ـ ليُرضيَ به الطرفين ولم يفلح.

استنكر القحطاني خروج البيان دون أن يُناقش فيه وطلب منه البغدادي كتابة رد للنظر فيه فكتب رداً في ورقات، وكتب أبو يعقوب المقدسي ردا على البيان وانتشر بعد ذلك، وتعالت أصوات الردود من جماعة القحطاني فاضطرت اللجنة الشرعية أن تكتب ردوداً على الردود ورُفعت إلى البغدادي، وبعد فترة جاء كتاب من البغدادي بختمه يفصل في هذا النزاع وألزم جميع الأطراف بقول الفرقان، فكان صوت الفرقان والحَجَّاج أعلى وأسمع من صوت القحطاني، وما كان البغدادي ليترك قول الساسة لقول القحطاني فقد كان الاختيار سياسيا بحتا وليس علميا نظريا، وإلا على تلك الأصول التي اختارها القوم فالقول قول القحطاني، واستقر بعد ذلك قول البيان ولم يتبناه كعقيدة كلا الطرفين بل بقي في رفوف مكتب السلطان.

ومن أعمال اللجنة الشرعية في هذه المرحلة إعادة كتابة مقررات المعسكرات وشرع فيها الفرقان وميسرة، وكتابة مُقرر للأمن في تقرير قول أهل السنة في اثني عشرة مسألة من مسائل النزاع وما يقابلها من قول الغلاة والجهمية حتى يكون لهم ميزان للتصنيف على مقتضاه.

وما لبث طويلاً أن هلك الحجاج ورثاه البنعلي في إذاعة البيان ـ وكان أشد الناس عليه ـ ثم قتل بعده بأسبوع الفرقان بعد أن تولى ولاية الشام من بعده، وغرد أبو محمد المقدسي بزوال قطب الغلاة ـ على زعمهم ـ واستبشروا بهلاكهما على أمل رجوع مدرسة القاعدة الأم إلى المكان المرموق وسدَّة الحكم، **لقد كان خروج بيان الفرقان سابقة في الدولة فتح بابا لم يُسد إلا بالبيان الكامل الفاضح لمنهج الدولة بتوالي البيانات والسلاسل**، الباب الذي لم يُسد إلا بظهور الحال وزوال الغبش على الغافلين الطيبين ... لقد حرصت الدولة على طول مدة قيامها على الضبابية المقصودة في عدم إظهار قول فصل في مثل هذه المسائل الشائكة، بل حرصت على أن لا يُنسب إليها قول من أقوال المتصدرين في هذه المسائل، ومن أخطأ من شرعيها ـ التي هي صدرتهم ـ يُنسب

الخطأ إليه ويرد قوله عليه ولا تلتزم الدولة بقبوله وترفض أن ينسب إليها غَلطُهُ، ولكن هذه المرة لم تترك الخصومة الشديدة مجالا للسكوت بل أنطقت الفرقان الذي هو أحرص الحُجَّاج على تلك السياسة المقيتة، وهو الذي يعرف جيداً منهج جماهير الشرعيين في الدولة وإلا فالغلاة أمرهم أهون عنده من ذلك، وإن كانت هذه الخطوة قد ولَّدت خصومات بين السلطان وطائفة كبيرة من الشرعيين لا يكفيهم أنه قول الدولة لاعتقاده وتبنِّيه، وإن كانوا قد يحنون رؤوسهم لأي عاصفة هوجاء ولن تستطيع الدولة اجتثاثهم كما اجتثت الغلاة فأصبحت الدولة بعد البيان الأول ولها خصمان ـ بعد أن كان خصما واحداً ـ هم المدرستان حيث أنها اختارت خندقا صعباً ومسلكاً وعراً في التوفيق بين التيارين ... فالقحطاني لم يسكت وليس بالرأس الذي يُقطع ولا بالعود اللين الذي يميل بل جلس في الشام يُجيش أتباعه على البيان ... و"الغلاة" لن ترضيهم الخطوة إلى الأمام ولا الخطوات، ومن عَلِم منهم عَرَّف الذي لم يعلم أن هذا البيان ليس بقول لنا ولن يكون، فرسم البيان منهجا جديدا ليس له قائل إلا السلطان حيث أبطل قول الطائفتين وسفه أحلامهما، وإن كان قد خطا خطوة إلى الأمام وغازل الغلاة ووافقهم في حكم من الأحكام لكنه خالف أصولهم ولم يلتزمها.

لم يكن البيان علمياً ولا فيه تقرير للمعتقد بل كان بيانا سياسياً سُلك فيه مبدأ مسك العصا من الوسط، لذلك لم يجد هذا القول مكان له في الدولة بين الطائفتين فلا الجهمية تقدموا إليه ولا الغلاة رجعوا إليه ومات بموت قائله.

ولم تكن الدولة لتترك قول القحطاني ـ الذي خالف هوى الساسة وأرادوا خلافه ـ إلى قول الحطاب الذي أفنت فيه طائفته، بل شطحت بينهما وغردت خارج السرب، وما لبث هذا القول أنْ يندرس بموت صاحبه ... قولٌ يَنضَحُ بنفسية العلو على الجميع إنها نفسية الحُجَّاج، فبعد أن نظر الفرقان إلى خلاف الشرعيين في الدولة غلَّط الطائفتين ثم تفلسف حتى أحدث قولا بينهما، إنها النظرة ذاتها التي تدفع صاحبها إلى الفناء: "ما أريكم إلا ما أرى" ... والقول إلا ما أقول ... وأنتم كلكم غلط وما تعرفون شيء في العلم ولا السياسة ونحن الحُجاج أهل الوصاية والدراية وما القول إلا ما نقول ... ولا يدري هذا المسكين أن من تكلم في غير فنه أتى بالعجائب وأضحك عليه أصحاب الشأن بنوادر الغرائب ... نعم لقد زل حمار الجهل في الطين.

الباب الرابع

المرحلة الثالثة

﴿ لِّيَهْلِكَ مَنْ هَلَكَ عَنۢ بَيِّنَةٍ وَيَحْيَىٰ مَنْ حَيَّ عَنۢ بَيِّنَةٍ﴾ [الأنفال٤٢].

بعد خلو الساحة بهلاك الحَجَّاج والفرقان رجع عبد الناصر وأعاد هيكلة اللجنة، فجعل فيها أبو حفص على الولاَّة وأبو أسماء التونسي على الاقتصاد وأبو إسحاق العراقي على الدواوين الشرعية وأبو سعد الرقاوي ـ عبد الحكيم ـ على الأمن وأبو أيمن المغربي على هيئة الحرب وأعطى كل عضو ختم اللَّجنة وفوضه على أعماله ونزع المركزية المقيتة التي أحدثت تراكمات كبيرة في الدولة، وأبقى على اللَّجنة التي أحدثها الفرقان وأضاف إليها خليط من الطرفين فانتُدب إليها أبو زيد العراقي وتركي البنعلي وأبو عبيدة التركي وأوس القاضي بالإضافة إلى شعبة المصري الذي أقرَّهُ مُؤقتاً أميراً للَّجنة بعد مقتل ميسرة الذي قُتل بعد مقتل الفرقان بأيام ... ولم يستمر هذا الممزوج الشهر بتمامه حتى حصلت بينهم صدامات كثيرة على قضايا متعددة منها قضية أبو عبد الرحمان الزرقاوي الأردني فجهة تُعدله وجهة تُجرحه، فعزل عبد الناصر الجميع وسلم الملف إلى أبي حفص الجزراوي[١] ومعه أبو زيد العراقي وانتُدب إليها أبو أحمد الفرنسي الذي كان مع أبو زيد في المعسكرات الشرعية وقبل ذلك في الإعلام ... وفي هذه الفترة ظهر كتاب التبصير بحال المعتزلة الجدد في تسلسل التكفير لأبي مرام الجزائري الذي تغير قوله في هذه المسائل فتم انتدابه على إثر هذا التغيير إلى اللجنة الشرعية، وتم فك الحجر على مكتب البحوث والدراسات وفُرز إليها أبو محمد المصري وأبو مسلم المصري بعد عزله من ديوان القضاء من طرف عبد الناصر وتوليه أبو العباس الجزراوي ونائبه أبو عمر المصري.

[١] وكانت الغاية من تسليم الملف لأبي حفص هو محاولة التوفيق بين القولين كسياسة، ولكن أبو حفص صاحب خلفية فهو من جماعة الحطاب الذي كان معه قديما في جيش المهاجرين والأنصار فرجع إلى قوله القديم.

وكانـت اللجنــة الشــرعية تسـير علـى نفـس مســار الفرقــان مـع توصـيات البغــدادي بإكمـال المشـروع العلمي للفرقـان، سـواءً في إتمـام كتابـة المقـررات أو كتـاب الفرقـان بـين أهـل الحـق والـبطلان، بالإضـافة إلى الإفتـاء ومناقشـة مـا يكتبـه مكتـب البحـوث والجلـوس مع المخالفين سواء في ديوان الأمن أو خارجه ومتابعة الدواوين الشرعية.

وبعـد نقاشـات واسـعة داخـل اللَّجنــة الشـرعية اسـتقر القـول علـى أن اسـم المشــرك يثبـت قبـل الرسـالة وأن البراءة مـن المشـركين مـن أصـل الـدين ـ الـذي يثبـت بـالفطرة ـ، ومـع أن هـذا الطـرح يخـالف طـرح الفرقـان، فـلا تـزال العبـارة نفسـها: **أن تكفيـر المشــركين مــن أصول الدين الظاهرة** في محاولة للتلفيق بين القولين تلفيق سياسي لا علمي.

أمـا في مسـائلة الشـعوب فحـادوا عـن القـول بأسـلمتها وتركيـب الـديار ـ قـول القاعـدة الأمـ ـ إلى التوقُّـف والتَّبـيُّن وأصَّـلوا لهـذا القـول بأدلتـه، وعلى إثـره وقـع نـزاع داخـل اللجنـة سـواءً في التوقـف في الشـعوب أو في كتابـة العبـارة الملفقـة للمتوقـف التي أثبتهـا الفرقـان والتي أريـد بهـا: أن إجـراء الأحكـام ـ التكفير ـ مـن المسـائل الظـاهرة أمـا البراءة ـ التي هي الإخـراج مـن الـدين ـ مـن أصـل الـدين، ولكـن الإجمـال وعـدم التفصـيل سـيؤدي بالقـارئ إلى الفهـم على ضوء تأصيل الفرقان، وكان هذا الإجمال مقصوداً عندهم لحاجة في نفوسهم.

والصـدام كـان كبيراً بـين أبـو مـرام ـ الـذي كـان يؤصـل لكفـر الشـعوب والأقـوام ـ وأبـو زيـد العراقي الـذي يريـد قـولا وسـطاً بـين ذلـك بـالتوقُّف والتبـيُّن، وفُصـل النزاع لأبـي زيـد، حيـث أن الساسـة لا يسـمحون البتـة بـإجراء الكفـر على عمـوم الـديار والأقـوام وتَبنِّي هـذا القـول بـين الأنـام، بـل هـو مـن الخطـوط الحمـراء التي لا تتجاوزهـا الدولـة ولا يمكـن لهـا أن تقـول بـه وإن كـان حقـا في ذاتـه، فهـو خـروج عـن مسـار القاعـدة الأمـ في مسـألة جوهريـة وفيصـليَّة في مسـار التيـار الجهـادي عمومـاً ... ولـم يحصـل بعـدها توافـق في اللجنـة حيـث أن أبـا مـرام طَـرَد أصـوله وسـار عليهـا فـأحرج اللجنــة في مسـائل كثيرة كمسـألة طلـب الشـفاعة مـن الاستشـهادي التي أفتى فيهـا بالشـرك الأكبر للمستشـفِع، وأفتى بكفـر الجنـود المقتحمـين بالرايـات والأعـلام الوطنيـة، وفي حكـم الهويـة السـورية والتعامـل بهـا في مراكـز الدولـة كالحسـبة والشـرطة، وغيرهـا مـن المسـائل التي لـم يكـن للَّجنـة الجُـرأة على الفصـل فيهـا ولـم يكـن لهـم اسـتعداد بالـدفع بهـذه المسـائل إلى السـاحة وإحـداث صـراع جديـد لا طاقـة لهـم بـه، ورغـم كـل ذلـك نُسـب إلى اللجنـة القـول بهـا فـزاد بـه الشـرخ اتسـاعا، ولمـا وصـلت هـذه الأقــوال إلـى جماعــة القحطــاني والبنعلـي ثــارت ثــائرتهم وكثـر تشــنيعهم وتشــغيبهم عنــد البغدادي.

وانحصر النزاع في مسألة حد أصل الدين وبالتالي حكم المتوقف "العاذر" ومسألة: هل اسم المشرك يثبت قبل الرسالة؟ باعتبارها العُقدة التي تفصل بين المنهجين، وحكم الديار والأقوام، واجتهد تيار القحطاني ـ في هذه الفترة ـ في تجميع كلام ابن تيمية وعلماء الدعوة النجدية في عدم تكفير المتوقف، وفي المقابل تَستفرغ اللجنة جُهدها في توجيه هذه الرسائل والأقوال ويتراشقون بالردود والاعتذارات كأن القوم يقررون دين ابن تيمية أو ابن عبد الوهاب لا دين الله عز وجل، واجتهد أبو حفص في التوفيق بين التيارين، وعقد مجالس عديدة في محاولة التقارب بين المنهجين فباءت كل المحاولات بالفشل ولم تُفلح سياسة أبو حفص في التقريب بين المنهجين.

ووصلت اللَّجنة مع القحطاني إلى طريق مسدود حيث ألزمته بالتوبة على العلن في إذاعة البيان على أقواله القديمة كالفتوى الصنمية وغيرها فلم يقبل بذلك، فاستقر قول اللجنة على كفر القحطاني والبنعلي على إثر السؤلات البغدادية ومقررات التوحيد للمعسكرات، ولم تقدر على فعل شيء، وكما قال عبد الناصر عن القحطاني أنه ممتنع بسلطان يقصد البغدادي ... بالإضافة إلى امتناع أبو مسلم المصري وأبو محمد المصري العمل في اللجنة بعد انتدابهم إليها في محاولة إلى التقارب.

وفي خطوة عملية من اللَّجنة نحو التغيير، تم إخراج بيان إلغاء العمل بالمقررات المتداولة في المعسكرات كالتقريرات المفيدة وتعلموا أمر دينكم والسياسة الشرعية وغيرها، بعد كتابة رسالة في الأخطاء المنهجية لهذه الكتب، ولم تستطع اللَّجنة إخراج كتاب مجمل أصول الاعتقاد عند أهل السنة والجماعة، الذي شرع فيه الفرقان وأكمله وحرره أبو مرام فبقيت المعسكرات بدون مقررات.

وفي هذه الفترة تعالت الأصوات من الطرفين وكثر الأخذ والرد وتداول الجنود هذه المسائل ووضع السلاح الكثير منهم إلى حين الفصل بين القولين، وانتشرت أقوال القحطاني الكفرية وطرحه الجهمي، وصار الامتحان بالقحطاني والبنعلي والتعصب على أقوالهم من طرف أتباعهم، وضاق الحال على الدولة بعد قُرب محاصرة الرقة وسقوط الطبقة والنزوح الجماعي للدواوين والهيئات إلى دير الزور، حيث أنها صارت في هذه الفترة مركز للدولة.

وفي هذه الفترة انتشرت صوتية للمعتصم التونسي بعنوان:" إنما أشكوا بثي وحزني إلى الله"، تناول فيها حال الدولة وهاجم فيها رموز كثيرة منها السفاح وديوان الظلم

والقحطاني والبنعلي ورماهما بالتجهم وربط بهم الانحسار وتوعد البغدادي بأن هذه الكلمة لها ما بعدها إن لم يُحدث إصلاحا شاملا في الدولة ... لقد أحدثت هذه الكلمة زلزالاً في الدولة فقد لامست شغاف القلوب لما فيها من حقائق يعيشها الجنود وواقعٌ على وشك الانهيار، وكانت هذه الكلمة هي القطرة التي أفاضت الكأس وعجلت بخروج البيان في البراءة من أقوال تيار القحطاني.

لقد كان الظلم في الدولة وليد سياسة مُمنهجة وليس ممارسات أفراد ينتهي الظلم بعزلها أو موتها ... إنها دولة أمنية قامت على هذا النَّفَس الأمني الذي يأخذ الجنود ـ فضلا عن غيرهم ـ بالوهم والشبهة سواء قبل التمكين أو بعده، وقناعة الحُجاج أن اجتثاث سياسة ديوان الأمن ـ مصدر سياسة الظلم ـ هو زوال الدولة، وبهذا لن ينتهي الظلم والحكم بغير ما أنزل الله في الدولة الذي هو وليد النظام الأمني الاستخباراتي الوضعي.

ضاق عبد الناصر ذرعاً وأراد المفاصلة لاسيما وقد تجاوب مع اللَّجنة الشرعية في جميع المسائل ووقف على تجهُّم القوم وتلاعبهم بدين الله، وطلب كتابة بيان فيه براءة الدولة من أقوال جماعة القحطاني التي هي مُستمسك من يكفِّر الدولة، فتمت كتابته من طرف اللجنة الشرعية، فذُكر فيه مسائل كثيرة منها: المتوقف والمتحاكم والمنتخب والطائفة الممتنعة والتسلسل والشعوب على صيغة: ومنهم ومنهم ... واستُفتح البيان بعرض أقوالٍ لأعلام الدولة كالزرقاوي والبغدادي الضابط والعدناني وغيرهم، في محاولة تقرير أن الدولة على معتقد هذا البيان منذ نشأتها!! وخُتم بالتشنيع على المعتصم التونسي وبيان أن هذا المسلك خلاف السنة في نصح أولياء الأمور، وخرج البيان بختم عبد الناصر والي الشام بعنوان: ﴿ لِّيَهْلِكَ مَنْ هَلَكَ عَنْ بَيِّنَةٍ وَيَحْيَىٰ مَنْ حَيَّ عَنْ بَيِّنَةٍ﴾ [الأنفال٤٢]، وتم تعميمه على جميع الجنود، فكان طعنة قوية لجماعة القحطاني فقدوا بعده وعيهم وتلفت به أعصابهم وجن جنونهم واستعلنوا في حربهم فكأن البيان يخاطبهم بأعيانهم بما انتشر عنهم من أقوالهم.

كان هذا البيان أوسع من بيان الفرقان وفتحت فيه مسائل كثيرة وتناولت فيه اللَّجنة شريحة كبيرة من المخالفين لها، فكلٌ منهم وجد نفسه مردودٌ عليه بِلُغَةِ التجريح والاسقاط والبراءة من قوله وشخصه، وكان البيان مجرداً من الأدلة فلم يترك في طرحه فجوة للرد والمناقشة، إذ هو ذكر أقوال المخالفين وهدمها **بنَفَسٍ سياسي** سواء في

نسبة هذا المعتقد الجديد إلى أعلام الدولة المتقدمين وهذا افتراء عليهم، أو في طرح الأقوال المخالفة لقول الدولة وردها وذكر قول الدولة فيها مع الإجمال في بعض المسائل كمسألة المتوقف التي أثبت فيها عبارة الفرقان المجملة التي سبق الإشارة إليها وهي: أن تكفير المشركين من أصول الدين الظاهرة.

وبعد انتشاره بأيام رد البنعلي على البيان برد مفصل - في ٢١ ورقة - بنفسية جريئة لم تُعهد عليه من قبل، وخاطب فيه الحُجَّاج بعبارة واضحة مفادها: على مقتضى هذا البيان سيُكفِّر آخر الدولة أولها وذكر شواهد على ذلك من عبارات ومعتقدات الأعلام المتقدمين التي يَكفُرُون بها على مقتضى هذا البيان ... لقد لعب البنعلي على وتر حساس وهو الأعلام أو الأصنام وأن البيان يهدمها وينسفها ... وللأسف كان هذا كافيا للحُجَّاج في رد المسار إلى الاعوجاج فهم مستعدين لاستعداء الناس كلها من أجل علَمٍ واحد من أعلامهم فكيف بأعلامهم كلها، كما قال العدناني لمَّا ذُكر عنده أبو عمر البغدادي فقال هذا نعادي الناس كلهم من أجله ... لم يُوظف البنعلي قلمه في رد علمي إلا في مسألة الطائفة الممتنعة حيث أن لغة العلم لا تُقنع من يريد اقناعه فاكتفى بالتشنيع على سَنَنِ **"كفَّرت آبائنا"** فكان رد الحُجَّاج ﴿ إِنَّا وَجَدۡنَآ ءَابَآءَنَا عَلَىٰٓ أُمَّةٖ وَإِنَّا عَلَىٰٓ ءَاثَٰرِهِم مُّهۡتَدُونَ ﴾[الزخرف٢٢]، ... لقد اكتفى البنعلي بكشف مقاصد كاتب البيان أنه يقول: تكفير المشركين من أصل الدين وأنه يقول: بتكفير الشعوب ... مع التدليس والتشنيع بذلك، فبُطلان ذلك عند مريدي دين القاعدة الأم معلوم بالضرورة ولا يحتاج إلى الرد عليه أو المناقشة فيه، فكان رده فتحاً لعيون الحُجَّاج على حقيقة المسار المنهجي للجنة، وكان رده صيحةً لجماعة بوكا ــ الدولة العميقة ــ بتدارك الأمر وإلا سيأكلهم المنهج الجديد.

لقد غصَّ جماعة سجن بوكا بهذا البيان ومزقه الحجي عبد الله لمَّا قرأه واستنكر أن يخرج مثل هذا البيان دون إذنه وأمره، فمزق الله ملكهم وشتت شملهم وسامهم سوء العذاب وسلط عليهم فاجرات البككي تسوقهم بالقيود والأغلال فحسبنا الله ونعم الوكيل.

وفي المقابل تجاوب الكثير من الجنود الذين أُلزموا بقراءة البيان وأصبحوا يسألون عن حكم الأعلام بل صاروا يطالبون الدولة بالتوبة وقلع البذرة الخبيثة وغرس بذور التوحيد الخالص في أرض الشام المباركة وإقامة الأمر على أصول سليمة والنجاة بهذه

السفينة ... لقد كانت أحلام الجنود عابرة اصطدمت بصخور عاتية وأمواج من الغضب الجامح التي تأكل أتباع السلف الصالح.

لقد كان البيان خطوة عرجاء في طريق مسدود، ولم تُلطِّف العبارات المطاطة والنفس السياسي الجو المشحون حيث لم يرض أيٌ من الطرفين بالتنازل أو الالتقاء في نقطة بينية... بل صُدم جماعة بوكا بما صار إليه الأمر في الشام، وقاموا مع جماعة القحطاني قومة الرجل الحازم فاستنفروا أصحاب السبق والأقدام الثقيلة والأسماء المطاعة والملأ، وكلهم مجمعون على اجتثاث المنهج الطارئ وإعادة الأمر إلى سبيله القديم ونهجه السقيم، فأجمعوا أمرهم وتواطؤا عليه وعلى رأسهم حجي عبد الله والقحطاني وأكثر الشرعيين في الدولة والقضاة والدعويين ومعهم الملأ، فألغيت اللجنتين وصار عبد الناصر تحت إمارة عبد الله لا يخرج عن شيء إلا بإذنه، وبدأوا في المكر الكبّار والغدر اللئيم، ولقد كان البغدادي على مسار الفرقان حريصاً عليه وهو الذي حسم القول له في النزاع الأول وكان مُطَّلِعا على كل ما يُكتب في اللجنة بحذافيره موافقاً عليه بخطه ودعائه بالتوفيق والسداد، وأُرسل إليه كتاب مجمل الاعتقاد وكتاب "الفرقان بين أهل الحق والبطلان" فأقره إلا نقل للقرافي المالكي قال إنه ليس على أصول أهل السنة والجماعة، وحتى البيان أُرسل إليه بعد نشره واستشكل عبارة المتوقف وطلب سلفا لها وكُتب إليه في ذلك فرد بالثناء الجميل ... واستدعى أبو زيد العراقي فجاء من عنده ووجهه مستنير وقال أبشركم أن البغدادي على معتقد أهل السنة والجماعة ... ولكنه يدور كما تدور الحية الرقطاء يريد إقامة ملك لا إقامة دين يغير دينه برؤيا رُؤيت له[1]، ولم يستطع مخالفة الملأ بل حمل لوائهم ومكنَّهم من خصومهم.

ووقعت أحداث غريبة بعد البيان فقُتل البنعلي في أوائل رمضان بقصف التحالف ولم يبقى القحطاني بعده الشهرين فلحق به، وقُتل أبو عبد البر الكويتي في سجن الأمن ـ وكان قد رد على البيان ـ وكأن أمر قتل هذه الأسماء كان مدبراً له في هذا الزمن بالتحديد، وقتلهم كان بمثابة إراقة دمائهم على أقوالهم وعقائدهم وردودهم ليزداد

[1] وهي رؤيا رأتها أم دعاء ـ زوجة البغدادي ـ ومفادها: أنها رأت البغدادي دخل على بنته ـ التي هي زوجة العدناني ـ وكان العدناني في غرفته ـ بعد مقتله ـ فاستأذن البغدادي للدخول عليه فامتنع العدناني من رؤيته وقال: إنه ضيَّع الدولة.

أتباعهم ثباتاً على دينهم ويزداد الشرخ عُمقا وسِعةَ فلا التقاء بعد ذلك إلا بإفناء الطائفتين ... لا أدري ولكن كان في داخلي إحساس لا يكاد يكذب أن أيادي خبيثة تعمل في هذا الخندق فسيفها على الجهمية وسيفُ الدولة على الغلاة ليقضي الله أمراً كان مفعولا.

وكما كان متوقعاً فبعد مقتل القحطاني مباشرةً اجتمع البغدادي بالملأ لإحداث التغيير المنشود ترسيخا لمعتقده ووفاءً لصاحبه ورفيق دربه، وبعد جلوس البغدادي مع من بقي من التيار ـ القاعدة الأم ـ اتفقوا على عقد مناظرة يتحدَّد بها مصير اللجنة، وكل شيء كان أثناء تلك الجلسة قبل المناظرة مرسوماً، وتم استدعاء أبو حفص وأبو زيد لهذا المجلس فجأةً فوجدوا أنفسهم بين حضور كبير فيهم وجهاء الدولة: البغدادي والناطق الرسمي وحجي عبد الله وعسكريها بلال عشرة وأبو أحمد العراقي وأبو محمد العسكري ـ الهاشمي ـ وكوكبة من الشرعيين على رأسهم أبو مسلم المصري وأبو محمد المصري وأبو يعقوب المقدسي وأبو رغد الجزراوي وأوس القاضي وأبو عبد الرحمان الزرقاوي وكانت كجلسة مناظرة في ثوب تصفية حسابات ... ووجد أبو حفص نفسه أمام جمهور عريض وهو ليس بطالب علم فضلاً أن يكون مناظراً وهم يعرفون هذا جيداً، وأما أبو زيد فهو رعديد أسكته بريق السيف المسلول فهو يعرف جيدا أن المهزوم مطعون وأنها كَرَّة خاسرة وحرب محسومة والكفَّة مائلة فأسكته الجُبن والخوَر عن نصرة المنهج الذي سلكه ... وطالب أبو حفص حضور أبو مرام وأبو أحمد الفرنسي فرفض الجميع ووافقوا على حضور: أبو عمر المصري نائب ديوان القضاء و أبو الفداء التونسي ولكنهم رفضوا الحضور وحضر بعد أيام عبد الناصر.

فكانوا يريدون أشخاص بعينهم من المناظرين ليمسحوا بهم بلاط السلطان وليستعرضوا العضلات أمام البغدادي فكان لهم ذلك، فتمت عشرة أيام نُوقشت فيها المسائل الشرعية وحسمت لصالح أبي مسلم وقُرر فيها ما يلي:

❁ تكفير المشركين من لوازم الدين وليس من أصوله.

❁ اسم المشرك يثبت بعد الرسالة بالوحي والسمع.

❁ الشرك الأكبر ليس على مرتبة واحدة فقد يدخل الخفاء ويعتريه التأويل في بعض أفراده. ليصححوا القول بدخول الجهالة في حقيقة الانتخاب..

❁ أسلمة الشعوب والأقوام على قولهم القديم.

اتفق الجميع على هذه المسائل وألزم به أبو حفص وأبو زيد ورجع النقاش إلى دائرة المشرك كالمنتخب الذي يجهل حقيقة الانتخاب، والتأصيل على عدم كفره ليرفعوا الكفر عن أعلامهم كالبغدادي الضابط وعقيدة بوكا في عدم تكفير المنتخبين ابتداءً.

وبعد النقاش في المسائل الشرعية وثبوت القول فيها على ما سبق تقريره شرع المجلس في مسائل سياسية كمسألة إخراج المهاجرات إلى إدلب، المشروع الذي مضى فيه عبد الناصر وقطع فيه شوطاً، واتهم أبو محمد وأبو مسلم عبد الناصر بالخيانة العظمى وتفريغ الدولة من الرعايا!!، وتم إلغاء المشروع والإبقاء على العوائل ليموتوا جوعا أو قصفا بعد ذلك، وتم على إثر ذلك عزل اللَّجنة كلِّها وتكليف أبو محمد المصري على اللجنة الشرعية بطلب من أبي مسلم وأبو يعقوب على الإفتاء وأبو رغد على ديوان الأمن - المكتب الشرعي - وأبو أحمد المغربي على ديوان الأمن وهيئة الحرب والإبقاء على حجي عبد الله على اللجنة وفيها حجي حامد وأبو عبد الرحمان التميمي.

استلم الملف المنهجي أبو محمد المصري وأبو مسلم وكُلِّفوا بإلغاء البيان وكتابة سلسلة محاضرات كتقرير لما أُتفق عليه في المناظرة، وتم سجن اللجنة السابقة كلها أبو حفص وأبو زيد وأبو مرام وأبو أحمد الفرنسي وعبد الحكيم وأبو أسماء التونسي وأبو سيف المصري - أمير ديوان الأمن سابقا - وأبو أنيسة الداغستاني وأبو بصير القرشي - من المكتب الشرعي لديوان الأمن - وأبو داوود المغربي - إداري اللجنة الشرعية المنهجية -.

لقد نزع البغدادي السيف من اليمين وأعطاه لليسار في غباء سياسي لا نظير له، ولكنه استدراج من الله لسقوط القناع وظهور منهج الدولة واستعلانه، ليهلك من هلك عن بينة ويحي من حي عن بينة، وبعد شهرين تم الإفراج على أبو زيد وأبو حفص - ثم اعتُقل بعدها وقتل - وأبو أسماء وأبو داوود المغربي وأبو سيف وبقي بعدهم أبو مرام وأبو أحمد الفرنسي وأبو بصير نحوا من الشهرين بعدها، وتم الجلوس معهم في سجون الأمن جلسة استنطاق وتقرير للمعتقد الجديد بعد أن رفض أبو محمد المصري طلب أبو مرام المناظرة واستنكر عدم استدعائه للمناظرة الأولى، وكان رد أبو محمد المصري بقوله لقد انتهى زمن المناظرات.

وتم كتابة السلسلة بحضور كل من كان في مجلس البغدادي من الشرعيين من أتباع - القاعدة الأم - فأودعوا فيها الشرك الصُراح والكفر البواح وتم إذاعتها بصوت أبو

محمد المصري بطلبٍ من البغدادي، والكل كان شاهدا عليها وظهرت بختم الحجي عبد الله شاهدين على أنفسهم بالكفر، ولما أُذيعت وفُضح القوم تملَّص منها الحُجاج ونسبوها إلى غير أنفسهم ونشروا القول بتعطيل العمل بها.

هل يُعقل أن يكون رأس "الدولة الإسلامية" بهذا التلون والازدواجية في أمر الدين والمنهج والعقيدة!! فإن كان قد قتل جماعة الحطاب بعد أن أظهر لهم الوفاق وغدر بهم بعد قبول بيعتهم وهو يعرف معتقدهم، فيستحيل أن يظهر الوفاق لوزير مفوض - أبو حفص - يُراسله بكل ما يُكتب في مسائل المنهج لِأَزيد من السنة والنصف وهو يعلم أن هذا المنهج والطرح - الجديد - مُخالف لأصول القحطاني ومدرسة القاعدة الأم، وهو الذي حسم النزاع قبل ذلك لصالح الفرقان، فكيف يرجع إلى إقرار منهج القحطاني بعد موته؟ ... هل لعدم رضا الحُجَّاج عليه وخوفه على ملكه منهم؟ أو وفاء منه للقحطاني ونصرة لأعلام الدولة الطواغيت الهلكى؟ أو للرؤيا التي رأتها زوجته أم دعاء؟، أو لاقتناعه بحجة القوم في مناظرة غير متكافئة كان فيها خصما لا حكما - بشهادة أبي حفص الجزراوي - ولم يُستدعى لها أهل الاختصاص من جماعة الغلاة؟ ... كيف يتقلب خليفة بين المنهجين مدة ملكه وفي كل مرة يُفني نفس الطائفة من الطائفتين ويُجري السيف على رؤوس الغلاة.

لقد كان ظهور البيان ثم إلغائه من مدة لا تتجاوز الثلاثة أشهر ثم إذاعة سلسلة تهاجم كاتب البيان وتصفهم بأنصاف المتعلمين وتهدم أصولهم لتبني أصولا جديدة ... سبيلاً فاضحا لمنهج الدولة ... فهل هذا الانتقال بين المنهجين هو نُزهة عابرة بين الملل لا يحتاج إلى توبة من الكفر إلى الإيمان؟، أم هي أخطاء منهجية في مسائل فرعية اضطرب فيها قول الإمام فقَتل بها أمة لمصلحة بقاء أمة؟ ... كيف يجتمع قوم في دولة يختلفون في مدة خلافتهم على حد أصل الدين؟ في كل مرة يدخلون فيه أصلا ثم يخرجونه، كيف يرفعون شعار الدولة الإسلامية وهم لم يضبطوا حد الإسلام ولا حد المسلمين ولا حد الشرك واسم المشركين؟ كيف يستنفرون "الأمة المسلمة" إلى خلافتهم مع اختلاف مللهم ثم يُصَّفُون حسابات طائفية داخل خلافتهم؟.

كيف يَقتُل خليفةٌ وزيره الذي فوضه بالملف الشرعي - أبو حفص الجزراوي - بتهمة "الغلو" ثم يفوِّض غيره على غير أصوله - أبو محمد المصري - ثم يقتله بعد ذلك ... فما هو دينه إذا ؟! ... وإذ كانت الدولة اختلفت على منهجين وبغلُها قتل علماء المنهجين وأعلامهم فما هو منهجه؟ ...

لقد كان الجنود في واد يبحثون عن وردٍ يبُلُّ غليلهم والمسائل تُصَبُّ عليهم صباً يطلبون الحق مظانه والطيران فوقهم وديوان الأمن يتخطَّفُهم ... أمَّا الحُجَّاج في واد آخر يريدون تثبيت ملكهم يسوقون الجنود إلى مواقع الموت مظانه ... فأحلام الجنود غير أحلام الحجاج، فالجنود يريدون الموت على الدين الحق والحجاج يريدون حياة الملك تحت راية إمام المشركين بغير حق.

لقد فتح بيان ﴿لِّيَهْلِكَ مَنْ هَلَكَ عَنْ بَيِّنَةٍ وَيَحْيَىٰ مَنْ حَيَّ عَنْ بَيِّنَةٍ﴾ أعينا عميا وقلوبا غلفاً وكان دليلاً للحق وإن لم يحمله كاملاً في ثناياه، فكان قائدا إليه لمن أراد الهدى فاضحاً لدين الملوك كاشفا لسبيل الردى ... ايه والله فكان بعدها ليهلك من هلك عن بينة ويحي من حي عن بينة.



الفَصْلُ الأَوَّلُ

أهم الأحداث في هذه المرحلة

لا تزال الدولة تسير نحو النزول بخطى ثابتة يدفع بها التحالف إلى البادية، فسقطت الباب آخر معاقل الدولة في ولاية حلب بعد صمودها لمدة ثلاثة أشهر، وعلى إثر ذلك زحف النظام النصيري إلى تادف ومسلمة من طرف، وزحفت قوات سوريا الديمقراطية تحت طيران التحالف من سد منبج إلى الجرنية ومنها إلى الطبقة فحصل قتال شديد على السد، وفي هذه الظروف استند عبد الناصر إلى قول أهل الاختصاص: في أن السد سينفجر لتَصدُّعٍ في جداره أحدثه القصف المركز عليه، فأذاع في الناس الهروب أو الموت، ففرَّ الناس في الرقة كأنها حُمُر مستنفرة وهاجت وماجت لا تلوِي على شيء في مشهد عظيم من مشاهد الفرار من الموت، حيث لم يبق بعد هذا البلاغ في الرقة أحدٌ يريد الحياة، فكان هذا البلاغ خطأً سياسيا قاتلا ... وضمن سلسلة من الأخطاء القاتلة أمر عبد الناصر الانسحاب من بئر قصب بعد الاستناد إلى رأي بعض العسكريين والذي تسبب في سقوط آلي للقريتين ومن في خطها، وكان الأولى الزحف إليها والتحصن بها لا الانسحاب منها ... وتم سقوط الطبقة والمنصورة في ظرف وجيز وتهيَّأت الرقة آخر حصون الدولة إلى الحصار الطويل، وأُخرجت الدواوين والمراكز الإدارية إلى دير الزور وصارت الرقة ولاية عسكرية يُبايَع فيها على الموت أو الثبات.

وفي هذا الظرف العصيب سقطت الموصل بعد قتال دام تسعة أشهر وهي آخر معاقل الدولة في العراق وكانت آخر مواجهة بين الدولة والتحالف في العراق، وكان سقوط تلعفر بعدها استسلاماً ... انتُهكت فيها الأعراض واستبيحت الديار وكان البغدادي وأبو يحيى قد منعا العوائل من الخروج فأُسرت المهاجرات في الموصل القديمة وأُرسلن سبايا إلى قُم وإيران وحسبنا الله ونعم الوكيل.

لقد كان العدو قبل إلغاء البيان يتقدم بخطى متثاقلة وكان جيش الدولة متماسكا نوعا ما، أما بعد إلغاء البيان والانقلاب عليه حدثت ربكة شديدة في صفوف الجيش ووضع السلاح المئات منهم وخاصة في مدينة دير الزور والمطار التي عقدت فيها دورات مكثفة للألوية، والتي هي في حقيقتها دورات استتابة من طرف أبو يحيى المغربي وأبو

عبد الملك الأردني وأبو عبد العزيز الجزراوي وأبو همام الشامي، فلما أُلغي البيان أحدث نفورا واسعاً في هذا القطاع فتقدم الجيش النصيري زحفا على تدمر ومنها إلى السخنة ثم مدينة دير الزور فأخذها بدون قتال، فسقط الشريط كله من المدينة إلى معدان، ثم سقط الشريط الآخر إلى المياذين بعد زحف الجيش إليها من الصحراء، وهذا كله في ظرف شهرين فقط ... ثم سقطت المياذين في ظرف أسبوع، وتقدم الحشد الشعبي العراقي إلى القائم فأخذها في عشيّتها وأعاد حدود سايكس وبيكو بين سوريا والعراق وأظنه كان في ١٥ محرم ١٤٣٩، ودخل النظام النصيري مدينة البوكمال وصمدت القرى في الشامية ما بين المياذين إلى البوكمال لمدة الشهرين، أما في الجزيرة فقد وصلت قوات سوريا الديمقراطية إلى مشارف البوحمام دون قتال ... للأسف لقد كانت البلاد بلا حُماة وكان الملاحدة يتقدمون دون قتال.

وفي هذه الفترة سقطت الرقة آخر معاقل الدولة في الشام فلم تصمد الأربعة أشهر فأُرغمت على الهدنة أو الإبادة بعد حصارها في شارع القطار وشارع الكهرباء، حيث أن التعنُّت في عقد الهدنة أدى إلى مقتل حوالي ٥٠٠ نفس أكثرها من العوائل في ليلة الموت التي سبقت عقد الهدنة والخروج بالسلاح الخفيف عبر الصحراء إلى هجين في رحلة دامت ثلاثة أيام.

سقطت العراق ولم يبق من سوريا إلا شريط في الجزيرة وراءه النهر في ظهره النظام النصيري، وأمامه الصحراء تحيط بها قوات سوريا الديمقراطية على يمينها الحشد الشعبي في حدود العراق ... أرضٌ ساقطة عسكريا والدولة لقمة سائغة تنتظر من يفترسها، ولكن التحالف تأخر في الاجهاز عليها إلى حين النظر في أمرها.

الفَصْلُ الثَّانِي

النهاية الدامية والرمق الأخير

بعد تدهور الأوضاع حيث لم يأت الإصلاح المنشود أُكله بل كان نقمة عليها، وقد ذاقت الدولة لعنات المنهج الجديد القديم، فصارت اللجنة الشرعية مطلوبة للغدر بعد مقتل أبو مسلم المصري في قصف مسيرة وتم سجن أبو يعقوب المقدسي بتهمة العمالة وفرار أبو محمد المصري واختفائه بعد تسريب أرشيف اللجنة ونشر غسيل الدولة على صفحات التلغرام، وتم إلغاء السلسلة فبقيت الدولة بلا عقيدة ولا منهج لا يجرؤ أحد الكلام في هذه المسائل، ولا يزال البقايا من جماعة القحطاني على ما بقي من ولايات، فعلى المكتب الشرعي للجيش أبو الحارث النجدي أوس وعلى المظالم أبو المنذر المدني وعلى قضاء الجند أبو حفص الهمداني اليمني وعلى المكتب الشرعي للجند أبو رغد الجزراوي الجزار ـ لعنة الله عليه ـ فهو الذي يأمر بالعذاب والنكال الشديد في ديوان الشرك . الأمن .

وتم في هذه الفترة إخراج كتائب جيش الصديق إلى البادية السورية عليهم أبو العمرين فهلكوا في صحرائها ... ولما عرف الحُجَّاج انتهاء الخُرافة وعلموا الزوال يقينا تم إخراج بني جنسهم العراقيين ونسائهم إلى المكان الذي يختارونه ويأمنون فيه لتشكيل ولايات أمنية مع توفير خط التهريب ودفاتر الدولارات، ليبقى المهاجرون ينتظرون الموت في الصحراء.

ذهب أغلب العراقيون والسوريون إلى عشائرهم وبقي المهاجرون بعوائلهم وأولادهم من بيت إلى بيت ومن قرية إلى قرية، فسقطت البوحمام والبحرة وحوصرت غرانيج ثم سقطت فانحازوا إلى هجين وما وراءها، وفي هذه الفترة وبعد صولات على الأكراد تم عقد هدنة مع أمريكا دامت ستة أشهر كانت بدايتها في أوائل ٢٠١٨ قام فيها ديوان الأمن بأكبر حملة على من يسميهم بالغلاة الجدد فقتلت الدولة منهم المئات في أكبر مجزرة نُفِّذت صبرا غدراً في تاريخ الجهاد المعاصر ... وجاءت اللعنة بعدها وسُنَّة الاستئصال التي تجرى على الجبابرة والظلمة وبدأ الزحف من هجين إلى صحراء الباغوز وفي كل

مرحلة يستسلم من الجنود أفراداً وجماعات إلى خطوط رباط الأكراد فراراً من حصار الموت.

لقد بقي فقراء المهاجرين الذين لا يستطيعون حيلة ولا يهتدون سبيلا ليس عندهم ما يسدُّون به بطونهم فكيف لهم بآلاف الدولارات التي يخرجون بها من الموت إلى الحياة ... لم يبق أحد مُقتنع بالدولة ومن قعد أقعده قلة ذات اليد أو خيار الموت على الأسر والفتنة في الدين في الجاهلية الجهلاء، أما أصحاب الولاء للدولة من الجنس العراقي فقد تمَّ تأمينهم وإخراجهم ... وبقي فقراء المهاجرين في صحراء بلا ماء يأكلون الكلأ ويتوسدون التراب ما عندهم ما يدفعون به شر الجوع ونكال الكفار، وتكفي E10 أو C130 واحدة لاصطياد الجميع ولكن الكفار كانوا أشد حقداً حين ألقوا عليهم المواد الحارقة والكيمياويات الممنوعة على بني الإنسان الغربي ليموت المئات حرقاً ويستسلم من نجى ومن بقي في هذه الصحراء ... لقد كانت تلك المناظر تُبكي العيون الحاقدة على الدولة فضلا عن غيرها وحسبنا الله ونعم الوكيل.

مَن قدَّم هؤلاء إلى حتفهم وأسلمهم إلى مصرعهم وتركهم ومصيرهم؟ مَن ولَّى ظهره وهو مسؤول عنهم وفرَّ بجلدته طلبا للنجاة دونهم؟ مَن شحَّ بماله عنهم؟ مَن استنفرهم وتركهم؟ مَن دعاهم للنصرة وخذلهم؟ ... ألا لعنة الله على البغدادي وزمرته.

وفي تلك الظروف الصعبة والملك يتهاوى والأرض تُطوى لا يزال السيف الغادر يجري على عباد الله وشعار دولتهم لا نجوتم إذ هلكنا ... وفي هذه الصحراء تم تقديم أبو محمد المصري وأبو يعقوب المقدسي وأبو حفص الهمداني إلى سيف الغدر فتلوَّث سيفهم بدماء الطوائف ... بل لقد كان الهاربون يُرَدُّون من الصحراء ليتمَّ قتلهم ورميهم في تلك الصحراء.

ومع اختلال موازين القوى وانحسار الدولة والضعف الذي مرت به واتساع دائرة تكفير الدولة من جنودها، لم تحدث تلك المفسدة التي من أجلها قَتلت الآلاف من هذه الطائفة خلال هذه السنوات وهي حذر الخروج أو الانقلاب عليها، وتالله لم يكن أحد من الرؤوس يريد قتال الدولة ولا الخروج عليها إلا النادر، بل كلهم أراد ترك هذه الجماعة والخروج منها والفرار بالدين، إذْ في البقاء فيها من الفتنة على الدين أشد من فتنة بعض الطواغيت.

وإن كانت قد وقعت بعض الصدامات أثناء مداهمة الأمن لبعض البيوت فغالبا ما يقع القتال إلى الموت ولا تسليم، فأن تُقتَل مقبلا وتَدفع الصائل الغادر مقاتلاً أفضل ألف مرة من أن تُقتل بطلقة الغدر على القفى وتُلقى في تلك الصحراء وأنت مُوثقاً إلى الوراء، وقُتل في هذه المواجهات قسورة الليبي وأبو صفية التونسي وأبو همام الرقاوي ـ الوالي ـ ومعهم غيرهم في قتال دام يومين في قرية الشعفة و قتل غيرهم من العجم الكثير.

لم يبق إلا طريقين الموت أو الاستسلام ... وليس الخبر كالمعاينة فإن المقام بين الجوع والعطش تنتظر طلقة النهاية مقامٌ عظيم وسبحان القائل: ﴿قُلِ ٱللَّهُمَّ مَٰلِكَ ٱلۡمُلۡكِ تُؤۡتِي ٱلۡمُلۡكَ مَن تَشَآءُ وَتَنزِعُ ٱلۡمُلۡكَ مِمَّن تَشَآءُ وَتُعِزُّ مَن تَشَآءُ وَتُذِلُّ مَن تَشَآءُۖ بِيَدِكَ ٱلۡخَيۡرُۖ إِنَّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٞ﴾[آل عمران٢٦]، فسبحان مقلب الحال من العزة والمنعة إلى الذلة والمسكنة ... أن تنتظر من عدوك أن يُلقِيَ عليك ما كنت ترميه بيدك في المزبلة ... أن يقول لك عدوك استسلم أعطيك ماء وطعام ... أن يرمي عليك المنشورات مكتوب فيها: **"اسألوا المهاجرين أين ذهبت أموال الدولة الإسلامية"** ... نعم إن المهاجرين يعلمون أين ذهبت أموال الدولة ومع من ذهبت ... إنهم يعرفون جيداً من تركهم والموت وقد خرجوا لنصرته ... إنهم يعلمون من سَلَّمَهُم إلى عدوِّهم في صحراء الباغوز ... يعلمون من خذلهم وشردهم ... يعلمون خاذل المهاجرين وغادر الموحدين وقاتل المسلمين.

خاتمة

لقد انتهت الدولة وجرت عليها السُنَن واستيقظ أنصارها من أضغاث حلم قصير ﴿ وَمَا ظَلَمَهُمُ ٱللَّهُ وَلَٰكِن كَانُوٓاْ أَنفُسَهُمۡ يَظۡلِمُونَ ﴾[النحل ٣٣]، ولم تنتهِ حتى أظهر الله دينها ومنهجها بواحا، وأقام اللهُ الحجج على جندها بظهور العقيدة التي تقاتل عليها في سلاسل تُذاع جهارا ... لقد كان المخاض عسير والفصام مرير والفتنة صماء والمحنة دهماء والصراع عظيم والبلاء جسيم.

لقد انتهت الدولة بسيوف أهل القرى والديار الذين عاشوا تحت ظلال الخلافة ... انتهت بسيوف الرعايا الذين طعنوا الدولة في صدرها وكانوا وقود حرب البي كي علىها ... العوام الذين استُنفروا تِباعا لنزالها فأجهزوا عليها حتى فنائها... وهم أنفسهم الذين كانوا في الأمس القريب بين عشية وضحاها رعايا "لأمير المؤمنين" فصاروا جنوداً لأمير الملحدين، نعم لقد انتهت الخلافة بأيدي رعاياها وسيوف أهل ديارها الذين لفظوها كفاحاً ونبذوها قتالاً جزاءً وفاقاً نصرة الكافرين وأسلمة المشركين.

حقاً لقد انتهت الدولة بسيوف الرعايا لا بسيوف "الغلاة" ـ الذين تسميهم الدولة خوارج ـ لقد كذب الحُجَّاج وصدق الموحدون فقد كانوا أنفذ بصيرة وأعلم وأحكم ... وكان الحُجَّاج أظلم وأطغى حين صحَّحوا دين المشركين فاستُؤصلوا بِسنانهم ... وقد قَتلوا ونكَّلوا بأهل التوحيد فأدركتهم لعناتهم: ﴿ وَمَا نَقَمُواْ مِنۡهُمۡ إِلَّآ أَن يُؤۡمِنُواْ بِٱللَّهِ ٱلۡعَزِيزِ ٱلۡحَمِيدِ ﴾[البروج٨].

إنها دعوى عظيمة ونسبة جليلة قولهم "قاعدة الجهاد" أو قولهم "خلافةٌ على منهاج النبوة" وفي حقيقة الأمر هي طعن في منهاج النبوة وافتراءٌ عليه.

إنه شعار كاذب لتنفق بضاعة كاسدة على جموع الطيبين الغافلين...

إنه بريقٌ من شعار قديم آفل تَمسَّحَ به خلوفٌ بين جموع الجاهليين...

إنه فجر كاذب بل ظلام دامس...

إنها أسماء مملكة في غير موضعها وألقاب مدح جانبت موضعها...

إنها لافتةٌ مُضلِّلة ومُلكٌ غضون ... هي راية تنضح بالكفر البواح والشرك الصراح...

إنها باقية في زُبالة التاريخ على أنها خُرافة مضت في حلم عابرٍ قصير...

إنها سرابٌ في صحراء الأنبار أو جبال خرسان هلك في إثره جموعٌ من العطشى في كمين أمين...

إنه استخلافُ الكفر بعد ظلام بهيم ليستمرَّ الضياع تحت عمامة سوداء...

إنها أيادي غادرة تُستأمن على قلوب مقبلة لتعانق الموت أرسالا قبل فطامها عن الجاهلية...

إنها لم تكن يوماً على شيء ولكن الضباب الكثيف حال دون رؤية حقيقة الراية بل قُطَّاع الطريق حجبوا النظر بأصول صحيحة وفهوم سليمة...

إنها صورة مشوهة ونسخة غير أصلية وظَّفها الغرب لتجميع أنصار هذا المشروع وإبادتهم في مهدهم واستباقهم إلى سلوك سواء السبيل ...

إنها منهاج على خلاف النبوَّة لا خلافة على منهاج النبوَّة، إنها قاعدة القتال تحت رايات الجاهلية...

إنه يَعِزُ عليَّ كتابة هذه الكلمات، ولكن لم يعد هناك مجال إلا الإنصاف.

لقد توالت الضربات والنكبات على التيار الجهادي، وكثُر فيه الانقسام والانشطار وتباينت فيه الآراء والتوجُهات وتنافرت القلوب وتباعدت الرؤى وسقطت الأقنعة عن كثير من الرموز، وللأسف لا يزال الكثير من المناصرين يغضُّون الطرف عن الحقائق التي تأتيهم من هنا وهناك، ويصمُّون آذانهم عن الشهادات والروايات التي تقصُّ عليهم الحق وتروي لهم الواقع الأليم وتُبيُّن لهم واضح السبيل، ويُعرِّضُون عن الوقوف على أصل الداء - الملف الشرعي - ويصمُّون آذانهم عن سماع صوت الناصحين.

لقد آن الوقت لإعادة النظر في تلك التُهم المعلَّبة وتشريحها والنظر في حقيقتها، التُهم التي تُصَنَّع في مصانع الفِرى والبُهتان التي يُرمى بها أهل الحق والإيمان في هذا الزمان كرميهم "بالغلو" و"الخروج"، نفسُ التُهم التي رُمي بها أهل الإصلاح من قديم الزمان، قَالَ أَبُو عَبْدِ اللَّهِ: بَلَغَنِي أَنَّ أَبَا خَالِدٍ، وَمُوسَى بْنَ مَنْصُورٍ وَغَيْرَهُمْ، يَجْلِسُونَ فِي ذَلِكَ الْجَانِبِ، فَيَعِيبُونَ قَوْلَنَا، وَيَدْعُونَ إِلَى هَذَا الْقَوْلِ، أَنْ لَا يُقَالَ: مَخْلُوقٌ وَلَا غَيْرُ مَخْلُوقٍ، وَيَعِيبُونَ مَنْ يَكْفُرْ، **وَيَزْعُمُونَ أَنَّا نَقُولُ بِقَوْلِ الْخَوَارِجُ "**، ثُمَّ تَبَسَّمَ أَبُو عَبْدِ

اللَّـهِ كَالْمُغْتَـاظِ، ثُـمَّ قَـالَ: «هَـؤُلَاءِ قَـوْمُ سُـوءٍ»[1]، ولـذلك وجـب على المتجـرِّد أن يجتهـد في تقصِّي الحقـائق ويقـف عليها بنفسـه، في زمـان كثرت فيـه الأهـواء والكـذب والبهتـان وتقليـب الأمـور، وينبغـي على المتجـرِّد الباحـث على الحـق أنَّ يحتـاط لدينـه ويتحـرَّى الإنصـاف في الحكـم على الأشخاص والـدعوات حتى لا يكـون إمَّعـة يسـير خلـف الحمير وينهـق بنهـيقهم، ويكـــون مصـــيره كمـــا قـــال تعـــالى:﴿ فَقَالَ ٱلضُّعَفَـٰٓؤُاْ لِلَّذِينَ ٱسۡتَكۡبَرُوٓاْ إِنَّا كُنَّا لَكُمۡ تَبَعٗا فَهَلۡ أَنتُم مُّغۡنُونَ عَنَّا مِنۡ عَذَابِ ٱللَّهِ مِن شَيۡءٖۚ قَالُواْ لَوۡ هَدَىٰنَا ٱللَّهُ لَهَدَيۡنَـٰكُمۡ ﴾[إبـــــراهيم٢١]، قيـــــل لعمـرو بـن العـاص: " مـا أبطـأ بـك عـن الإسـلام، وأنـت أنـت في عقلـك؟ " قـال: «إنـا كنـا مـع قـوم لهـم علينـا تقـدم وسـن، تـوازي حلـومهم الجبـال، مـا سـلكوا فجـا فتبعنـاهم إلا وجـدناه سـهلاً، فلمـا أنكـروا على النبي ﷺ، أنكرنـا معهـم، **ولـم نفكـر في أمرنـا، وقلـدناهم**. فلمـا ذهبوا وصار الأمر إلينا، نظرنا في أمر النبي ﷺ، فإذا الأمر بيّن فوقع في قلبي الإسلام»[2].

لقـد خـرج مـن الدولـة خيرٌ كثير وفي مقابـل ذلـك خـرج منهـا شـرٌ كبير، قـومٌ نكَلـوا على أعقـابهم فتركـوا السـلاح ودرب الكفـاح والتزمـوا أصـولاً فاسـدة وأهـواءً كاسـدة فصـار بهـم الحـال إلى طوائـف شـتى، والجـامع المشـترك في هـذه الـدعوات المتهافتـة أنهـم جميعـاً قعـدوا عـن القتـال ونكلـوا عـن النِّزال، فـلا تجـد في دعـواتهم مـن ينـادي إلى إقامـة ديـن اللـه في الأرض وتجديـد درب الجهـاد والكفـاح ويسـير على هـذا الطريـق، لأنهـم ليسـوا رجـال حتى يُصـادِموا الطواغيـت في سـاحات النِّـزال، بـل دعـواتهم قائمـة على المهادنـة والتعـايش مـع الواقـع الجـاهلي وتصـحيح القـدر الـذي يسـتطيعون بـه الجلـوس في ديـار الكفـر بأمـان ... ومـن بقـي ممـن يحمـل رايـة النزال ـ كالقاعـدة والدولـة ـ على عـوج كبير وانحـراف شـديد عـن الجادة وصحيح المسير.

لقـد بقـي جمهـور الخـارجين مـن الدولـة مـن المهـاجرين والأنصـار وراء الجـدران ولـم يفلـت مـنهم إلا الشـريد والنَّـزر اليسـير وأكثـرهم فُـتن بـدنيا الشـهوات أو جرفتـه سـيول الشبهات ـ إلا من رحـم اللـه تعـالى ـ ومـن عـرف ديـن الإسـلام كمـا أُنـزل على محمـد ﷺ ونظـر في حـال النـاس في هـذا الزمـان علـم يقينـاً أن الواقـع يحتـاج إلى تجديـد لأمـر الـدين والانطـلاق الصـحيح نحـو الهـدف المنشـود للوصـول إلى الأمـل المحمـود، وتحتـاج الطريـق إلى جهـود الصـالحين وتكـاتف المصـلحين، وإنـا نأمـل غايـة الأمـل أن تسـير القاعـدة الأمـ والدولـة على المسـار الصـحيح وأن يتوبـوا إلى اللـه مـن تلـك المقـالات والمكفـرات والبـدع

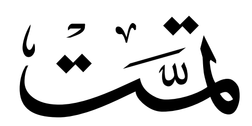
[1] السنة للخلال ١٣٧/٥

[2] نسب قريش لأبي عبد الله الزبيري ٤١٠/١

والضلالات و يبرؤ من أهلها وأعلامهم الضُلأّل ومن هذه الشعوب المشركة بالله تعالى، ويستقيموا على الإسلام الصحيح... اللهم إليك نشكو ضعف قوتنا وقلة حيلتنا وهواننا على الناس ... اللهم هيئ لنا من أمرنا رشدا واجمع كلمتنا على التوحيد ... اللهم أفرغ علينا صبرا وتوفنا مسلمين وألحقنا بالصالحين.

﴿فَسَتَذۡكُرُونَ مَآ أَقُولُ لَكُمۡۚ وَأُفَوِّضُ أَمۡرِيٓ إِلَى ٱللَّهِۚ إِنَّ ٱللَّهَ بَصِيرُۢ بِٱلۡعِبَادِ﴾[غافر٤٤]

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيدنا محمد ﷺ وعلى آله وصحبه والتابعين.



ملحق

نونية الغريب

نظم

محمد بن سعيد الأندلسي

عفا اللّٰه عنه

الفصل الأول

الحَمْدُ للهِ العَظيمِ شَأْنَهُ * ثُمَّ الصَلاَةُ علَى النَّبي العَدنَانِ
والآلِ والصَّحْبِ الكِرامِ كُلِّهِم * والسَّالِكينَ لِدَربِهِمْ بِبيَانِ
وبَعْدُ ذِي نُونِيَةٌ حَرَّرْتُهَا * أبيَاتُهَا فِي عَقْدِنَا مِئَتَانِ
أو قَدْ يَزِيدُ فَوْقَ ذَا العَدِّ لَهَا * فِي نَهْجِنَا والقَولِ ذِي الفُرْقَانِ
وأَستَعينُ اللهَ فِي نَظْمِي لَهَا * قَوَلاً يُزِيلُ اللَبْسَ للحَيرَانِ
يَا رَبِّ بَارِكْ بِذْرَةً فِي أَصْلِهَا * نَفْعاً يَفِيضُ مُثْمِرَ الأَفْنَانِ
يَا سَائِلِي عَنْ مَنْهَجِي وعَقِيدَتِي * تَرْجُوا النَّجَاة وتَبْتَغِي الرِّضْوانِ
إنَّ النَّجَاةَ اليَومَ عَزَّ مَنَالُها * وقَلَّ مَنْ يَنْجُوا مِنَ الثَّقَلانِ
فِي هَذِه الأَرضِ التِي قَدْ أَظْلَمَت * مِنْ نُورِ دِينِ الوَاحِدِ الدَيَّانِ
فَضَاقَ فِي الأُفُقِ الوَسِيعِ مَعَاشُهَا * بَينَ البَهَائِمِ زُمْرَةِ الشَيْطَانِ
قَد استَحالَت جُمْلَةً عَنْ دِينِهَا * كالأَنْدَلُسْ فِي غَابِرِ الأَزمَانِ
وتَآكَلَت في نُفُوسِها الفِطَرُ التِي * فُطِرتْ عَليهَا سَائِرُ الوِلدَانِ
فَغَدَت إلى الشِركِ الصَّرِيحِ أَصَالةً * وَرِثُوهُ دِيناً فِي ثَرى الأَبَوانِ
فَالجِيلُ يَنشأ في المَدارِسِ نَشأةً * عَلى غَيرِ دِينِ المَنْهَجِ الرَبَّانِ
رَضِعُوا مِنَ الثَّدي الخَبيثِ ثَمَالَةً * يَشتَدُّ عُودٌ فِي ثَرَى الكُفران
عُودٌ يُقاتِلُ في سَبَيلِ وَطْنِهِ * كَي يَحيا فِيه مُنعَّماً بِأَمانِ
يَذُودُ عَن دَارِ البَوارِ شَجَاعَةً * كَي يَبق مُلْكاً شَامِخَ البُنيانِ
الدارُ تُرفَعُ فِي ثَراها رَايَةٌ * وَثَنٌ يُعظَّمُ فِيهَا كالصُلبانِ
ومَعالِمُ الطُغيانِ في جَنبَاتِها * وصُروحُ شركٍ تَبْدُوا للأَعيَانِ
قَد قَامَها الشَّعبُ الذي في دِينهِ * الحُكْمُ لِلجمهُور حُكْماً دَانِ
وشَرائِعُ الكُفْرَان هُم مَن صَاغَهَا * في البَرلَمانِ شُعبَةَ الطُغيَانِ
فَتنوبُ شَعباً كَامِلاً فِي سَنِّهَا * حَتى يَكُونَ الحُكمُ للأَوثَانِ
والشَّعبُ طَوعاً يَنْتَخِبْ في مَحْفَلِ * فَالقولُ قَولُ الشَّعبِ لا قَولانِ
لِيُنصِّبَ الطَّاغُوتَ في مُلكٍ لَهُ * يَقضِي بِشِرْعَةِ شُعبَةِ الكُفرانِ
حَتَّى إذا حادَ المُلوكُ فِي حُكْمِهِمْ * عَن نَهْجِهِمْ فالقَولُ قولٌ ثانِ
فَتسيرُ جَمْهَرةُ الشُّعوبُ في ثَورةٍ * فِي خَلْعِ حَاكِمِهَا الذي هُو جانِ
فَيُنَصِّبُوا مَن يَرتَضِيهِ غُثَاؤُهم * ويُزِيلُوا مُلْكاً رَاسِخَ الأَرْكَانِ
فَهُم الذينَ يُقَرِّرُونَ أَصَالةً * دِينَ الُملوكِ وحَاكِمَ الأَعيانِ

شَــعْبُ النَّذَالــةِ يَنْسَــلِخْ عَــنْ فِطْــرَةٍ ... يَحْظَــى بِمــا قَــدْ خُصَّــهُ الرَحْمــانِ
فِــي دِيِــنِ دِيمُقْــرَاطَ هَــذا سَــبِيلُهُ ... حُكْــمُ الغُثَــاءِ فِــي سَــائِرِ الأَوْطَــانِ
دَيــنُ النَصْــارَى قَــدْ حَــذْوُا فِي حَــذْوِهِ ... تَقْلَيِــدُهُم فــي حُكْــمِ ذَا السُــلْطانِ
فَاتَّخَــذُوا الأَرْبَــابَ فَــي تَشْــرِيعِهِمْ ... مَنْعــاً وَفَرْضــاً سُــنَّةَ الرُهْبَــانِ
ورذَائِــلُ الخَلْــقِ هُــمُ, حُكَّامُهَــا ... سُــفَهَاءُ قَــوْمٍ زُمــرَةَ النِّســوانِ
قَــدْ بَــدَّلُو دِيــنَ النَّبِــيِّ مُحَمَــدٍ ... وَخَيِــرِ هَــدْيِ المُصْــطَفَى العَــدْنَانِ
بِزُبَالَــةِ الأَرَاءِ وَالأَذْوَاقِ فِــي ... لَــذَاتِ حَــاذِقِ تِرْكَــةِ اليُونَــانِ
تَجْــرِي عَلَــى أَعْرَاضِــهم ودِمَــائِهِم ... قَــد عُبِّــدُوا لِلخَلْــقِ وَالشَــيِطَانِ
تَجْــرِي عَلَــى أَمْــوالِهِم وعُقُــودِهِم ... أَوضَــاعُها تَسْــرِي بِــلا نُكْــرانِ
وَمحَــاكِمُ الطَــاغوتِ عَــالِي بِنَاؤُهَــا ... وَوُفُودُهَــا تَمْضِــي بِــلا نُقَصَــانِ
وَميِزَانُهَــا بَخْــسٌ عَلَــى رُوَّادِهَــا ... قَانُونُهَــا حَيــفٌ عَلَــى الإِنْسَــانِ
عَجَبًــا لَهُــم كَيــفَ رَضُــوُا لِحَيَــاتِهِم ... تَسُوُسُــهَا أَهْــوَاءُ ذِي الخُــذْلانِ
فَــدَانُوا لِلمَخْلُــوقِ طَوعــاً مِــنْهُمُ ... وَتَنكَّــرُوا مِــن شِــرْعَةِ الــدَيَّانِ
قَــد أَسْــلَمُوا لِعَبِيــدِ سُــوءٍ مِــثلُهُم ... وَانْقَــادُوا لِطَّــاغُوتِ دُونَ سِــنَانِ
قَــدْ أُدْخَلَــت فِــي دِينــهِ أَفْــوَاجُهُم ... فَالــدِّينُ حُكْــمُ الُملْــكِ والسُّــلْطانِ
وطَاعــةٌ لِنظَــامِ حُكُــمٍ وَضْــعَهُ ... أَرْبَــابُهُمْ لا خَــالِقَ الأَكْــوَانِ
فَهُــوَ اتِبَــاعُ الأَمْــرِ وَالنَّهــي لِمــنْ ... دَانَــتْ لَــهُ بِــالقَهْرِ ذِي القِطْعَــانِ
فَمَــنِ اسْــتَقَامَ خُضْــوُعهُ فــي دَارِهِــم ... وَانْقَــادَ مُتَّبِعــاً هُمَــا مِــثْلاَنِ
فَهُمَــا فِــي دِيِــنٍ غَيِــرِ دِيــنِ اللــهِ مَــا ... دَخَلُــوهُ أَصْــلاً إِلا فِــي الأَذْهَــانِ
فــي ذِهْــنِ جَهْــمٍ قَــدْ صَــفَا إِســلاَمُهُم ... أَحُبَــارُ سُــوءٍ نَعْــلَ ذَا السُّــلْطَانِ
فَفِــي دِينِــهِ لا يَكْفُــرُوا بِخُضُــوعِهِم ... قَــدْ أَخْرَجُــوا العَمَــلَ مِــنَ الإِيمِــانِ
طَوَاغِيــتُ عِلْــمٍ تُقْتَفِــى آثَــارَهُم ... فَتَنُــوا الأَنَــامَ فِــي آخِــرِ الأَزْمَــانِ
قَــدْ حَرَّفُــوه جُمْلَــةً وَتَزَيَّنُــوا ... بِبَهْــرَجِ الأَقَــوَالِ والأَلحَــانِ
خَــاطُوُه دِينــاً تَرْتَضِــيِهِ مُلــوكُهُم ... قَــدْ خَــانُوا عَهْــدَ الوَاحِــدِ الــدَيَّانِ
قَطَعُــوا الطَّرِيــقَ عَــنْ الهُــدَاةِ جَهْــرَةً ... سَــارُوا بِهِــم فِــي مَسَــالِكِ الحَيْــرَانِ
تَــاهُوا وَقَــد حَسِــبُوا النَّجَــاةَ في غَــرْزِهِمْ ... طَوعــاً لِقَــولِهِم, بــلا برهــان
إنْ قُلْــتَ قَــالَ شَــيخُنا أَنْعِــمْ بِــهِ ... قَــالَ إِمــامُ العَصــرِ كَــالعُمَرَانِ

إنْ قَالَ لا تَسأَلْ لَهُ عَنْ أَصلِهِ ... تَسليمُنَا مِنْ أَفضَلِ القُربَانِ
قَدْ نَصَّبُوهُ إِلاَهَهُم لَو يَعلَمُوا ... لَكِنَّهُم قَد أُطْمِسُوا البَصَرانِ
قَد غَشَّهُم فِي أَصلِ دِينِ الأَنْبِيَاء ... فَدَانُوا غَيرَ مِلَّةِ الخِلانِ
لا يُعْذَرُونَ بِجهلِهِم وضَلالِهِم ... فَالعُذْرُ مُمتَنِعٌ لِذِي الأَديَانِ
كَذَاكَ مَن قَدْ أَسلَمَ أَجنَاسَهُم ... مَا حَقَّقَ الإِسلاَمَ والإِيمَانِ
فَصَرِيحُ دِينِ الأَنبِيَاءِ بَرَاءَةٌ ... مِنْ شِرْكِ عَابِدِهِم مَعَ كُفْرَانِ
وتَلاَزُمٌ بَينَ البَرَاءةِ مِنهُم ... وَبَرَاءةٌ مِنْ شِرْكِهِم سَيَّانِ
لا يَستَقِيمُ الدِينُ إلا بِأَصلِها ... مَا قَامَ حَتَّى قَامَتِ القُضبَانِ
هَذا الذِي قَد أخرَجُوهُ دُعَاتُنَا ... مِن أَصلِ دِينِ فَاطِرِ الأَكوَانِ
فَأَسلَمُوا الأَقوَامَ فِي دَارِ الخَنَا ... وَصَحَّحُوهُ لِسَاكِنِ العُمْرَانِ
إِخوانُهُم عُبَّادُ مَن وَسِدَ الثَّرَى ... العَاكِفِينَ عَليهَا طُولَ زَمَانِ
الرَاقِصِينَ بِآلِيَّاتِ نِسَائِهِم ... والطَائِفِينَ عَلَى قَفَا الجُدْرَانِ
الخَاشِعِينَ فِي حَضرَةِ أَموَاتِهِم ... العَائِذِينَ بِهِم مِنَ الأَحزَانِ
الوَارِثِينَ لِنِحلَةِ أَسلاَفِهِم ... الُمقْتَفِينَ آثَارَهُمْ بِبَيَانِ
مَنْ عَمرُوا فَوقَ القُبُورِ مَسَاجِداً ... شِرَارُ خَلْقِ وِصْفَةَ العَدنَانِ
شِركُ القُبُورِ والقُصُورِ بَينَهُم ... أَشَدُّ مِن شِرْكِ بَنِي نَصْرَانِ
لَمْ يَترُكُوا بَاباً مِنَ الكُفْرِ ولاَ ... جُمَلاً مِنَ الفِسْقِ ولاَ العِصيَانِ
بَلْ أَحدَثُوا مِنْ هَذه الأَوضَاعِ مَنْ ... مَا لَمْ يَكُنْ فِي سَالِفِ الأَزمَانِ
فَأَدْخَلُوا الكُفْرَ فِي جُلِّ عُقُودِهِم ... وأَلْزَمُوا ذَاكَ فِي كُلِ مَكَانِ
يَا وَحْشَ مَن قَدْ وحَّدَ المَولَى وَمَنْ ... قَدْ حَقَّقَ الكُفْرَ بِذِي الأَوْثَانِ
لا يَسْلَمُ الدِينُ لَهُ إلا إِذَا ... قَدْ فَاصَلَ الأَقْوَامَ والعُمْرَانِ
شَغَفُ الجِبَالِ يَكُونُ ذَاكَ مَلاَذُهُ ... يَفِرُّ مِنْ سُفَهَاءُ ذِي البُلْدَانِ
يَرْقَى لِذَاكَ السَفحِ يَخْلُوا بِطَاعَةٍ ... حَتَّى يُلاَقِي رَبَّهُ المَنَّانِ
مَنْ لَم يُفَارِقْ قَومَهُ فَليَحْذَرِ ... مِنْ خُلْطَةِ الكُفَّارِ وَالبُطلاَنِ
يَضِيعُ دِينٌ فِي مَودَّةِ مُشْرِكٍ ... يَذُوبُ صَلْبٌ فِي خُطَى الشَيطَانِ
طَاغُوتُ ذَا العَصرِ هُوَ أَقوَامُنَا ... فَاجْتَنِبُوهُ إِخْوَةَ الإِيمَانِ
يُنَازِعُونَ الرَبَّ فَي مَا اخْتَصَّهُ ... وَتَفَرَّدُوا بِالحُكْمِ والسُلْطَانِ
فَالحُكْمُ إلا لِلشُّعُوب مَقَالُهُم ... يُضَاهِئُونَ بِهِ بَنِي نَصْرَانِ

فَالحُكْمُ لِلمَولَى الإلَهِ كُلَّه   وإنْ جَحَد ذَاكَ بَنِي عَلْمَانِ

وَبَرَاءَةٌ مِنْ قَومِنَا تَوحِيدُنَا   فَاعْضُضْ عَليهِ يَا أخَا العِرفَانِ

مُتَرَدِّدٌ فِي ذَاكَ أو مُتَوَقِفٌ   يُلْحَقْ بِذَاكَ القَومِ فِي كُفْرَانِ

وكُلُّ فَرْدٍ مِنْهم، يُلْحَقْ بِهِم   فَاحْكُمْ بِهَذا الحُكْمِ دُونَ تَوَانِ

غَيرَ الذِي قَدْ أظهَرَ إسْلاَمَهُ   وبَرَاءَةٌ مِنْ قَومِهِ بِبَيَانِ

فَهُوَ الحَنِيفُ المُقْتَدِي بِإمَامِهِ   المُهْتَدِي والمُسْلِمُ الحَقَّانِ

أَهْلُ الوِلاَيَةِ نُصْرَةً ومَحَبَةً   أَهلُ الإِخَاءِ وشِيعَةَ الإِحْسَانِ

هَذا كِتَابُ اللِه يَنْطِقُ بَينَنَا   بِأَفْصَحِ التِّبيَانِ والبُرْهَانِ

فَكُلُّ مَا قَدْ قَصَّهُ فُرْقَانُنَا   عَنْ مِثلِ أَقوامٍ لَنا صِنْوَانِ

لا فَرْقَ بَينَ قَومِنَا أو قَوْمِهِم   إلا بِدَعوَى دُونَ ذَا بُرهَانِ

إنَّ الدَعَاوَى لا تُصَحِّحُ دَعوَةً   إلا بِعِلْمٍ جَازِمِ التِبيَانِ

فَأَصلُ دِينِ الأَنبِيَاءِ بَرَاءَةٌ   يَتَمَايَزُ فِي إِثْرِهَا الدِينَانِ

مَا كَانَ فِي ذَاكَ الزَمَانِ دِينُهُم   فَبِهِ النَّجَاةُ فِي آخِرِ الأَزْمَانِ

يَا غُرْبَةً فِي الدِينِ بَينَ قَومِنَا   فَالْخُلْفُ فِي تَعرِيفِ ذَا الإِيمَانِ

نَدْعُوهُم، لصَحِيحِ دِينِ الأنبِيَاء   يَدْعُونَنَا حُدَثَاءَ ذَا الأَسْنَانِ

فَخَوارِجٌ لَسنَا نَقُولُ بِقولِهِم   أَهلُ الكَبَائِرِ هُم ذَو، عِصيَّانِ

أَمَا الصَّحَابَةُ هُمْ تِيجَانُ رُؤُوسِنَا   فِي إثرِهِم نَقْفُوا إلى الرِضوَانِ

قَدْ كَفَّرَ الصَّحْبُ الكِرَامُ دِيارَ مَنْ؟   المَانِعِينَ شَرِيعَةَ المَنَّانِ

فَكيفَ مَنْ قدْ بدَّلَ الدِينَ وَدَانَ   بِنِحْلَةِ قَومِ بَنِي عَلْمَانِ

فَخَوارِجٌ مِنْ دِينِ قَومٍ بَدَّلُوا   لَسنَا بِدَاخِلِ هَذِهِ الأَدْيَانِ

فَغيرُ دِينِ المُصطَفَى لا نَبتَغِي   نَرجُو النَّجَاةَ وحُورَ ذَا الأَعَيَّانِ

يَا طَالِبَ الحَّقِ مُرِيداً لِلهُدَى   اسْمَعْ بِفَهمٍ حَاضِرٍ يَقْظَانِ

اِخْلَعْ قُيُودَ أَسْرِهِم وَهوَانِهِم   كَسْراً لِذِي الأَصنَامِ والأَوْثَانِ

وَتَعَلَّمِ الدِينَ الصَّحِيحَ بِحَدِّهِ   واحْكُم بِهِ وَضْعاً عَلَى المِيزَانِ

وارفَع بِرأسِكَ نَاظِراً فِي قَومِنَا   هَلْ هَؤُلاءِ عُصبَةُ الإِيمَانِ؟

واقرأ كِتَاباً خَطُّهُ بِأَنَامِلِي   فِيهِ البَيَانُ الشَّافِي والبُرهَانِ

عَنْوَنْتُهُ بِهِدَايَةِ الأَنَامِ   لِحَقِيقَةِ الإِسلَامِ والإِيمَانِ

فَاعضُضْ عَليهَا بِالنَّواجِذِ مُمْسِكاً   واحْذَرْ تَزُولُ تَبُوءُ بِالخُسرَانِ

الفصل الثاني

أنا الغَرِيبُ التَائِبُ مِن ذَنبِه   أنَا الأَسَيفُ مِلْؤُه أَحزانِ

أنَا الطَرِيدُ فِي دِيارِ غُربةٍ   بَينَ حُثِالةِ آخرِ الأزَمانِ

أنَا الأسَيرُ فِي سُجونِ غُربةٍ   بَينَ عَبيدِ البَغلِ والشَيطانِ

أنَا الصَدُوقُ لقِولِهِ ومَقَالِهِ   أنَا النَذيرُ لِقومِهِ العُريانِ

إنِي نظرتُ نَظرةَ المُتأمِلِ   فِي سَيرِنَا ومَراحِلِ الأزَمانِ

مِنْ حُفرَةٍ إلى حُفرَةٍ نَترَجَّلُ   عَرَجاً فِي أَرضِ الشَوكِ والعَثَرانِ

كُنَا أُسَارى لِشُيوخِ ضَلالةٍ   تَهوي بِنَا في دَرْكَةِ النِيرانِ

قَيدُ الهَوانِ لِفَكهِ مُستَصعبٌ   قَد أُحكِمَ في مَدارِسِ الجَمعَانِ

بَين الَمدَارِسِ نَرتَوِي مِن سُمِّهَا   كالنَحلِ فَوقَ الشوكِ والسَعدَانِ

لكِنَّنِي نَفعاً جَنَيتُ في إثرِهَا   بَعضَ العُلومِ حُزتها بِجَنَانِ

إنَّ الخُروجَ لِبعضِهَا مِن بَينِها   بِفراقِهَا لا يَرتَوي الظمآنِ

مُتَمِرِداً دَوماً أَكُونُ في صَفِّهَا   لا أَرضى بِالحَجرِ عَلى الإنسانِ

أَتسَمَّعُ لمِخَالِفٍ قَولاً لَهُ ودَلِيلَهُ   تُذْكَى في قَلْبِي شُعلَةَ الحَيرانِ

قَّد أَنصُرُ القَولَ الذِي قَد قُلتُهُ   دَهراً زَماناً نُصرةَ البُطلانِ

لَكِنَنِي طَوعاً أَعودُ يَرُدُنِي   صَوتٌ قَريبٌ قَاهِرُ السُلْطانِ

لِلحقِّ نُورٌ سَاطِعٌ تُجْلَى بِه   شُبهاتُ قَومٍ عَادِمِ البُرهانِ

فَحَقِيقَةُ الدِينِ الصَحيحِ لا تَنْجَلِي ... لِقَاعِدٍ مُتَخلِفٍ كَسلانِ
لكِنهَا تَجْلُو لِصاحِبِ هِمَّةٍ ... مُدَافِعٍ بِالحقِّ ذَا البُطلانِ
النَافِرِينَ البَاذِلِينَ لِدينِهِم ... العَامِلِينَ بِه عَلى المَيدَانِ
فَهُم الذِينَ تُفتَّحُ أبصَارُهُم ... لا النَائِمينَ عَلى ثَرى النِسوانِ
القَابِضِينَ عَلى الجِمَارِ فِي سَيرِهِم ... مَن هَمُهُم فِي هِدايَةِ الحَيرانِ
لا العَاكِفِينَ عَلى صَلاحِ قُوتِهِم ... القَابضِينَ رَواتبَ السُلطَانِ
مَن صَحَّحَ دِينَ المُلوكِ وعَدَّل ... أَوضَاعَهُم فِي الدُورِ والبُلْدَانِ
هُم جُموعُ العَامليِنَ فِي سَاحةٍ ... كالذِئبِ يَرعَى بِقَطيعِ الضَآن
سَلفِيَّةٌ عِلميَّةٌ تَسمُوا إلى ... تَثْبِيتِ مُلكِ سُمو آل سَلمانِ
وذُيولُهم فِي المَغربِ والمَشرِقِ ... قَد ثَبَتُوا عَرشِ بَني عَلمَانِ
للتَّصفيَةْ والتَّربيةْ والتَّوعيَةْ ... بواجِبَاتِ طَاعَةِ الطُغيانِ
أَوفى الكِلابُ لسَيِّدٍ فِي طَاعَةٍ ... تُقادُ كالحُمْرِ مِن الأُذْنَانِ
إخوانُ مِصرَ أَفلَسُوا فِي ثَورَةٍ ... قَرناً لهُم سَعياً مِن الأَزمانِ
رفَعُوا شِعَارَ شَرِيعَةِ الدَيَّانِ ... نَيلاً أَقَامُوا شَرعَ جِنكزخانِ
قَادُوهم نَحو السُجونِ غَفلةً ... فِي عِزِّهِم فِي ذَرْوَةِ النَشوانِ
سِلْميَّةٌ شَرعِيَّةُ دُستورِنَا ... فامضُوا نُعيدُ حُكمَ ذَا السُلطان
قَتَلوُهُم صَبراً عَلى طاغوتِهِم ... فِي رَابِعَةِ أو سَاحَةِ المَيدانِ
نُسبُوا إلى الإسلامِ والإخوانِ مَا ... شَمُوا لهُ رَائحةً مِن غَابرِ الأَزمانِ
كَطَرائِقِ الصُوفِيَةِ فِي دَارِنَا ... كَالشَّاذِلِيّ الشَيخِ والتَيجَانِ
ذاكَ المُريدُ فِي حَضرةِ أَشيَاخِهِ ... خَلعاً لعقلٍ قبل ذا النعلانِ
قَد كُبِّلَ وِرداً طَويلاً ذِكرُهُ ... عَبدٌ لِشَيخٍ شَيخُهُ الشَيطانِ
إِخوانُهم سَفَراً تَسوحُ لِدَعوَةٍ ... للهِنْدِ سَعياً أَصلَ ذَا الجَمعَانِ
مُتلَقِياً لِطَرائِقِ تَبليغِهِم ... بِدعَاً مِنَ الأَورَادِ والأَلحَانِ
فَواعِظٌ قَد طَأطَأ مِن رَأسِهِ ... لِموائِدِ الفَضلِ مِن السُلطانِ
وآخرٌ يَبكِي عَلى قَنَواتِهِم ... كَبُكَاءِ لَيلى فَقدَهَا لِفُلاَنِ
وآخرٌ يَرثِي الهَوى بِفصَاحَةٍ ... وَجهٌ صَبُوحٌ قِمَةَ اللَمعَانِ

قَــد أُعجِبــت نِســوانُهم بِحديثِــهِ فِــي مَجلــسٍ بِــالوَردِ والرَيحـــانِ
قَــد جَمَّــعَ مِــن وَعضِــهِ وبُكَائِــهِ قَصــراً لــهُ مِــن ذِي الجِنَــانِ الــدَانِ
وصَــفوةُ المَجمُــوعِ فــي المَيــدَانِ فَزعـــاً إلــى تَغييــرِ ذَا السُــلطانِ
إلــى الجِهـــادِ والقِتَـــالِ والفِـــدَا مُســـتنفِرينِ لِبَهجَـــةِ الفِتيَـــانِ
القَاعـدَة قَـد حُمِّلـت ذَاكَ اللِـواء رَفعَـــاً يَمــوجُ فــي ثَــرى الأَفغـــانِ
قَـد بَايَعـت الأَشـعَري المُـلا عُمـر صَـــفاً قِتَـــالاً مَـــع بَنِــي عَلمَـــانِ
وشُــيوخُهم العَــاذِرينَ الرَافِضَـــة لـــمْ يَرتَقُـــوا لعَقِيـــدَةِ الفَـــوزانِ
وفُـروعُهم قَـد هَـادَنُوا الحُكَـام في دَولِ الرَبيـــعِ عَـــونَ ذَا الإخِـــوانِ
وأســـامَةٌ قَـــد بَـــارَكَ ثُـــوَارهُم ودَعَـــا لمرُسِــي شِــيبَةَ الخُــذلانِ
شَــيخٌ جَهــولٌ نَصــبوهُ حَكِيمنَـــا لا يَعـــرفُ الكُفـــرَ مِـــن الإِيمـــانِ
لا ثَمـرَ يُرجَى في عُقـودٍ قَـد خَلـت حيـــثُ لا أَصـــلَ وافِـــرَ الأَفنـــانِ
أصـلٌ خَـرابٌ وجُمـوعٌ قَـد خَلَـت مِـن أَصـلِ دِيـنٍ مُحكـمٍ في جَنَـانِ
لا خُلْــفَ بــينَ القَاعــدة أو بِنتِهـــا في الــدينِ بَـلْ في العَقْـدِ مُتفقـانِ
فنـــزاعُ مُلـــكٍ وخِـــلافُ إمـــارةٍ وسِياسَــةٍ في الأَصــلِ هُــم مِــثلانِ
فَصــلاً خِتامــاً في خُرافَــةِ مُلكنــا قَـــولاً فَصــــيحاً دُونَ ذَا مَـــيلانِ
واللـــهِ قَـــد عَـــزَّ عَلــيَّ ذِكرُهـــا بِالشِـــينِ لَكـــن إِثـــمَ ذَا الكِتمـــانِ

الفصل الثالث

يا غُربةً في هذِه الدُنيا و يا   فِتنٌ تَموجُ بِنَا في كُلِ مَكانِ
نَفرٌ من سَيفٍ إلى سَيفٍ إلى   سِجنٍ يَضيقُ بِشركَةِ الخُسران
أعداؤنا كُثرٌ وقَلَّ نَصيرُنَا   بَين البُغَاثِ استَنسَرُوا وجَبانِ
وحَسبنَا المَولى العَظيمِ شَأنُهُ   فَهو العَليمُ كَذاكَ ذُو نُصرانِ
يَا ربِّ فَرج كَربَنَا ومُصابَنَا   مِن القُيودِ وفِتنَةِ القُضبانِ
يَا رب هَيئ أمرَنَا ومَآلَنَا   رُشداً لنَا ولِسائرِ الإخِوانِ
واحقِن جِراحاً تَنزِفُ مِن دَولةٍ   غَدَرت بِأهلِ الصِدقِ والإحسانِ
التَائبينَ العَائِدينَ لِرُشدِهم   عَن غَيِّهم فِي خِلافَةِ الكُفرانِ
أهلُ البَراءةِ مِن جُموعٍ حَرَّفَت   نَهجَ النَبيّ المُصطَفَى العَدنَانِ
مَن شُرِدُوا في هَذِهِ الأَرضِ التي   لَفظتهُمُ, عَن ظَهرِهَا بِسنَانِ
مَن قُطِعَت أَوصالُهُم وتَمزقَت   أَكبَادُهُم عَلى فِرقَةِ الوِلدانِ
مَن أُخدِعُو, بِالله فَانخَدَعُوا لَهُ   بَذَلُوا النُفُوسَ وجَادُوا بِالقُربانِ
وتَجرَدُوا لِلحقِ فَانكَشَفتَ لُهم   عَورُ السَبِيلِ بَواضَحِ البُرهانِ
وَضعُوا السِلاحَ تَحتَ ظِلِ رَايةٍ   شِركِيَّةٍ مِن أولِ البُنيَانِ
هَدمُوا رُمُوزَ الكُفرِ واتَضحَت لَهُم   كُفرانُهَا وحَقِيقةُ الأَوثَانِ
والخُلفُ فِي مَا قُدِمَتْ أَبيَاتُهُ   فِي قَومِنَا طَاغُوتَ ذَا الأَزمَانِ
قَالُوا رَعَايَا لأَميرِ المُؤمِنِين   **قُلنَا** خَزَايَا فَاقِدِي الإِيمانِ
قَالُوا غُلاةٌ وبُغَاةٌ خَارِجِينَ   **قُلَنَا** هُدَاةٌ صَفوةَ الرَحمَانِ
قَد اجتَبانَا للصِراطِ المُستَقيمِ   قَصداً نَسيرُ دُونَ ذَا مَيلانِ
بَينَ جُفَاةٍ وغُلاةٍ مَارِقِينَ   لَسنَا بُغَاةً بَل عُدُولَ الشَآنِ
قَالُوا لَنَا فِي مِثلِكُم سُنَنٌ مَضَت   قُطِعَت بِسيفٍ حَاقِدٍ عَطشَانِ
فَدِمَاؤُكُم لا نَرتَوي مِن نَهرِهَا   لا نَهرَ يَملَؤُهَا ولا نَهرَانِ
وقُلوبُنا زُبرَ الحَديدِ لا تَرحَمُ   وسُيوفُنَا تَمضِي بِلا رَجعَانِ
وسُجُونُنَا فيها العَذَابُ البَلسَمِ   مِن دَائِكُم تَشفِي لَنا الغَليانِ

وفِعَالُنَا صِدقٌ دِيالَى تَشهَدُ
مَن نَازَعَ البَغلَ في هَذا الشآنِ

لا نُبق مِنكُم خِلفَةً وسَنقطَعُ
كُلَّ الرُؤوسِ بِفكرِها الملآنِ

قُلنَا ومَاذا تَنقِمُونَ مِنَنا
غَيرَ الهُدَى وَصحِيحَ ذَا الإيمانِ

فَقُلوبُنَا لِلحقّ لانَت تَسعَدُ
تَقلِيبُهَا صَفواً مِنَ المَنَّانِ

وَدِماؤُنَا دَهراً تَذودُ عَنكُمُ
مِن نَهرِهَا قَامَ لَكُم قَرنَانِ

وَجِسَامُنَا فِيها الجِراحُ تَثْعُبُ
لا تَقوى في سِجنٍ لكُم فَتَّانِ

مَا ضَرنَا أي سُيوفِ المُشرِكِين
بِه قَتلُنَا نَمضِي إلى الدَيَّانِ

فَالغَدرُ فيكُم وخِصالُ الخَائِنين
لمِهَاجِرٍ لَبى نِدَاءَ العَانِ

قُلنَا تَعالُوا لِلحِجَاجِ وحُجَّةٌ
فِيها الفِصالُ لا سَيفَ ذَا السُلطانِ

قَالُوا نَسيرُ عَلى سَبيلِ السَّابِقين
أعلامُنَا فَصلُوا بِها بِبَيَانِ

لَسنَا نَقُولُ بِقولِ خُلْفٍ مَارِقِين
شِرذِمَةٌ حُدَثَاءَ ذَا الأَسنَانِ

وعِندَنَا مِن سَاسَةِ العِلمِ ومَن
سَيُخَرِّجُونَ القَولَ مِن أَصلانِ

قَولُ الشُيوخِ ذُو احتِمَالٍ لَفظُهُ
يَخفَى عَلى الخُلْفِ بَني جَهلانِ

وسَتَسمَعُونَ قَولَنَا في سَلاسِلٍ
عِلماً يَفيضُ يُذَاعُ في البَيَانِ

نَسخاً لِكلِ سَابِقٍ أو قَبلِهِ
مَن قَد مَلاهُ شِيعَةَ الفُرقَانِ

أنصَافُ عِلمٍ غَازَلُوا فِي طَرحِهِم
أهلَ الغُلو لجنَةَ الغِلمَانِ

إنَّا نَقضنَا السَقفَ فَوقَ رُؤوسِهِم
سَنُشرِدُ مَنْ خَلْفَهُم بِسِنَانِ

قُلْنَا صَبرنَا مَنهَجَ قُوَّادكُم
كَذا سَمعنَا سَلاسِلَ الكُفرانِ

قَولاً يُخَاطُ عَلى مَقاسِ شُيوخِكُم
شِركاً يُذَادُ عَلى بَنِي جَهمَانِ

عَجناً وخَبصاً أَضحكَ صِبيَانَنا
سُبحَانَ فَاضِح عَالِمِ السُلطَانِ

وقَد كَشفنَا لُبسَكُم في حِينِهِ
في كِتَابِنَا عُنوانُهُ التِبيَانِ

فَانظُر تَرى أَهْلُ الجَهَالَةِ مِنَنَا
مَن سَاسَ عِلْماً هُم ذَوو الحِرمَانِ

فِبضَاعَةٌ رُدَت عَلى تُجَّارِهَا
وَسَلاسِلٌ تُزجَى بِهَا النِيرانِ

هَلْ عِندَكُم غَيرَ الذي أَظهَرتُمُوه
نَسخاً جَدِيداً في السَنَة ثِنتَانِ

مَن مَاتَ قَبلَ النَسخِ مَاذا حُكمُهُ * أو بَعدَ خَبصٍ هَل هُمَا في جِنَانِ؟

قَالُوا قَدْ آنَ قطفُكُم وحَصَادُكُم * بَل عِندَنَا لِعَذَابِكُم أَلوانِ

تُكفِرُونَ حَضرَةَ المَولَى الإِمَام * الهَاشِمي خَليفَةَ العُمَرانِ

تَحتَطِبُونَ رَعيَّةَ المَولَى الإِمَام * مِن أَرضِ بُوحمَامَ إلى السبِيخَانِ

وقَد عَزمتُم لِلخُروجِ والقِتَال * وشَقّ صَفِّ المُسلِمينَ بِسِنانِ

مَن لَم يَكُن في جُندِنَا هُو ضِدُنَا * قَد نَقتُلُ مَن لَيسَ في الحُسبَانِ

سَنقتَحِم أوكَارَكُم وبُيوتَكُم * سِنُبيِّتُ النِسوانَ والوِلدَانِ

سَنيتِمُ ونُرمِلُ ونُنَكِلُ * كَجَماعَةِ الحَطَّابِ بَل ضِعفَانِ

سَنَفُكُ عَانِيكُم مِن الأَكرَادِ كَي * بِسُيُوفِنَا قَطعاً لِذِي الوِردَانِ

بِمَطَارِقَ سَندُقُ هَامَ مُهَاجِرٍ * فِي سَاحَةٍ ونُسَمِلُ العَينَانِ

قُلنَا فَزِعتُم لِلسلاحِ عِندَمَا * أَبطَلَنَا سِحرَ سَاسَةَ السُلطانِ

طَاغُوتُكم كَالحيَّةِ تَتَقَلَبُ * يوماً بِنهجٍ بَعدَهُ نَهجانِ

لا يَدرِ مَا قَولٌ لَكُم أو قَولُنَا * قَد غُرِّرَ بالملكِ والسلطانِ

تَارةْ يَقُولُ بِقولَةِ القَحطَانِ * ثُمَ يَعُودُ لِقولَةِ الفُرقَانِ

تَارَةْ يُجِيبُ مَا قَالَ ذَا الإنسَانِ * ثُمَ يَعُودُ لِخَبصَةِ الكِنَانِ

وكَم أراقَ مِن دِمَاءِ المُسلِمين * بَغلٌ يَقودُ جَاهِلُ القولانِ

أمَا احتِطَابُ المُشرِكِينَ فِرزقُنَا * أَينَ غَنائِمُ غَزوِنَا بِسِنَانِ

إلا الكَفَّالَةَ لِلدوَامِ فِي شِركَةٍ * رِبَاطُ شَهرٍ حَقُهُ فِلسَانِ

ضَاعَت بِهَا أبنَاءُ قومٍ قُتِّلوا * والمالُ وَافِرٌ عِندَ ذي السُلطَانِ

إنْ كُنَا قَد أحلَلْنَا دَارَ البُوحَمَام * بِمَنَاطِ كفرٍ وَاضِحِ البُرهَانِ

فَأنتُم أَحلَلْتُموهَا قَبلَنَا * مِن أَجلِ نَفطٍ سَارِعِ الذَوبَانِ

واللهِ مَا كُنَا نُرِيدُ نِزَالَكُم * إلا لِدَفعِ صَائِلٍ خَوَّانِ

ورَعاً ولكِن قَد أردنَا فِراقَكُم * هُجرَانَ دَارَ الغَدرِ والبُهتَانِ

أسماءُ مَملَكَةٍ تمسَّحَ أهلُهَا * بِخيرِ قَرنِ خِلفَةَ العُمرَانِ

لكنَّهَا مُلْكٌ غَضُونٌ جَائِرٌ ... عَلَى خِلاَفِ مَنهَجِ العَدنَانِ
فَجرٌ كَذُوبُ بَل ظَلامٌ دَامِسٌ ... امتِدَادُهَا قَاعِدَةُ الخُذلانِ
سُفهاؤُنَا رَفعُوا شِعاراً كَاذِباً ... نَصبُوا كَمِيناً لِلفَتَى الحَيرانِ
بِاسمِ الخِلافَةِ والشَّهَادَةِ والعُلاَ ... لبَّى النِدَاءَ مَطلِقاً لِلفَانِ
هَجَرَ الدِيارَ مُسارِعاً تِلكَ الخُطَى ... وَمُعانِقاً لِلمَوتِ كَاللَهفَانِ
طَوعاً يَسِيرُ لِلمَفازَةِ آمِناً ... أَرسَالُهُم تَترَا إلى الميدَانِ
حِمَمُ الصَلِيبِ لِلقُلوبِ تَخلَعُ ... لا يَثبُتُ في ثَغرِهَا جَيشَانِ
يُقتَّلُونَ كالنِعَاجِ لِصَبرِهِم تَتَعجَبُ ... قَبلَ فِطامِهِم عنِ الكُفرانِ
تَفنَى جُمُوعُ النَافِرِينَ في جَبهَةٍ ... حُقُولُ نَفطٍ بِيجي ذَا العِصيَانِ
تَفنَى الأُلوفُ وفَاؤهُم لِمقَالةٍ ... حَجَّاجنا لَن تَسقُطَ كُوبَانِ
تَفنَى الجيُوشُ تُقَدَمُ وجَبَاتُها ... طَبَقاً سَرِيعَ الهَضمِ لِلطيرانِ
يَتَسابَقُونَ بِصُدورٍ عَارِيَات ... يَتواجَهُونَ لَيسَ ذُو كُفآنِ
ضُبَاطُنَا قَد أَججوا نِيرَانَهُم ... وقُودُهَا ذَاكَ الفَتَى الحَيرانِ
بِالأَمرِ تَثبُتُ هَاهُنَا حَتى الفَنَا ... أَو قَاعِدٌ وَمُخذِّلٌ وَجَبَانِ
قُتلَ الرِجَالُ المُقبِلينَ إلى الوَغَى ... قَد غُرِرُوا فِي شِرْكَةِ البَورانِ
قَد كَانُوا ذُخراً في جِهَادِهِم العِدَا ... لو عُلِمُوا دِينَ النَبِي العَدنَانِ
لكنهُم نَصَّروا الشُعوبَ الثَائِرَة ... مِن لَبنِهَا قَامُوا بِذَا البُنيَانِ
مَشرُوعهُم عَلى ذِي الشُعوبِ الكَافِرَة ... كَمُقلِدِ الخِنزِيرِ ذَا المُرجَانِ
لَم يَبدَؤُا مِن أَصلِ دِينِ الأَنبِياء ... بَل أُقحِمُوا في مَتَاهَةِ الشَيطانِ
كيفَ تَقومُ دَولَةٌ في شَامِنَا ... في الشِركِ غَارِقَةٌ إلى الأُذُنَانِ
لَيسَ يُصحِحُ دِينَ قَومٍ مُشركِين ... إقامَةُ الحَدِّ ولا المِيزَانِ
لأَنهُم لا بِالفُروعِ مُخَاطَبِين ... قَبلَ الدُخولِ في دِيننَا بِبيَانِ
بَل سَيفُنَا أو جِزيةٌ أو تَوبةٌ ... فَرضُ الجِهادِ لِدعوةِ الحَيرانِ
ودَولةُ الإِسلامِ قَائمةٌ عَلى ... المُسلِمِينَ وعُصبةِ الإِيمانِ

كمَا أُقيمَت في زَمانِ المُصطَفى　　مِثْلاً تَقومُ في آخِرِ الأزمانِ
بَعدَ الدُعاءِ والبَلاءِ والمِحن　　جِيلاً يَقومُ صَحيحَ ذَا الأَركانِ
قَاعدَةٌ تُبنَى عَليهَا دَولَتِي　　لا حِزبَ بَعثٍ خِلْفَةَ الطُغيانِ
هُم الذِينَ دَنسُوا مَشرُوعَنَا　　وتَلَبسُوهُ لِباسَ زُورٍ شَانِ
إعلامُهُم يَسبِي الفُؤادَ بسِحرِهِ　　قَد أَخرَجَ الأنصَارَ مِن أَوطَانِ
يَتَوافَدُونَ فِي رِحلَةٍ آمِنَةٍ　　تَحتَ نَظارَةِ أَمنَ ذَا الجِيرانِ
لَيسَ الخُروجُ كالدَّخولِ بَعدَهَا　　حَتَى يَزولَ الحُلمُ فِي الأَذهانِ
قَالُوا اكتَفينَا بِالأُلوفِ عِندَكُم　　سَنبيدُكم عِبراً لِذي الأَقرانِ
ذَاكَ هُو مَشرُوعُكم حُلمٌ جَميل　　أُنظر مَصيرَ وَمَصرَعَ الإِخوانِ
حَتى يَموتَ الحُلمَ فِي أَحلامِنَا　　حُلماً يَقُضُّ مَضاجِعَ الطُغيانِ
هَذا الذِي قَد خَطَّطَ أَعدَاؤنَا　　النَفُخُ في الوَرَمِ الخَبيثِ الفَانِ
لِيُعجِّلُوا فِي بَترِهِ وَفَنائِه　　بَل وَعدُنَا في آخِرِ الأزمانِ
بَاقِيَةٌ فِي زُبَالَةِ تَاريخَنَا　　تَفنَى اجتِثَاثاً وأُفولاً فَانِ
عَلى سُنةِ الكُفارِ مَاضٍ قَد خلا　　لا تَجرِي مِثلاً في ذَوي الإيمانِ
تَفنَى دِيارٌ وتَضيعُ أُمَةٌ　　تُداسُ بِالأقدامِ والنَعلانِ
تُسبى إِماءٌ وتَجوعُ حُرةٌ　　كانَ لَها في دَارِهَا قَصرانِ
يُبَاعُ قَهراً عِرضُنَا ويُسلَمُ　　لِمُعَمَمٍ في الحُوثَة أو إِيران
مَن لم يَمُت بِالقَصفِ مَاتَ بِغيرِهِ　　جُوعاً يَموتُ لِحتفِهِ عَطشانِ
أو سَيفِ غَدرٍ مِن دِيوانِ أَمنِهِم　　عَلى القَفَا يُلقَى في ذِي القِيعَانِ
استَنفَرُوا لِلهَارِبِينَ مِنهُم،　　نَصبُوا الحَواجِزَ لِلفتَى الفَلتَانِ
والنَاجِي نَاجٍ في سُجونِ الكَافِرين　　عَبداً أَسيراً مِن وَرا القُضبَانِ
قَد بَاعَنَا شَعبُ النَذَالَةِ والخَنَا　　بَخساً رَقِيقاً لِذَوِي الكُفرانِ
هَذا جَزاءُ نَصرِهِ وفِدَائِهِ　　وِفْقاً جَزاءً نُصرةَ الطُغيانِ
ذَهبَ الذينَ يُعاشُ في أَكنافِهِم　　وبَقيتُ فَرداً خَلفَ ذَا الجُدرانِ
فَليتَ شِعري كَم لِدمعٍ جَرِيُهُ　　عَيناً تَنُوحُ بِه بَل عَينَانِ
فَالجُرحُ في قَلبِي بَعيدٌ قَعرُهُ　　ونَزيفُهُ يَسرِي ذَوي جَريَانِ
فَذنبُنَا ذَنبٌ عَظيمٌ جُرمُهُ　　إلا الرَجَا في عَفو ذُو الغُفرانِ

يَـا رَبـنَـا عَـبـدٌ ذَلـيـلٌ تَـائـبٌ مِـــن ذَنبِـــهِ مُتـــوجِسٌ نَـــدمَانِ

فَـارحـمْ غَـريـبـاً رَاجِـيـاً يَـتـأمـلُ صَـفحاً وعَفـواً مِنـكَ يَـا رَحمـانِ

وفي الخِـتَـامِ غَـيرَ ذَا المـنـظُومِ نَثــراً فَصـــيحاً عِنـــدنَا بِبيَـــانِ

يَجلُـوا الضَــبـابَ كُلَـهُ لِلـنَـاظِرِ وَتُفَـــتَّحُ أَبصَـــارُ ذِي العُميـــانِ

مَـا لا يُـطَـاقُ ذِكـرُهُ في نَـظـمِـنَـا بَـــل نَثــرُهُ يُــروى بِـــهِ الظَمـــآنِ

والحـمـدُ لـلـهِ الجَـمـيـلِ وَصـــفُـهُ حَمـدَاً كَثيـراً مِـن ورى القُضـبانِ

والآلُ والصــحـبُ الـكِـرامِ كُـلـهِـم في إِثـرِهم نَقفُـوا إلـى الرِضــوانِ



فهرس